بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما منح من الهدى، وجعل السنة المطهرة قدوة لمن يقتدى؛ الذى خلق فأحيا، وحكم على خلقه بالموت والفنا، والبعث إلى دار الجزاء والفصل والقضاء، لتجزى كل نفس بما تسعى كما قال فى كتابه جل وعلا[1] (إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى، جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى)، والصلاة والسلام على خير من أفيضت عليه بحار المكارم والندى، ولاحت عليه لوائح الصدق والصفا، واهتدى بما أنزل عليه من ربه وإليه أمته هدى، وأنقذها من شرك الردى، ولم يتركها سدى، فمن أطاعه ووالاه فقد رشد ونجا، ومن عصا وناوأه فقد ضل وغوى، وعلى آله وصحبه وحزبه صلاة وسلاما دائمين على طول المدى.

وبعد: فهذا كتاب فى أحوال النار وأصحابها، وأهوال الجحيم وأربابها نسجته على منوال كتابى فى أحوال الجنة وأهاليها وحقائق نعمها ومواليها، والباعث على جمعه أن الحافظ الإمام ناصر السنة والإسلام محمد بن أبى بكر بن القيم بوأه الله فى دار السلام، ألف كتابا جامعا لم يسبق إليه فى ماجاء فى نعيم الجنان ومدارج الرضوان والغفران، وهو باب من أبواب الترغيب، وقد سبقت رحمة الله سبحانه وتعالى على غضبه كما ورد ذلك فى صحاح الأحاديث، ولم

---

(١) طه (٧٤ - ٧٦)

أقف له ولا لغيره على كتاب مستقل فى ذكر النار ، وأهوال الجحيم ومايقابل الراحة والعيش الآخر فى دار النعيم . وهذا باب من أبواب الترهيب ، وحاجة المسلم إليه أشد من الحاجة إلى الأول ، لأن الإيمان بين الخوف والرجا ، والمرء بين الشدة والرخا ، والخوف يفعل فى الخائف مالا يفعل الرجا فى الراجى له والخشية تميز تمييزاً كافياً وافيا بين الهالك والناجى ، وأن دين الاسلام ورد بالمهلكات كما جاء بالمنجيات ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم رغب وحذر وبشر وأنذر ، فهو المخبر الصادق بكلا الأمرين إخباراً لا يخفى على ذى عينين ، ولكن الشيطان الرجيم غرهم بالغفران والاحسان ، وكادتهم النفس الأمارة بالسوء ووعدتهم بالرضوان والجنان، ودخل عليهم إبليس من باب الرجا حتى أضلهم عن طريق الهدى ، فقالوا سيغفر لنا كما قال من قبلهم من الأمم ، ولم يعلموا أن بطش ربهم لشديد الألم ، وأن الدار الآخرة منقسمة إلى قسمين : رياض الجنة وحفر للنار ، والعبد بين مخافتين إما أن يصير إلى النعيم بفضله سبحانه ، وإما أن يصار به عدلا منه إلى دار البوار ، وكل من قنع بالرجا ولم يلم بالخوف لم يعلم بعاقبة أمره ، ولم يعرف نفعه من ضره ، وإنما المؤمن الناجى من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر وعمل صالحاً ، وأقلع نفسه فى هذه الدار عما يوبقه ويهلكه مذنبا كان أو صالحا .

وفى حديث شداد بن أوس قال قال[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم « الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ »

---

(١) خرجه الترمذى (٦٣٨/٤) ، وقال : هذا حديث حسن ونسبه السيوطى فى كتابه « الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة » الى الحاكم فى مستدركه عن شداد بن أوس وصححه .

قال فى مجالس الأبرار : هذا الحديث من حسان المصابيح انتهى : وما أحسن ما قال بعض العارفين .

عجبت من شيخى ومن زهده ... وذكـــــره النار وأهوالها

يكره أن يشرب فى فضـــــة ... ويسرق الفضـــــة إن نالها

ووعدُ المغفرة فى كتاب الله منوط بالإيمان والعمل الصالح جميعا ، فمن أقر بلسانه أن الآخرة خير وأبقى ، ثم ترك العمل واشتغل بالمعاصى فهو من المغرورين بالدنيا والمسرورين بها والمحبين لها ، والكارهين الموت خيفة فوات لذاتها لا خيفة فوات لذات الآخرة : وهول عقابها ، فهؤلاء هم الذين غرتهم الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون .

وأما الذين غرهم بالله الغَرور فهم الذين يعملون الأعمال ويشتغلون بالمنكرات ويقولون إن الله رحيم ، نرجوا رحمته ، وكريم نتمنى مغفرته ، وهذا التمنى هو الغُرور الذى غيّر الشيطان اسمه وسماه رجاء حتى خدع به كثيراً من الناس ، وقد شرح الله الرجاء بقوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ[1]) وقيل للحسن قوم يقولون نرجوا الله ويضيعون العمل فقال هيهات . هيهات ، هلكت أمانيهم يترددون فيها : من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف شيئا هرب منه ، وكما لا ينبت فى الدنيا زرع إلا بالحرث كذلك لا يحصل فى الآخرة أجر وثواب إلا بالإيمان الخالص والعمل الصالح والنية الصادقة ، وأن الله تعالى كما كان غافر الذنوب وقابل التوبة فهو شديد العقاب أيضاً . وأنه مع

---

(١) البقرة ــ آية ٢١٨

كونه كريما رحيما خلد الكفار فى النار أبد الآباد ، مع أن كفرهم لا يضره بل سلط العذاب والمحن والأمراض والعلل والفقر والجوع على عباده فى الدنيا مع كونه رحيما كريما قادراً على إزالتها .

فمن كانت سنته فى عباده كذلك كيف يغتر به العبد ولا يخافه، وقد خوف عباده .

ورجاء أكثر الخلق فى هذا الزمان هو سبب فتورهم عن العمل وإقبالهم على الدنيا وإعراضهم عن طاعة الله تعالى وإهمالهم السعى للآخرة ، وهم لا يعلمون أنه غرور وليس برجاء ، وقد غلب الغرور على آخر هذه الأمة كما غلبت الطاعة على أولها .

قال الغزالى : قد كان الناس فى الزمان الأول يواظبون على الطاعات والعبادات، ويبالغون فى الاحتراز عن الشبهات والشهوات ، ومع ذلك كانوا يخافون على أنفسهم ويبكون فى الخلوات ، وأما الآن فترى الخلق آمنين فرحين غير خائفين مع إصرارهم على المعاصى وانهماكهم فى الدنيا وإعراضهم عن طاعة الله ، ويزعمون أنهم واثقون بكرم الله تعالى وفضله ، وراجون لعفوه ومغفرته ، ويقولون نعمته واسعة ورحمته شاملة . وأى شىء من معاصى العباد فى بحار مغفرته ؟ ويسمون تمنيهم واغترارهم رجاء ويقولون أن الرجا محمود فى الدين ؟ فكأنهم يزعمون أنهم عرفوا من كرم الله وفضله مالم يعرفه الأنبياء والسلف الصالح . انتهى .

هذا وكان يخطر فى خلدى قديما منذ ألفت كتاب (مثير ساكن العوام إلى روضات دار السلام) أن أؤلف كتاباً فى أهوال النار وأهلها وصفة الجحيم

حزنها وسهلها ، مقتصرا فى ذلك على ما ورد في آيات الكتاب العزيز وأدلة السنة المطهرة البيضاء . فلم يتفق لى هذا المراد لعوائق عاقتنى وضاقت بها على الغبراء ؛ إلى أن حصل الآن فرصة نذرة فانتدبت لتحرير هذا المرام ظناً منى أنه لم يسبق إلى مثل هذا التأليف قبلى أحد من الأعلام ، ولو كنت وقفت على مثل هذا الجمع لأحد منهم لم أكلف نفسى لجمع هذا الكتاب الموعود ، ولم أدخلها فى هذه العقبة الكئود ، ولكن الله يوفق بما شاء من عباده ؛ وله فى أيام دهرهم نفحات ألا فليتعرضوا لها فى بلاده . وسميت هذا (يقظة أولى الاعتبار مما ورد فى ذكر النار وأصحاب النار) . ورتبته على مقدمة وأبواب وخاتمة . أجارنا الله تعالى من النار الحاطمة .

مقدمة

(في بيان أن الشرائع متفقة على إثبات الدار الآخرة التي فيها الجنة والنار)

أعلم أن الله سبحانه صرح باسم الجنة فى أول التوراة عند الكلام على ابتداء خلق العالم. ولفظها: « وغرس الإله جنة فى عدن شرقاً . ووضع هناك آدم الذى خلقه » ا . هـ

ثم ذكر أن منها خرج نهر . وتفرع عنه : فيشون وحداقل وجيحون والفرات .

فهذه هى الجنة التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم . وصح عن النبي ﷺ أن هذه الأربعة الأنهار خارجة منها، كما فى دواوين الإسلام[1] وغيرها . واعترف بها رأس زنادقة اليهود : موسى بن ميمون القرطبي الأندلسى فى تأليفه ، المسمى « المشنا » فى الفقه . وفى كتاب اللغات فى حرف العين قال : ومعنى اسم عدن : التلذذ والتنعم . ثم قال : إن تلك هى جنات النعيم ، وفردوس السعادة ، والصالحون باقون فيها ليستلذوا من نور الله . قال النبي أشعياء فى حقيقة ذلك التلذذ « هو ما لا عين تقدر أن تراه » ا . هـ .

---

(١) فى صحيح مسلم (٢١٨٣) عن أبى هريرة مرفوعا . سيحان وجيحان والفرات والنيل ، كل من أنهار الجنة وخرجه الإمام أحمد (٦/١ه)

والتوراة أيضاً صرحت باسم النار ، ولفظها « سول واش » قال علماء اليهود ، ومعنى اللفظين جهنم . وفيها غير ذلك من الآيات كثير ، كما فى الإصحاح الثامن عشر من سفر اللاويين (الأحبار) ولفظه : « أحكامى تعلمون ، وفرائضى تحفظون ، لتسلكوا فيها ، أنا الرب إلهكم ، فتحفظون فرائضى وأحكامى التى إذا فعلها الإنسان يحيا بها . أنا الرب » ا . ه . ولا حياة دائمة فى الدنيا بل فى الآخرة ، وفى الإصحاح (الفصل) الخامس من سفر الأمثال لسليمان عليه السلام « ويجعلهم بعد الموت إلى الجحيم » ا . ه وفى الإصحاح السادس والعشرين من نبوة أشعياء ما لفظه : « تحيا أمواتك . تقوم الجثث » ا ه وفى سفر دانيال ما لفظه : « وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون . هؤلاء إلى الحياة الأبدية ، وهؤلاء إلى النار ، والازدراء الأبدى » ا . ه

وأما الزبور ففيه نصوص كثيرة ، فى التصريح بذكر النار ، جاء فى المزمور التاسع والأربعين ما لفظه : « مثل الغنم الهاوية يساقون . الموت يرعاهم . ويسودهم المستقيمون غداة ، وصورتهم تبلى . الهاوية مسكن لهم : إنما الله يفدى نفسى ، من يد الهاوية : لأنه يأخذنى » ا . ه وفى المزمور الخامس والخمسين . « ليبغتهم الموت ، لينحدروا إلى الهاوية أحياء . لأن فى مساكنهم ، فى وسطهم شروراً » ا . ه .

وفى المزمور السادس ما لفظه : « وأنت يارب فحتى متى ، عد يارب : نج نفسى خلصنى من أجل رحمتك : لأنه ليس فى الموت ذكرك ، فى الهاوية من يحمدك ؟ » ا ه وفى المزمور التاسع : « الشرير يعاق بعمل يديه . الأشرار يرجعون إلى الهاوية » ا . ه وفى المزمور السادس عشر :

« جسدى أيضاً يسكن مطمئناً . لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية . لن تدع تقيك يرى فساداً » ا . هـ .

* * *

وفى الإنجيل ذكر الجنة والنار فى مواضع كثيرة ففى الإصحاح الخامس من الإنجيل الأول إنجيل متى « ومن قال ياأحق يكون مستوجب نار جهنم — إلى قوله — ولا يلقى جسدك كله فى جهنم » وفى الإصحاح العاشر من متى: « بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم » ا هـ .

وفى ذلك تصريح بحشر الأجساد . وفى الإصحاح الثالث عشر من متى : « يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الإثم ويطرحونهم فى أتون النار ، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » . وفى الإصحاح التاسع من إنجيل مرقس ما لفظه: « وتمضى إلى جهنم إلى النار التى لا تطفأ . حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ » . وفى الإصحاح السادس عشر من إنجيل لوقا ما لفظه : « ومات الغنى ودفن فرفع عينيه فى الهاوية وهو فى العذاب » ا هـ .

وفى الإصحاح الثامن عشر من متى : صرح بذكر دخول النار المؤبدة وبذكر دخول جهنم . وفى الإصحاح الثانى والعشرين من متى ما لفظه : « فى ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون . الذين يقولون ليس قيامة » ا . هـ .

فانظر إلى هذا النص الصريح بالقيامة . وإلى التصريح بأن الذين يقولون : لا قيامة هم الصَّدوقيون . وكفى بهذا دافعاً فى وجه من زعم أن إثبات ذلك زنادقة فى الشريعة السابقة كما ذكره زنادقة فى هذه الشريعة المحمدية .

وفي الإصحاح الخامس والعشرين من متى : مالفظه : « ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار : اذهبوا عني ياملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته » .

وفي هذا التصريح بما لا يحتاج إلى زيادة . وهذه النقول من الإنجيل الذي جمعه متى ونحوه أيضاً في الأناجيل الأخرى التي جمعها يوحنا ومرقس وغيرهما . وفي إنجيل لوقا في الإصحاح العشرين منه . « وأما أن الموتى يقومون : فقد دل عليه موسى » وفي الاصحاح الثالث والعشرين أن المسيح قال للمصلوب ما لفظه : « قال له يسوع : الحق أقول لك : إنك اليوم تكون معي في الفردوس » انتهى وفي الانجيل الذي جمعه يوحنا في الاصحاح الخامس . مالفظه : فإن تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة . والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » وفي الاصحاح السادس من يوحنا « أن كل من يرى الابن ويؤمن به . تكون له حياة أبدية . وأنا أقيمه في اليوم الأخير » .

وفي الإصحاح الثامن من يوحنا مالفظه : « الحق ، الحق . أقول لكم : إن كان أحد يحفظ كلامي . فلن يرى الموت إلى الأبد » انتهى .

وإذا عرفت هذا المصرح به الانجيل . هكذا صرح الحواريون من أصحاب المسيح عليه السلام في رسائلهم المعروفة ، وهذه النصوص ترد على ابن أبي الحديد المعتزلي شارح نهج البلاغة قوله وهو : أن كل ما في التوراة من الوعد والوعيد فهو منافع الدنيا ومضارها ، ولم يأت فيها ما يتعلق بما بعد الموت ، وأما المسيح فإنه صرح بالقيامة وبعث الأبدان ولكن جعل العقاب روحانياً وكذلك الثواب . انتهى ، وكذلك ترد على رئيس الملاحدة ابن سينا حيث قال : « إن النصارى أثبتوا بعث الأبدان وخلوها عن المطعم والملبس والمشرب والمنكح » انتهى .

قال شيخنا العلامة المجتهد المطلق محمد بن على الشوكانى فى المقالة الفاخرة فى اتفاق الشرائع على إثبات الدار الآخرة : إن أصل هـذه المقالة الملعونة والرواية عن التوراة والانجيل المكذوبة ، مقالات قالها جماعة من معززندقة اليهودوالنصارى كابن ميمون وأضرابه .

وأنهم أى اليهود كفروه ولعنوه بسبب هذه المقالة ، وقد وقع من هـذا الملعون التحريف لما فى التوراة وتلقى ذلك عنهم زنادقة الملة الإسلامية استرواحاً منهم لما يتضمن من القدح فى شرائع الله سبحانه . انتهى .

ثم نقل ما فى التوراة والزبور والانجيل نحو ما ذكرنا وزاد فى المنقول فى رسالته التى سماها (إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيـد والمعاد والنبوات) وهذه الـكتب الثلاثة الإلهية موجودة عندنا باللسان العربى فاستفاد من ذلك أن الأمر خلاف ما قاله زنادقة الملة اليهودية والملة النصرانية ثم تعقب الشوكانى رحمه الله ابن ميمون وابن أبى الحديد وأوضح فساده ثم قال[1] :

وأما نصوص القرآن فهو من فاتحته الى خاتمته مصرحة بالجنة والنار وبعثه الأجسام وتنعمها أو تعذيبها بما اشتمل عليه القرآن من أنواع ذلك ، ومن تتبع مافى كتاب الله سبحانه من حكاية نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار عن الملل السالفة ومن كتب الله المنزلة عليها وجده كثيراً جداً لا يتسع المقام لبسطه ، وقد بعث النبى (ﷺ) وأهل الملة اليهودية والملة النصرانية فى أكثر بقاع الأرض ولم يسمع عن أحد منهم أنه أنكر ذلك أو قال هو خلاف مافى التوراة والإنجيل ، وقد سكن النبى (ﷺ) فى المدينة الشريفة ونزل عليه أكثر القرآن بها ، وكان اليهود متوافرين فيها وفيما حولها من القرى المتصلة بها ، وكانوا

(١) إرشاد الثقات بنحوه (٣٩ـ٤٣) وباختصار .

يسمعون ماينزل الله على رسوله (ﷺ) من القرآن وينكرون ما ورد مخالفاً لما فى التوراة ويجادلون أبلغ مجادلة ، كما حكى ذلك القرآن الكريم وتضمنته كتب السير والتاريخ ، ولم يُسمع أن قائلا قال إنك تحكى عن التوراة مالم يكن فيها من البعث ونعيم الجنة وعذاب النار ، وقد كانوا يتهالكون على ذلك ويبالغون فى تتبعه بل كانوا فى بعض الحالات ينكرون وجود ماهو موجود فى التوراة كالرجم .

فكيف يسكتون عن هذا الأمر العظيم مع سماعهم لحكاية القرآن له عنهم وعن التوراة ، وهل كانوا يعجزون عند أن يسمعوا ما حكاه الله عنهم من قولهم (وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً[١]) أن يقولوا ما قلناهذا ولا نعتقده ولا جاءت به شريعة موسى ، وهكذا عند سماعهم قوله تعالى (إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى[٢]) .

وبهذا تبين أن هذه المقالة لم يسمع بها اليهود ولا النصارى إلا فى عصر رأس الزنادقة ابن ميمون عليه لعائن الله تعالى . انتهى كلامه .

وكلام ابن ميمون هذا كما هو مخالف للملة اليهودية ولماجاءت به التوراة ولما قاله علماء اليهود هو أيضاً مخالف للملة النصرانية ولما جاء به الإنجيل وقاله علماء النصارى ، ومخالف أيضاً لما جاءت به الشريعة الداوُدية وما صرح به الزبور ومخالف أيضاً لما جاءت به الملة الإسلامية وما صرح به القرآن الكريم وأجمع عليه علماء الإسلام بل مخالف لشرائع الأنبياء جميعاً كما حكى ذلك عنهم القرآن فنحن وإن لم نقف على غير التوراة والزبور والإنجيل من شرائع الأنبياء

---

(١) البقرة (٨٠)   (٢) الأعلى (١٨ ، ١٩)

السابقة فقد حكاها لنا القرآن فى غير موضع كقوله تعالى (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى[١]) وقوله (يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ[٢]) وقوله حاكياً عن مؤمن آل فرعون (يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ - إلى قوله - وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ - إلى قوله - فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ[٣]) وقوله (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ[٤]) إلى قوله (وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) الى آخر الآيات بطولها.

والحاصل أن هذا أمر اتفقت عليه الشرائع ونطقت به كتب الله عز وجل سابقها ولاحقها وتطابقت عليه الرسل أولهم وآخرهم، ولم يخالف فيه أحد، وهكذا اتفق على ذلك أتباع جميع الأنبياء من أهل الملل والنحل ولم يسمع عن أحد منهم أنه أنكر ذلك إلا ماتقدم من ابن ميمون الملعون وأفراخه فإنه وقع منه كلام فى إنكار المعاد، ثم اختلف كلامه فى ذلك فتارة يثبته وتارة ينفيه وإنما أنكر أن يكون فيه لذات حسية جسمانية بل لذات عقلية روحانية، ثم تلقى ذلك عنه من هو شبيه به من أهل الإسلام كابن سينا فقلده ونقل عنه ما يفيد أنه لم يأت فى الشرائع السابقة على الشريعة المحمدية إثبات المعاد تقليداً لذلك اليهودى الملعون الزنديق مع أن اليهود قد أنكروا عليه هذه المقالة وسموه كافراً وتبع ابن سينا ابن أبى الحديد شارح نهج البلاغة وهلم جرا.

---

(١) البقرة (١١١) — (٢) المائدة (٧٢)
(٣) غافر (٣٢ — ٤٠) — (٤) آل عمران (٥٥)

﴿ باب ﴾

* (فى بيان وجود النار الآن) *

اعلم أنه لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة ، وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته ، مستندين فى ذلك إلى نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم ، كما تقدم فى المقدمة ، فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة من أهل البدع والأهواء فأنكرت أن تكون الآن مخلوقة موجودة ، وقالت: بل الله ينشئها يوم المعاد . وأن خلق النار قبل الجزاء عبث فإنها تصير معطلة مدداً متطاولة ليس فيها سكانها ! فردوا من النصوص الأصول والفروع ، وضللوا كلَّ من خالف بدعتهم هذه بما لا يسمن ولا يغنى من جوع . ولهذا صار السلف الصالح ومن نحا نحوهم يذكرون فى عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان الآن موجودتان فى الحال ، ويذكر من صنف فى المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث كافة لا يختلفون فيها ، منهم أبو الحسن الأشعرى إمام الاشاعره فى كتابه (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) .

وقد ذكر الله تعالى النار فى كتابه فى مواضع كثيرة يقصر حدها ويفوت عدها ووصفها . وأخبر بها على لسان نبيه ﷺ ونعتها فقال عز من قال (فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ[١]) وقال (وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ[٢]) وقال (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا)[٣]

---

(١) البقرة (٢٤) (٢) آل عمران (١٣١)

(٣) الكهف (٢٩)

وقال (إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا[١]) وقال (وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا[٢]) وقال تعالى (أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا)[٣] وقال (وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا[٤]) وقال (فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا[٥]) وقال (وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ[٦]) وقال (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا[٧]) إلى غير ذلك من الأدلة القطعية التى كلها صيغ موضوعة للمضى حقيقة فلا وجه للعدول عنها إلى المجازات إلا بصريح آية أو صحيح دلالة وأنى لهم ذلك ؟ .

وفى الصحيحين[٨] من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، يُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». وفيهما أيضا أن النبى ﷺ : « رَأَى فِى صَلَاةِ الْكُسُوفِ النَّارَ فَلَمْ يَرَ مَنْظَرًا أَفْظَعَ مِنْ ذَلِكَ »[٩] وفى البخارى[١٠] عن عمران بن حصين عن النبى ﷺ قال: « اطَّلَعْتُ فِى النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ » وفيه دلالة على وجودها حال اطلاعه ، ورواه الترمذى[١١] والنسائى أيضا .

وفى الصحيح[١٢] (باب صفة النار وأنها مخلوقة الآن) وعن أبى ذر عن النبى ﷺ : « أَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ » وعن أبى هريرة رضى الله

---

(١) الكهف (١٠٢) (٢) الفرقان (١١)
(٣) نوح (٢٥) (٤) الفتح (٦)
(٥) الفتح (١٣) (٦) الملك (٥)
(٧) غافر (٤٦) (٨) مسلم (٤/٢١٩٩)
(٩) مسلم (٢/٦٢٦) (١٠) فتح البارى (٥٧/١٤)
(١١) الترمذى (١٧٥/٤) (١٢) فتح البارى (١٣٩/٧) وليس فيه الآن

عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضاً فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ» رواه البخاري [١] أي من ذلك التنفس.

وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ». رواه البخاري [٢] وفي رواية «مِنْ فَوْرِ جَهَنَّمَ» رواه عن رافع بن خديج [٣].

وكل ذلك يفيد وجود النار الآن، وفي مسند أحمد وسنن أبي داود والنسائي من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما: «وَلَقَدْ أُدْنِيَتِ النَّارُ مِنِّي حَتَّى لَقَدْ جَعَلْتُ أَتَّقِيهَا خَشْيَةَ أَنْ تَغْشَاكُمْ [٤]» الحديث وفي صحيح مسلم [٥] من حديث أنس رضي الله عنه أنه ﷺ: قال «لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ «رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ».

وفي مسند أحمد ومسلم والسنن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ وَقَالَ فَوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ

---

(١) فتح الباري ١٤٢/٧ كلا الحديثين (٢و٣) الفتح ١٤٣/٧

(٤) المسند (١٩٨/٩) وقال الشيخ شاكر: اسناده حسن ثم يكون صحيحا لغيره أبو داود (٢٧٣/١) مختصرا ـ النسائي (١١٢/٣ ـ ١١٣) واللفظ له

(٥) صحيح مسلم (٣٢٠/١)

بِالْمَكَارِهِ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا . قَالَ فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ ، قَالَ اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضاً ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَيْهَا فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَلَّا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا ، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح[١] » .

وفي الصحيحين من حديثه أيضاً يرفعه : « حُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ[٢] » وفي الباب أحاديث كثيرة ، وقال الشيخ أحمد ولي الله المحدث الدهلوي في عقائده : الجنة والنار حق وهما مخلوقتان اليوم باقيتان الى يوم القيامة انتهى ، ونحوه ومثله في الكتب الأخرى المؤلفة في أصول الدين .

---

(١) لم نجده في مسلم ، وأثبتنا نص رواية الترمذي (٤/٦٩٣ — ٦٩٤) .

(٢) فتح الباري (١٤/١٠٢) ومسلم (٤/١٢٧٤) .

﴿ باب ﴾

(في أن النار لا تفنى ولا يفنى ما فيها)

قال تعالى « أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (النساء ٢٥٧) وهذه الآية في مواضع من القرآن الكريم وقال تعالى « يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا » (النساء ١٤) وقال تعالى « فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا » (النساء ٩٣) وقال تعالى « أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ » (التوبة ١٧) وقال تعالى : « فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا » (التوبة ٦٣) وقال « فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا » (النحل ٢٩) وهذه في غير موضع من القرآن ، وقال « لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ » (الانبياء ٩٩) وقال « فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ » (المؤمنون ١٠٤) وقال « إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ » (الزخرف ٧٤) وقال : « فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا » (الحشر ١٧) وقال « فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا » (البينة ٦) وقال « وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ » (البقرة ١٦٧) .

وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ كُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هُوَ فِيهِ) أخرجه الشيخان[1] وفي رواية عنه عندهما (فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « يُجَاءُ

---

(١) مسلم (٤/٢١٨٩) .

بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَطَّلِعُونَ مُشْفِقِينَ ، وَيُقَالُ يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَطَّلِعُونَ فَرِحِينَ ، فَيُقَالُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ ، فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَيُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ فِيهَا ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ فِيهَا » أخرجه البخاري[١] ومسلم .

وفي هذا عدة أحاديث من أبي هريرة[٢] عند الترمذي وصححه والحاكم وابن ماجة ، وعن أنس عند أبي يعلى والبزار والطبراني وفيه[٣] : « فَيُذْبَحُ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ فَيَأْمَنُ هَؤُلَاءِ وَيَنْقَطِعُ رَجَاءُ هَؤُلَاءِ » ، فثبت بما ذكر من الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلوداً مؤبداً كل بما هو فيه من نعيم وعذاب أليم .

وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة فأجمعوا على أن عذاب الكفار لا ينقطع كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع ، ودليل ذلك الكتاب والسنة وزعمت الجهمية أن الجنة والنار تفنيان ، قال هذا جهم بن صفوان إمام المعطلة وليس له في ذلك سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الدين ولا قال به أحد من أهل السنة . نعم حكى بعض العلماء في أبدية النار قولين وحاصل ذلك كله سبعة أقوال :

(أحدها) قول الخوارج والمعتزلة أن من دخل النار لا يخرج منها أبداً بل كل من دخلها يخلد فيها أبداً الآباد .

(الثاني) قول من يقول أن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى

---

(١) البخاري (٦/١١٧–١١٨)
(٢) مخرج ص (١٨٧)
(٣) مخرج ص (١٨٨) .

طبائعهم نارية يتلذذون بالنار لموافقتها لطبائعهم وهذا قول محي الدين بن عربي الطائي في كتابه (فصوص الحكم) وغيره من كتبه .

(الثالث) قول من يقول إن أهل النار يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ فكذبهم فيه وقد كذبهم الله تعالى أيضاً في قوله: « وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَالَا تَعْلَمُونَ ؟ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (البقرة ٨٠ ـ ٨١) فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابه والقائلين به وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الدين على فساده .

(الرابع) قول من يقول يخرجون منها وتبقى ناراً بحالها ليس فيها أحد يعذب، ذكره شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى عن بعض أهل الفرق قال: والقرآن والسنة يردان هذا القول .

(الخامس) قول من يقول تفنى النار بنفسها لأنها حادثة كانت بعد أن لم تكن ، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديته ، وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده بين الجنة والنار .

(السادس) قول من يقول تفنى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جماداً لا يتحركون ولا يحسون بألم . وهذا قول أبي الهذيل العلاف أحد أئمة المعتزلة طرداً لامتناع حوادث لانهاية لها ، والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم .

(السابع) قول من يقول إن الله تعالى يفنيها لأنه ربها وخالقها ، لأنه

تعالى على زعم أرباب هـــذا القول جعل لها أمداً تنتهى إليه ثم تفنى ويزول عذابها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية. وقد نقل هذا عن طائفة من الصحابة والتابعين، ولشيخ الإسلام وتلميذه الإمام المحقق الحافظ ابن القيم رحمهما الله تعالى ركون إلى هذا القول ، وذكر ابن القيم على تأييده بضعا وعشرين وجها ثم قال : وما ذكرناه فى هذه المسألة من صواب فمن الله وهو المنان به ، وما كان من خطأ فمنى ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه .والله عند لسان كل قائل وقصده والله أعلم : انتهى .

وقد ألف العلامة الشيخ مرعى الكرمى الحنبلى رسالة سماها (توفيق الفريقين على خلود أهل الدارين) وفى الباب رسالة السيد الإمام محمد بن اسماعيل الأمير ، ورسالة القاضى العلامة المجتهد محمد بن على الشوكانى حاصلهما بقاء الجنة والنار وخلود أهلهما فيهما ، وهو الحق الذى دلت عليه أدلة الكتاب والسنة وإجماع الأئمة والأمة والله أعلم .

قال القرطبى : أجمع علماء أهل السنة على أن أهل النار مخلدون فيها غير خارجين منها كإبليس وفرعون وهامان وقارون وكل من كفر وتكبر وطغى وتجبر فإن له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ، وقد وعدهم الله عذاباً أليما فقال عز وجل : (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) واجمع أهل السنة أيضاً على أنه لا يبقى فيها مؤمن ولا يخلد فيها إلا كافر جاحد . فاعلمه .

وقد زل هنا بعض من ينتمى إلى العلم والعلماء : فقال إنه يخرج من النار

كل كافر ومبطل وشيطان وجاحد ويدخل الجنة وإنه جائز فى العقل أن تنقطع صفة الغضب ، فيعكس عليه فيقال وكذلك جائز فى العقل : أن تنقطع صفة الرحمة فيلزم عليه أن تدخل الأنبياء والأولياء النار يعذبون فيها ، وهذا فاسد مردود بوعده الحق وقوله الصدق قال تعالى فى حق أهل الجنان «عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ»(هود ١٠٨)أى غير مقطوع وقال «وَمَاهُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ»(الحجر ٤٨) وقال: «لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» (الانشقاق ٢٥)وقال: «لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً»(التوبة ٢١-٢٢) وقال فى حق الكافرين «لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ» (الأعراف ٤٠) وقال «فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» (الجاثية ٣٥) وهذا واضح .

وبالجملة فلا مدخل للمعقول فيمن اقتطع أصله بالإجماع والمنقول . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، انتهى .

لعل القرطبي أراد بقوله «زل هنا بعض» الشيخ محي الدين بن عربى صاحب الفتوحات فإنه ذهب إلى ذلك وتبعه من تبعه من علماء الشريعة ، وبناء هذا القول على أنه ترجح فى أنظارهم سبق رحمة الله على غضبه كما ورد بذلك الحديث الصحيح فى البخارى وغيره وعلى أن الخلف فى الوعيد جائز وفى الوعد لا يجوز ، ولكل وجهة هو موليها ، ولكن لا ريب فى أن ظاهر النظم القرآنى وواضح النص السنى : خلود كل من أهل النار والجنة فى كل من الجنة والنار . وهو الحق المطابق بالأدلة الشرعية المجمع عليها المصار إليها . والله أعلم وعلمه أتم وأحكم .

* (مسئلة) * سئل شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله عن حديث روى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ أنه قال «سبعة لا تموت ولا تفنى

ولا تذوق الفناء . النار وسكانها ، والجنة وسكانها واللوح والقلم والكرسي والعرش ، فهل هذا الحديث صحيح أم لا :

فأجاب رحمه الله : هذا الحديث بهذا اللفظ ليس من كلام النبي ﷺ وإنما هو من كلام بعض العلماء ، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعة كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم وهذا قول باطل مخالف لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها ، وقد دلت الأدلة على بقاء الجنة والنار وأهلهما وبقاء غير ذلك ، وقد استدل طوائف من أهل الكلام والمتفلسفة على امتناع فناء جميع المخلوقات بأدلة عقلية . انتهى ولا يتسع المقام لذكرها هنا .

﴿ باب ﴾

(فى ذكر مكان النار ، وأين هى ؟ على مقتضى الآثار : وكذا مكان الجنة)

فاعلم أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن كما قال تعالى فى محكم القرآن «وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى» النجم (١٣ــ١٥) وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء السابعة : وقال تعالى : «وَفِى السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ» (الذاريات ٢٢) قال مجاهد هو الجنة ، وتلقاه الناس عنه رواه ابن أبى نجيح ، وفى رواية عنه : هو الجنة والنار . حكاه ابن المنذر فى تفسيره[١] .

وعن عبد الله بن سلام قال : «إن أكرم خليقة الله أبو القاسم ﷺ وإن الجنة فى السماء» أخرجه أبو نعيم[٢] ، وعنده أيضاً عن ابن عباس «أن الجنة فى السماء السابعة» ويجعلها الله تعالى حيث شاء يوم القيامة ، وجهنم فى الأرض السابعة» وعن ابن مسعود رضى الله عنه «الجنة فى السماء الرابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء والنار فى الأرض السابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء» أخرجه ابن منده[٣] .

وقال مجاهد قلت لابن عباس «أين الجنة ؟ قال فوق سبع سموات ، قلت فأين النار ؟ قال تحت سبعة أبحر مطبقة»[٤] رواه ابن منده ، قال الشوكانى فى

---

(١) ذكره ابن القيم باسناده عنــه (٤٣) حادى الأرواح ــ ولوامع الأنوار (٢٣٧) .

(٢)و(٣)ذكره ابن القيم باسناده عنه(٤٤)ولوامع الأنوار البهية(٢٣٧).

(٤) ذكره ابن القيم بإسناده (٤٤) ولوامع الانوار (٢٣٧) .

فتح القدير : والأولى الحمل على ماهو الأعم من هذه الأقوال فإن جزاء الأعمال مكتوب في السماء والقدر والقضاء ينزل منها والجنة والنار فيها. انتهى (١).

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « إن جهنم محيطة بالدنيا . وإن الجنة من ورائها فلذلك كان الصراط على جهنم طريقاً إلى الجنة » أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢).

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه سئل رسول الله ﷺ من أين يجاء بجهنم يوم القيامة ؟ قال: « يجاء بها من الأرض السابعة لها سبعون ألف زمام يتعلق بكل زمام سبعون ألف ملك تصيح إلى أهلى إلى أهلى فإذا كانت من العباد على مسيرة مائة سنة زفرت زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه يقول رب نفسى نفسى » وأخرجه جويبر في تفسيره (٣).

وعن يعلى بن أمية رضى الله عنه ان النبي (ﷺ) قال: « البَحْرُ هُوَ جَهَنَّمُ » أخرجه أحمد والبيهقى بسند رجاله ثقات (٤) وعن سعيد بن ابى الحسين قال : « البحر طبق جهنم » أخرجه أحمد في الزهد، وعن على بن أبى طالب (رضى الله عنه) قال : مارأيت يهودياً أصدق من فلان زعم ان نار الله الكبرى هى البحر فإذا كان يوم القيامة جمع الله فيه الشمس والقمر والنجوم ثم بعث عليه الدبور فسعرته . أخرجه ابو الشيخ في العظمة (٥) والبيهقى من طريق سعيد بن

---

(١) فتح القدير (٥/٨٥) بنحوه ، والسياق فى توضيح معنى « ما توعدون » من قوله تعالى : « وفى السماء رزقكم وما توعدون » .
(٢) ذكر اخبار اصبهان (٢/٩٣) ، وقال ابن رجب (٤٧) : غريب منكر
(٣) قال محققو لوامع الانوار : بل فيهم من لم يوثق توثيقا معتمدا(٢٣٨)
(٤) كذا قال الهيثمى (١٠/٣٨٦) (٥) لوامع الانوار (٢٣٩)

المسيب .

وعن كعب فى قوله تعالى : « وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ » (الطور ٦) قال البحر يسجر فيصير جهنم . أخرجه أبو الشيخ وعن وهب بن منبه أنه قال : إذا قامت القيامة أمر بالفلق فيكشف عن سقر وهو غطاؤها فتخرج منه نار فإذا وصلت إلى البحر المطبق على شفير جهنم وهو بحر البحور نشفته أسرع من طرف العين وهو حاجز بين جهنم والأرضين السبع ، فإذ نشفت اشتعلت فى الأرضين السبع فتدعها جمرة واحدة . أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان .

وقيل إن النار فى السماء كالجنة لما روى أحمد من حديث حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « أتيت بالبراق فلم نزايل ظهره أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس وفتحت لنا أبواب السماء ورأيت الجنة والنار » وأخرج أيضاً عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فِي السَّمَاءِ » وقرأ هذه الآية « وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ »(الذاريات ٢٢) فكأنى لم أقرأها .

قال السفارينى : « وليس فى هذا ونحوه حجة على أن النار فى السماء لجواز أن يراها فى الأرض وهو فى السماء ، وهذا الميت يرى وهو فى قبره الجنة والنار وليست الجنة فى الأرض ، وثبت أنه صلى الله عليه وسلم رآهما فى صلاة الكسوف وهو فى الأرض .

قال الحافظ ابن رجب وحديث حذيفة إن ثبت [وفيه أنه رأى الجنة والنار فى السماء] فالسماء ظرف للرؤية لا للمرئى . وفى حديث ضعيف جداً أنه (ﷺ)

---

(١) قال المناوى : باسناد حسن (١٦/١ أ) الجامع الأزهر .

(٢) نقله ابن رجب من رواية المروزى عنه ، وذكر قوله : وهو تصديق لما قاله حذيفة وعزاه للخلال فى كتاب السنة ، ثم قال ابن رجب : وهذا اللفظ الذى احتج به الامام أحمد لم نقف عليه بعد فى حديثه ، وانما ورد عنه ما تقدم (٤٧-٤٨) .

رأى الجنة والنار فوق السموات فلو صح حمل على ما ذكرنا .

والحاصل أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها العرش ، وأن النار فى الأرض السابعة على الصحيح المعتمد وبالله التوفيق » انتهى[١] .

أقول : قال السيوطى فى إتمام الدراية شرح النقاية : وتعتقد أن الجنة فى السماء وقيل فى الأرض وقيل بالموقف حيث لا يعلمه إلا الله ، والذى اخترته هو المفهوم من سياق القرآن والحديث كقوله تعالى فى قصة آدم (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا) وفى الصحيح[٣] : « سَلُوا اللهَ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ » وفى صحيح مسلم[٢] « أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ » ونقف عن النار أى نقول فيها بالوقف أى محلها حيث لا يعلمه إلا الله ، فلم يثبت عندى حديث أعتمده فى ذلك وقيل تحت الأرض لما روى ابن عبد البر وضعفه من حديث ابن عمر مرفوعاً لا يركب البحر إلا غاز أو حاج أو معتمر فإن تحت البحر ناراً . وروى عنه أيضاً موقوفاً لا يتوضأ بماء البحر لأنه طبق جهنم . وضعفه ، وقيل هى على وجه الأرض لما روى وهب أيضاً قال : قال : أشرف ذو القرنين على جبل قاف فرأى تحته جبالا صغاراً — إلى أن قال — يا قاف أخبرنى عن عظمة الله فقال إن شأن ربنا لعظيم . إن ورائى أرضاً مسيرة خمسمائة عام فى خمسمائة عام من جبال ثلج يحطم بعضها بعضا ولولا هى لاحترقت من جهنم .

---

(١) ص (٢٣٩) لوامع الأنوار البهية.

(٢) لفظ مسلم : « أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل »

(٣) البخارى (١٩/٤ — ٢٠) وفيه : فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة أراه فوقه عرش الرحمن .

وروى الحارث بن أسامة في مسنده عن عبد الله ابن سلام قال : « الجنة في السماء والنار في الأرض » وقيل محلها في السماء . انتهى كلام السيوطي ومثله في التذكرة للقرطبي قال : فهذا يدل على أن جهنم على وجه الأرض والله أعلم بموضعها وأين هي من الأرض . انتهى .

وقال الشيخ أحمد ولي الله المحدث الدهلوي في عقيدته : ولم يصرح نص بتعيين مكانهما بل حيث شاء الله تعالى إذ لا إحاطة لنا بخلق الله وعوالمه ، انتهى.

أقول وهذا القول أرجح الأقوال وأحوطها إن شاء الله تعالى .

(باب)

* (فى آيات من الكتاب العزيز وردت فى جهنم) *

قال القرطبى فى التذكرة : « ذكر الله تعالى النار فى كتابه ووصفها وأخبر بها على لسان نبيه ﷺ ونعتها وأوعد بها الكافرين وخوف الطغاة والمتمردين والعصاة من الموحدين ليزجروا عما نهاهم ، والآى فى هذا المعنى كثيرة » انتهى . وهذا الكثير أذكره فى بابين فهذا الباب أوردت فيه ما ورد من ذكر النار فى الكتاب ثم أتبعه بباب آخر أذكر فيه ما ورد فى صفة النار وأهلها وإن كان فى هذا الاختيار والترتيب بعض التكرير وبالله التوفيق .

قال تعالى: «فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ». (البقرة ٢٤) الوقود بالفتح الحطب وبالضم التوقد وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها . وفى هذا من التهويل ما لا يقادر قدره من كون هذه النار تتقد بالناس والحجارة فاوقدت بنفس ما يراد إحراقه بها ، ومعنى (أُعِدَّتْ) جعلت عدة لعذابهم وهيئت كذلك قاله ابن عباس .

وعن أنس قال تلا رسول الله ﷺ هذه الآية فقال: [1] «أوقد عليها ألف عام حتى احمرت وألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يطفأ لهيبها » أخرجه ابن مردويه والبيهقى فى شعب الإيمان وأخرج

---

(١) ترغيب (٨٦٧/٤)

ابن أبي شيبة والترمذي وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة مرفوعا منه وأخرج أحمد ومالك والبخاري ومسلم عنه بلفظ أن رسول الله ﷺ قال (نَارُ بَنِي آدَمَ الَّتِي يُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ . فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ فَإِنَّهَا قَدْ فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءاً كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا[1] .

وعن أبي هريرة قال: « ترونها حمراء مثل ناركم هذه التي توقدون ، إنها لأشد سوادا من القار » قال الشوكاني في فتح القدير : والآية دلت على أنها مخلوقة إذ الأخبار عن إعدادها بلفظ الماضي دليل على وجودها وإلا لزم الكذب في خبر الله تعالى ، فازعمت المعتزلة من أنها تخلق يوم الجزاء مردود وتأويلهم بأنه يعبر عن المستقبل بالماضي لتحقيق الوقوع ومثله كثير في القرآن مدفوع بأنه خلاف الظاهر ولا يصار إليه إلا بقرينة والأحاديث الصحيحة المتقدمة تدفعه . انتهى .

وقال تعالى : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » . (البقرة ٣٩) أي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها والخلد والخلود : البقاء الدائم الذي لا ينقطع وقد يستعمل مجازاً فيما يطول : دام أو لم يدم ، والمراد هنا الأول لما تشهد له الآيات والأحاديث .

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : « لو قيل لأهل النار إنكم ماكثون في النار عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا ولو قيل لأهل الجنة إنكم ماكثون عدد كل حصاة لحزنوا ولكن جعل لهم الأبد » . أخرجه الطبراني[2] وابن مردويه وأبو نعيم وقال ابن عباس يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً لا إنقطاع له .

---

(١) مسلم (٤/ ٢١٨٤) - البخاري (٤/١٤٧)
الموطأ (٦١٤) واللفظ له ماعدا : « كلهن مثل حرها » فللبخاري ومسلم .
(٢) مجمع الزوائد (١٠/٣٩٦) قال الهيثمي : فيه الحكم بن ظهير وهو مجمع على ضعفه .

وقال تعالى : « وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً » (البقرة ٨٠) أي قدراً مقدراً يحصرها العدد ويلزمها في العادة القلة ثم يرفع عنا العذاب قاله اليهود ، وفي سبب نزولها في الحديث قال رسول الله ﷺ : « كذبتم بل أنتم خالدون مخلدون فيها »[1] ، قاله عكرمة ، وهذه الآية في مواضع من القرآن .

وقال تعالى : « وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ » (البقرة ١١٩) وهي النار الشديدة التأجج وكل نار بعضها فوق نار ، وقال أبو مالك : الجحيم ما عظم من النار ، وقال تعالى : «وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ » (البقرة ١٢٦) بما رزقه في الدنيا مدة حياته ثم أَزُّهُ[2] المضطر إلى عذابها .

وقال تعالى : « وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ » (البقرة ١٦٧) فيه دليل على خلود الكفار في النار وظاهر هذا التركيب يفيد الاختصاص وجعله الزمخشري للتقوية لغرض له يرجع إلى المذهب والبحث في هذا يطول ، وعن ثابت بن معبد قال : « ما زال أهل النار يأملون الخروج منها حتى نزلت هذه الآية » .

وقال تعالى : «أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ » (البقرة ١٧٤) ذكر البطون دلالة وتأكيداً على أن هذا الأكل حقيقة ، وقال تعالى : « فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ » (البقرة ١٧٥) معناه التعجب والمراد تعجب الخلق من حال هؤلاء الذين باشروا الأسباب الموجبة لعذاب النار فكأنهم بهذه المباشرة للأسباب صبروا على العقوبة في نار جهنم .

وقال تعالى : « وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » (آل عمران ١٦) وقال تعالى : « وَإِذَا

(١) اورده ابن جرير (٢٧٧/٢) عن عكرمة مرسلا فلذلك قال الشيخ شاكر : وهو حديث مرسل لا تقوم به حجة .

(٢) الأَزُّ : الزمه إياه ، والأَزُّ : الشدة ، ولزه يلزه لزًّا ولززاً أي شده والصقه . قاله في اللسان .

قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ » (البقرة ٢٠٦) أى كافية معاقبة وجزاء وسميت مهاداً لأنها مستقر الكفار ، وقيل أنها بدل لهم من مهاد والمهاد الفراش ، قال مجاهد : بئسما مهدوا لأنفسهم ، وقال ابن عباس : بئس المنزل وهذا من باب التهكم والاستهزاء .

وقال تعالى : « أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ » (البقرة ٢٢١) أى إلى الأعمال الموجبة للنار فكان فى مصاهرة المشركين ومعاشرتهم ومصاحبتهم من الخطر العظيم ما لا يجوز للمؤمنين أن يتعرضوا له ويدخلوا فيه ، وقال تعالى : « وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ » (آل عمران ١٠) أى حطب جهنم التى تسعر به ، وقال تعالى : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) (آل عمران ١٢) الجملة مستأنفة تهويلا وتفظيعاً أى بئس ما مهد لهم فيها ، وقال تعالى : « وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا » (آل عمران ١٠٣) وشفا كل شىء حرفه أى كنتم على طرفها من مات منكم وقع فى النار فبعث الله محمداً ﷺ واستنقذكم به من تلك الحفرة .

وقال تعالى : « وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » (آل عمران ١٣١) قال بعضهم إن هذه الآية أخوف آية فى القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه ويجتنبوا محارمه ، وقال تعالى : « وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ » (آل عمران ١٥١) أى مسكنهم الذين يستقرون فيه وكلمة « بِئْسَ » تستعمل فى جميع المذام ، وفى جعلها مثواهم بعد جعلها « مأواهم » رمز إلى خلودهم فإن المثوى مكان الإقامة المنبئة عن المكث ، والمأوى المكان الذى يأوى إليه الإنسان ، وقدم المأوى على المثوى لأنه على الترتيب الوجودى يأوى ثم يثوى .

وقال تعالى : « وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ » (آل عمران ١٦٢) أى المرجع يعنى الغال والمختلف عن رسول الله ﷺ : وقال تعالى : « ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ » والحريق اسم للنار الملتهبة وإطلاق الذوق على إحساس العذاب فيه مبالغة بليغة ، وقال تعالى : « فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ » (آل عمران ١٨٥) الزحزحة التنحية والإبعاد ، وقال تعالى : « سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ . رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ » (آل عمران ١٩١ ـ ١٩٢) قال المفضل أخزيته أهلكته . وقيل فضحته وأبعدته ، قال سعيد بن المسيب : هذه الآية خاصة بمن لا يخرج منها .

وقال تعالى « إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً » (النساء ١٠) المراد بأكلها ما يكون سبباً للنار ، تعبير بالمسبب عن السبب ، قيل بطونهم أوعية النار وهذا على الحقيقة كما تقدم .

وقيل بالمجاز والأول أولى ، وقال تعالى « وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا » (النساء ١٠) أى بأكلهم أموال اليتامى والصلا هو التسخن بقرب النار أو بمباشرتها ، والسعير الجمر المشتعل وقيل النار الموقدة ، وقال تعالى : « وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ » (النساء ١٤) وله بعد إدخاله النار عذاب ذو إهانة لا يعرف كنهه . ولا دليل فى الآية للمعتزلة على أن العصاة والفساق من أهل الإيمان مخلدون فى النار ، قال تعالى : « فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً » أى عظيمة محرق فيها . وقال تعالى : « وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً » أى ناراً مسعرة لمن لا يؤمن . وقال تعالى « سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ » (النساء ٥٦) أى آتيناهم مكان كل جلد محترق جلداً آخر غير محترق فإن ذلك أبلغ فى العذاب

للشخص لأن إحساسه لعمل النار فى الجلد الذى لم يحترق أبلغ من إحساسه لعملها فى الجلد المحترق ، قال معاذ تبدل فى ساعة مائة مرة .

وعن ابن مسعود أن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً وقال الحسن[1] تأكلهم النار فى كل يوم سبعين ألف مرة ، وقال تعالى: « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا » (النساء ٩٣) وليس وراء هذا التشديد تشديد ، ولا مثل هذا الوعيد وعيد .

وقال تعالى « وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » (النساء ١١٥) .

وقد استدل جماعة من أهل العلم بهذه الآية على حجية الإجماع ولا حجة فى ذلك كما قرره الشوكانى فى كتبه وقررته أنا فى فتح البيان ، وقال تعالى: « أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا » (النساء ١٢١) أى معدلاً وقيل ملجأ ومخلصاً ومحيداً ومهرباً ، والمحيص اسم مكان وقيل مصدر .

وقال تعالى : « أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » (النساء ٩٧) أى مكانا يصيرون إليه ، والآية تدل على أن من لم يتمكن من إقامة دينه فى بلد كما يجب بأى سبب كان وعلم أنه يتمكن من إقامته فى غيره حقت عليه الهجرة ، وفى الباب أحاديث ذكرناها فى خاتمة كتاب (العبرة مما جاء فى الغزو والشهادة والهجرة) فراجعه .

وقال تعالى « إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً » (النساء ١٤٠) أى كما اجتمعوا فى الدنيا على الكفر والاستهزاء ، وقال تعالى « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ

---

(١) ذكره الألوسى (٥/٥٩) روح المعانى ـ فتح البيان (٢/٣٠٢)

فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا» (النساء ١٤٥) أى فى الطبق الذى فى قعر جهنم ، والدرك الطبق ، والنار دركات سبع بعضها فوق بعض ، وسميت طبقاتها دركات لأنها متداركة متتابعة .

فالمنافق فى الدرك الأسفل منها وهى الهاوية لغلظ كفره وكثرة غوائله ، وأعلى الدركات جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وسيأتى تفصيل لذلك ، وقد يسمى جميعها باسم الطبقة العليا ، أعاذنا الله منها وقيل الدرك بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم .

وإنما كان المنافق أشد عذاباً من الكافر لأنه أمن السيف فى الدنيا فاستحق الدرك الأسفل فى الآخرة تعديلا ، ولأنه مثله فى الكفر وضم إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله ، قال ابن مسعود[1] : الدرك الأسفل توابيت من حديد مقفلة عليهم وفى لفظ مبهمة عليهم أى مغلقة لا يهتدى لمكان فتحها . وعن أبى هريرة نحوه[2] .

وقال تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا » (النساء ١٦٨ — ١٦٩) والمعنى يدخلهم جهنم لكونهم اقترفوا ما يوجب لهم ذلك بسوء اختيارهم وفرط شقائهم وجحدوا الواضح وعاندوا البين .

وقال تعالى: « وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ » (المائدة ٨٦) أى ملابسوها ، والجملة مستأنفة أتى بها اسمية دالة على الثبوت

(١،٢) ذكره بإسناده ابن كثير ٢/ ٢٩٣ ـ فتح البيان (٢/٣٩٥)

والاستقرار ، وهذه الآية نص قاطع فى أن الخلود ليس إلا للكفار ، لأن المصاحبة تقتضى الملازمة .

وقال تعالى: «إِنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ » (المائدة ٢٩) أى من الملازمين لها ، قال تعالى: «يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ» (المائدة ٣٧) أى دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل أبداً .

وقد تواترت الأحاديث تواتراً لا يخفى على من له أدنى إلمام بعلم الرواية بأن عصاة الموحدين يخرجون من النار ، فمن أنكر هذا فليس بأهل المناظرة لأنه أنكر ما هو من ضروريات الشريعة .

وقال تعالى: « إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ » (المائدة ٧٢) أى مصيره إليها فى الآخرة .

وقال تعالى« وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ » (الأنعام ٢٧) أى حبسوا عليها وقيل أدخلوها وقيل بقربها معاينين لها ، والتقدير لرأيت منظراً هائلا وحالا فظيعا وأمراً عجيباً .

قال تعالى: « أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ » (الأنعام ٧٠) والحميم الماء الحار البالغ نهاية الحرارة ، ومثل قوله تعالى : « يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ» (الحج ١٩) وهو هنا شراب يشربونه فيقطع أمعاءهم .

وقال تعالى: « لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ » (الأعراف ١٨) وفى هذا من التهديد ما لا يقادر قدره ، وقال تعالى: « لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ »

(الأعراف ٤١) جمع غاشية أي نيران تحيط بهم من تحتهم وتغشاهم من فوقهم كالأغطية، قال ابن عباس: الغواش اللحف ، وبه قال القرظي والضحاك والسدي[1] .

وقال تعالى : « وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ » (الأعراف ١٧٩) أي جعلهم سبحانه للنار بعدله وبعمل أهلها يعملون وقد علم ما هم عاملون قبل كونهم كما ثبت في الأحاديث الصحيحة .

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن الله لما ذرأ لجهنم من ذرأ كان ولد الزنا ممن ذرأ لجهنم» أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن النجار[2] .

وعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلابِ آبَائِهِمْ ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلاً خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلابِ آبَائِهِمْ » أخرجه مسلم[3] .

وقال تعالى « وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ » (الأنفال ١٤) إشارة إلى العقاب الآجل الذي أعده الله لهم في الآخرة ، وقال تعالى : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ » (الأنفال ٣٦) أي يساقون إليها لا إلى غيرها والمراد المستمرون على الكفر .

وقال تعالى : « فَيَجْعَلَهُ » أي الفريق الخبيث « فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ » . (الأنفال ٣٧) أي الكاملون في الخسران .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٠٧) - فتح البيان (٣/ ٣٣٢)

(٢) تفسير الطبري (٨/ ١٣١) والراوي عن ابن عمرو مجهول ، فلا تقوم بهذا الخبر حجة .

قال ابن الديبع في تمييز الطيب (١٨٣) : ولد الزنا لا يدخلُ الجنّة : يدور على الألسنة ، ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونص الفيروزابادي في سفر السعادة (١٤٥) : على ان هذا الباب لم يثبت فيه شيء ، وهو باطل .

(٣) مسلم (٤/ ٢٠٥٠)

وقال تعالى: « وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ » (الأنفال ٥٠) أى المحرق والذوق قد يكون محسوساً وقد يوضع موضع الابتلاء والاختبار.

وقال تعالى: « أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ » (التوبة ١٧) وفى هذه الجملة الإسمية مع تقديم الظرف المتعلق بالخبر تأكيد لمضمونها. وقال تعالى: « وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ، هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ » التوبة (٣٥ - ٣٦).

والبشارة بالعذاب من باب التهكم بهم وأن النار توقد على ما ذكر من الأعضاء وهى ذات حمى وحر شديد، وقال تعالى: « وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ » أى مشتملة عليهم من جميع الجوانب لا يجدون عنها مخلصاً ولا يتمكنون من الخروج منها بحال من الأحوال ، وهذا وعيد لهم على ما فعلوا ، وقال تعالى: « أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ » (التوبة ٦٣) أى يخالفهما وأصل المحادة وقوع هذا فى حد وذلك فى حد ، وقال تعالى: « وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ » (التوبة ٦٨) أى نوع آخر من العذاب غير النار دائم لا ينفك عنهم كالزمهرير واللعن يصلونها مقيمين فيها مقدرين الخلود والنار كافيهم جزاء وعقاباً لا يحتاجون إلى زيادة على عذابها.

وقال تعالى: « قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ » (التوبة ٨١) أى حراً كثيراً فى زمن كبير بل غير متناه أبد الآبدين ودهر الداهرين ، وقال تعالى: « وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » (التوبة ٩٥) والمأوى كل مكان يأوى إليه ليلا أو نهاراً.

وقال تعالى: « أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ » (التوبة ١٠٩) والشفا الشفير يقال أشفا على كذا إذا دنا منه وقرب أن يقع فيه والجرف ما ينجرف بالسيول وهي الجوانب التي تنحفر بالماء ، وقيل المكان الذي أ كل الماء تحته فهو إلى السقوط قريب ، وقيل البئر التي لم تطو ، وقيل هو الهوة ، والاجتراف اقتلاع الشيء من أصله والهار الساقط .

قال ابن عباس أي صيرهم نفاقهم إلى النار وجاء بالانهيار الذي هو للجرف ترشيحاً للمجاز ، فسبحان الله ما أبلغ هذا الكلام وأقوى تراكيبه وأوقع معناه وأفصح مبناه، وقال تعالى: « مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ » (التوبة ١١٣) فيه النهي عن الاستغفار للمشركين الذين هم أهل النار .

وقال تعالى: « لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ » (يونس ٤) وهو الماء الحار الذي قد انتهى حره وكل مسخن عند العرب فهو حميم ، وقال تعالى : « أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (هود ١٦) الآية خاصة بالكفار ، وقال تعالى: « وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ » أي بالنبي أو القرآن « مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ » (هود ١٧) أي من أهل النار لا محالة وفي جعل النار موعداً اشعار بأن فيها مالا يحيط به الوصف من أفانين العذاب .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ » أخرجه البغوي بسنده[1] . قال سعيد بن جبير[2]: ما بلغني حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه إلا وجدت

---

(١) عزاه في مشكاة المصابيح لصحيح مسلم (٦٧/١) وهو في مسلم (١٣٤/١)

(٢) نقله ابن كثير (٤/ ٢٤٦) بنحوه . وهو في فتح البيان(٤/ ٣٣٨)

مصداقه فى كتاب الله حتى بلغنى هذا الحديث فقلت أين هذا فى كتاب الله ؟ حتى أتيت على هذه الآية .

وقال تعالى: « وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ » (هود ١١٣) وفيه أن الظلمة أهل النار ومصاحبة النار توجب لا محالة مسها ، وهذا فيمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم نفسه ؟ وقال تعالى: « وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » (هود ١١٩) أى ممن يستحقها من الطائفتين .

وقال تعالى: « وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (الرعد ٥) جمع غُل بالضم وهو طوق من حديد يجعل فى العنق وتشد به اليد إلى العنق أى يغلون بها يوم القيامة كما يقاد الأسير ذليلا بالغل ، وقال تعالى: « وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ » (الرعد ٣٥) أى ليس لهم عاقبة ولا منتهى إلا ذلك .

قال تعالى: « مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ » (إبراهيم ١٦) أى من بعده وقيل من أمامه « وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ » (إبراهيم ١٦) أى ما يسيل من الجلود واللحوم ، وهو دم مختلط بقيح يسيل من جلد الكافر ولحمه . وقال مجاهد[1] هو القيح والدم ، وقال القرظى هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر « يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ » (إبراهيم ١٧) أى يبتلعه .

وعن أبى أمامة[2] عن النبى ﷺ قال: « يُقَرَّبُ إِلَى فِيهِ فَيَكْرَهُهُ فَإِذَا أُدْنِيَ مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ وَوَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ يقول الله « وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ » (محمد ١٥) ويقول: « وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا

---

(١) نقله عنه ابن كثير (٤٠٤/٤) . فتح البيان (١٣٠/٥ - ١٣١)

(٢) الترمذى (٧٠٥/٤) وابن كثير (٤٠٤/٤) عن الإمام أحمد . وخرجه الحاكم فى المستدرك (٣٥١/٢) وصححه على شرط مسلم وأقره الذهبى .

يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا »(الكهف ٢٩)
أخرجه أحمد والترمذى واستغربه والنسائى وابن أبى الدنيا وأبو يعلى وابن
مردويه والبيهقي وأبى نعيم فى الحلية .

« وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ » (إبراهيم ١٧) أى من كل جهة من الجهات
الست أو من كل موضع من مواضع بدنه ، والمراد بالموت البلاء الذى يصيب
الكافر فى النار سماه موتاً لشدته (وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ) حقيقة فيستريح وقيل تعلق
نفسه فى حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فيحيا ،
ومنه قوله: « ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا »(الأعلى ١٣)وقيل ماهو بميت لتطاول
شدائد الموت به وامتداد سكراته عليه « وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ » (إبراهيم ١٧)
أى شديد يستقبل فى كل وقت عذاباً أشد مما هو عليه ، قيل هو الخلود فى النار
وقيل حبس الأنفاس .

وقال تعالى : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ
دَارَ الْبَوَارِ. جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ »(إبراهيم ٢٨) أى قرارهم فيها ، أوبئس
المقر جهنم ،والبوار الهلاك؛ وقال تعالى: « لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ »
(النحل ٦٢)أى مقدمون إلى النار ، وقيل متروكون منسيون فيها ، وقيل
معجلون إليها ، وقيل مسرفون فى الذنوب ، وقرىء بكسر الراء أى مضيعون
أمر الله .

وقال تعالى : « وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا » (الإسراء ٨) أى سجناً
ومحبساً لا يخلصون منها أبداً ، وقيل فراشاً ومهاداً ، وقال تعالى: « ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ
جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا » (الإسراء ١٨) أى ملوماً من الخلق مطروداً
من رحمة الله مبعداً عنها ، وقال تعالى « وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي

جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا» (الإسراء ٣٩) ومعناه ماتقدم آنفا، وقال تعالى: «فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا» (الإسراء ٦٣) أى وافراً مكملا، وقيل بإضمار تجازون.

وقال تعالى: «وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا» (الكهف ١٠٠) أى أظهرناها حتى شاهدوها يوم جمعنا لهم، وفى ذلك وعيد للكفار عظيم لما يحصل لهم عند مشاهدتها من الفزع والروعة، وقال تعالى: «إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا» (الكهف ١٠٢) يتنعمون به عند ورودهم، والنزل المأوى والمنزل، والمعنى أن جهنم معدة لهم كما يعد النزل للضيف.

وقال تعالى: «ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا» (مريم ٦٨) أى جاثين على ركبهم لما يصيبهم من هول الموقف وروعة الحساب، وقيل جثيا أى جماعات، وقال ابن عباس قعوداً. وقال تعالى: «وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» (مريم ٧١) أى النار «كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا» أى أمراً محتوما لازما قد قضى سبحانه أنه لا بد من وقوعه لا محالة بمقتضى حكمته لا بإيجاب غيره عليه.

وقد وردت أحاديث تدل على إخراج المؤمن الموحد من النار وهى معروفة، وقال تعالى: «وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا» (مريم ٨٦) أى مشاة عطاشا، قيل يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء، وقال تعالى: «إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ» (طه ٧٤) وهذا تحقيق لكون عذابه أبقى وقال تعالى: «وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ» (الأنبياء ٢٩) أى الواضعين الإلهية والعبادة فى غير موضعها.

وقال تعالى: «لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ» (الأنبياء ٣٩)

أى لا يقدرون على دفعها من جانب من جوانبهم ، وقال تعالى : « إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ » (الأنبياء ٩٨) أى وقود النار وحطبها . وكل ما أوقدت به النار أو هيجتها فهو حصب قاله الجوهرى ، وقال أبو عبيدة . كل ما قذفته فى النار فقد حصبتها به ، وقال تعالى : « وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ » (الحج ٩) أى عذاب النار المحرقة ، وقال تعالى « أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ » أى النار الموقدة .

وقال تعالى : « أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمْ ؟ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ » (الحج ٧٢) أى الموضع الذى يصيرون إليه . وقال تعالى : « فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ » (المؤمنون ١٠٣ — ١٠٤) أى تحرقها ، والكالح الذى قد شمرت شفتاه وبدت أسنانه .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الآية قال : تَشْوِيهِ النَّارُ فَتَقَلَّصُ شَفَتُهُ الْعُلْيَا حَتَّى تَبْلُغَ وَسَطَ رَأْسِهِ وَتَسْتَرْخِي شَفَتُهُ السُّفْلَى حَتَّى تَضْرِبَ سُرَّتَهُ ، أخرجه الترمذى[١] ، وقال حديث حسن صحيح غريب ، وقال تعالى : « وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ » (النور ٥٧) أى المرجع .

وقال تعالى : « وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا » الفرقان ١١ وهى النار المشتعلة ، والنار موجودة اليوم لهذه الآية ، وقال تعالى : « فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ » (النمل ٩٠) أى طرحوا عليها ، وقال تعالى « أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ » (العنكبوت ٦٨) أى مكان يستقرون فيه ، والاستفهام للتقرير ، وهذه فى مواضع من القرآن .

---

(١) الترمذى (٧٠٨/٤)

قال تعالى: « أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ » (لقمان ٢١) أى النار المستعرة وقال تعالى: « وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ » (السجدة ٢٠) أى منزلهم الذى يصيرون إليه؛ وقال تعالى: « إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا . خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا » (الأحزاب ٦٤ ـ ٦٥) أى بلا انقطاع . وهذا تأكيد لما استفيد من « خَالِدِينَ » .

وقال تعالى: « وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ » (سبأ ١٢) قال أكثر المفسرين وذلك فى الآخرة . وقال تعالى: « وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ » (سبأ ٤٢) أى فى الدنيا وقال تعالى: « إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ » (فاطر ٣٦) أى من أهل النار ، وقال تعالى: « وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ » فاطر ٣٦ . وقال تعالى: « هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ » (يس ٦٣) أى بها فى الدنيا على ألسنة الرسل ، وقال تعالى: « فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ » (الصافات ٢٣) أى عرّفوا هؤلاء المحشورين طريق النار وسوقوهم إليها، وقال تعالى : « فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ » (الصافات ٥٥) أى فى وسطها .

وقال تعالى: « ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ » (الصافات ٦٨) أى بعد شرب الحميم وأكل الزقوم . وقال تعالى : « قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ[1] » (الصافات ٩٧) . أى النار شديدة الاتقاد ، وقال تعالى : « إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ » الصافات ١٦٣ أى من أهل النار ، والصلى الدخول ، وقال تعالى

---

(٥١) المراد به نار الدنيا ، وهو جزء من نار الآخرة . ا . هـ من الأصل .

« وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ »(ص ٥٥ ـ ٥٦) أى الفراش ، وقال تعالى : « لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ »(ص٨٥) أى من ذرية آدم، وقال تعالى: « قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ » (الزمر ٨) أى مصيرك إليها عن قريب وإنك ملازمها ومعدود من أهلها على الدوام ، وهو تعليل لقلة التمتع ، وفيه من التهديد أمر عظيم .

وقال تعالى : « أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ »(الزمر ١٩) أى حقت عليه كلمة العذاب .

وقال تعالى : « أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ »(الزمر ٦٠)يعنى مقراً ومقاماً ، والكبر هو بطر الحق وغمط الناس كما فى الحديث الصحيح .

وقال تعالى : « وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ » (غافر ـ٦)أى لأجل أنهم مستحقون النار ، وقال تعالى: « وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ » (غافر ٧)أى احفظهم منه واجعل بينهم وبينه الوقاية ، وقال تعالى: « وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ » (غافر ٤٣) أى المستكثرين من معاصى الله ، وقيل السفاكون الدماء بغير حقها ، وقيل الجبارون المتكبرون ، وقال تعالى « إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ »(غافر ٦٠) أى ذليلين صاغرين ، وهذا وعيد شديد لمن استكبر عن دعاء الله ، قال تعالى: « ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ »(غافر٧٢) أى توقد بهم النار أو تملأ بهم .

وقال تعالى: « ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ »(غافر ٧٦) وتقدم نحو هذه الآية، وقال تعالى « ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ » (فصلت ٢٨) أى دار الإقامة التى لا انقطاع لها ولا انتقال عنها ، وقال تعالى: « أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ »(فصلت ٤٠)

الاستفهام للتقرير ، والغرض منه التنبيه على أن الملحدين فى الآيات يلقون فى النار . وقال تعالى : « إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ »(الزخرف ٧٤) أى أهلُ الإجرام الكفرية وقال تعالى: «أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً »(الفتح ٦) وقد تقدم نحو هذه الآية .

وقال تعالى: « فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً »(الفتح ١٣) أى النار الشديدة الحر .

وقال تعالى : « يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا » (الطور ١٣) الدع الدفع بعنف وجفوة ، قال مقاتل تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفعون إلى جهنم دفعاً على وجوههم ، وقال تعالى: « مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ » (الحديد ١٥) أى أولى بكم وقيل هى ناصركم على طريقة قول الشاعر * تحية بينهم ضرب وجيع .

وقال تعالى : « حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ » (المجادلة ٨) تقدم نحو هذه الآية ، وقال تعالى « وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ »(الحشر ٣)أى وإن نجوا من عذاب الدنيا ، وقال تعالى « فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا »(١) وقال تعالى : « وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ » الملك ٦ .

وقال تعالى: « أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً »(نوح ٢٥) وهى نار الآخرة ، وهذا من التعبير عن المستقبل بالماضى لتحقيق وقوعه ، ومثله قوله : « النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيّاً »(غافر ٤٦) وقال تعالى : « وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً » (الجن ١٥) فيه دليل على أن الجنى الكافر يعذب فى النار .

وقال تعالى: « وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً » . (الجن ٢٣) وقال تعالى: « إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً »(الإنسان ٤)

---

(١) الحشر (١٧) .

وقال تعالى: « وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى » (النازعات ٣٦) أى أُظهرت النار المحرقة إظهاراً بيناً مكشوفاً لا يخفى على أحد قال مقاتل: كشف عنها الغطاء لينظر إليها الخلق والظاهر أنها تبرز لكل راءٍ.

وقال تعالى: « وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ » (التكوير ١٢) أى أُججت وأُوقدت لأعداء الله إيقادا شديداً أو زيد فى إحمائها.

وقال تعالى: « إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ » (الانفطار ١٤) أى نار « يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ » (الانفطار ١٦) وقال تعالى: « إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ » (المطففين ٧ـ١٠) وفى تفسير « سِجِّين » أقوال ذكرناها فى تفسير فتح البيان[1] وأولاها ما فسر به سبحانه فى هذه الآية.

وقال تعالى: « وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى » (الأعلى ١١ ـ ١٢) أى العظيمة الفظيعة لأنها أشد حراً من غيرها وهى نار جهنم والنار الصغرى نار الدنيا وقال الزجاج: هى السفلى من أطباق النار وقيل: أن فى الآخرة نيرانا ودركات متفاضلة فكما أن الكافر أشقى العصاة فكذا يصلى أعظم النيران.

وقال تعالى: « وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى » (الفجر ٢٣) قال الواحدى قال المفسرون جيء بها يوم القيامة مزمومة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا جثا لركبتيه يقول يارب نفسى نفسى.

قلت وهذا الذى نقله قد أتى مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فى الباب.

---

(١) فتح البيان (١٠/٢٧٠ - ٢٧٢)

وقال تعالى: « عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ »(البلد ٢٠)أى مطبقة مغلقة الأبواب .

وقال تعالى :« سَنَدْعُو الزَّبَانِيَةَ »(العلق ١٨)أى الملائكة الغلاظ الشداد وهم خزنة جهنم قاله الزجاج:وقال قتادة:هم الشُرَطُ فى كلام العرب ، وقال تعالى: « نَارٌ حَامِيَةٌ »(القارعة ١١)أى قد انتهى حرها وبلغ فى الشدة إلى الغاية .

وقال تعالى: « لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ . ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ » (التكاثر ٦ ـ ٧) أى الرؤية التى هى نفس اليقين .

* * *

﴿ باب ﴾

* (فى آيات كريمة وردت فى صفة النار وأهلها) *

قال تعالى : « بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (البقرة ٨١) المراد بالسيئة هنا الجنس ولا بد أن يكون سببها محيطاً به من جميع جوانبه فلا تبقى له حسنة ، وسدت عليه مسالك النجاة ، والخلود فى النار هو للكفار والمشركين فيتعين تفسير السيئة والخطيئة فى هذه الآية بالكفر والشرك ، وبهذا يبطل تشبث المعتزلة والخوارج، لما ثبت فى السنة تواتراً من خروج عصاة الموحدين من النار ، قال الحسن كل ما وعد الله عليه النار فهو الخطيئة .

وقال تعالى: « وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ » (البقرة ١١٩) أى عن حالهم التى تكون لهم فى القيامة فإنها شنيعة ، ولا يمكنك فى هذه الدار الاطلاع عليها . وهذا فيه تخويف لهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم ، وعن محمد بن كعب القرظى قال : قال رسول الله ﷺ ليت شعرى ما فعل أبواى ؟ فنزلت هذه الآية . أخرجه عبد الرازق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر ، قال السيوطى هذا مرسل ضعيف الإسناد ثم رواه من داود بن عاصم مرفوعا وقال هو معضل الاسناد لا تقوم به الحجة ولا بالذى قبله[1] .

قلت : وأخبار إسلام أبوى النبى ﷺ أضعف من ذلك .

وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ » (البقرة ١٦١-١٦٢) واستدل به على جواز لعن الكفار على العموم ، قال القرطبى ولا خلاف فى

---

(١) فتح البيان (١/٢١٤)

ذلك قال ابن العربي أن لعن العاصي المعين لا يجوز باتفاق ، وقال تعالى: « وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (البقرة ٢٥٧) .

وقال تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ » (آل عمران ١٠) . وقال تعالى : « وَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ » (آل عمران ١٠٦) قيل هم أهل الكتاب وقيل المرتدون وقيل المبتدعون وقيل الكافرون فيلقون في النار وقيل هم المنافقون .

وقال تعالى: « وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » . (آل عمران ١٣١) فيه أنه يكفر من استحل الربا وهذه الآية أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه ويجتنبوا محارمه ، وقال تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا » . (النساء ١٠) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يبعث الله عز وجل يوم القيامة قوماً من قبورهم تتأجج أفواههم ناراً . فقيل يارسول الله من هم ؟ قال ألم تر أن الله يقول الآية . أخرجه ابن أبي شيبة وأبو يعلى والطبراني[1] وابن حبان في صحيحه وابن أبي حاتم .

وعن أبي سعيد الخدري قال : حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسري به قال : نظرت فإذا بقوم لهم مشافر كمشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخراً من نار فيقذف في فيّ أحدهم حتى

---

(١) مجمع الزوائد (٧/٢) وقال : وفيه زياد بن المنذر وهو كذاب .

يخرج من أسافلهم ولهم خوار وصراخ فقلت: ياجبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الذين يأ كلون أموال اليتامى ظلماً ، الآية . أخرجه ابن جرير[1] وابن أبى حاتم .

وقال تعالى: « وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ » . (النساء ١٤) والآية فى قسمة المواريث فإذا لم يرض فيها لقسمة الله وتعدى حده كفر إذا لم يتب .

وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ » . (النساء ٥٦) أى كلما احترقت جلودهم أعطيناهم مكان كل جلد محترق جلداً آخر غير محترق ، فإن ذلك أبلغ فى العذاب للشخص ، وقيل المراد بالجلود السرابيل ، ولا موجب لترك المعنى الحقيقى هنا ،قال ابن عمر: يبدلون جلوداً بيضاء أمثال القراطيس وتقدم ذكر هذه الآية فى الباب السابق .

وقال تعالى: « وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ — إلى قوله — فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ » . (الأنعام ٢٧ — ٣٠) « قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ » .

وقال تعالى « كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ ، قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ » . (الأعراف ٣٨) قال السدى يلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين ، والمجوس المجوس ، تلعن الآخرة الأولى ولكل طائفة منهم ضعف من العذاب . أما القادة

(١) ولا تقوم به حجة ، لأن فى اسناده أبا هارون العبدى ، وهو ضعيف، وقيل : كذاب أفاده الشيخ شاكر (٢٧/٨) تفسير الطبرى .

فبكفرهم وتضليلهم ، وأما الأتباع فبكفرهم وتقليدهم ، قاله الكرخي .

وقال تعالى « وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ، الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ » . (الأعراف ٤٤ ـ ٤٥) وهذه المناداة لم تكن لقصد الأخبار لهم بما نادوهم به بل لقصد تبكيتهم وإيقاع الحسرة في قلوبهم ، عن ابن عمر أن النبي ﷺ لما وقف على قليب بدر تلا هذه الآية أخرجه ابن أبي شيبة وأبو الشيخ وابن مردويه[1] .

وقال تعالى « وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ . الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ » . (الأعراف ٥٠ ـ ٥١) .

قال ابن عباس ينادي الرجل أخاه فيقول يا أخي أغثني فإني قد احترقت فأفض علي من الماء فيقال أجبه فيقول « إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ » ومعنى ننساهم نتركهم في النار ، قال مجاهد نؤخرهم جياعاً عطاشا وقيل نفعل بهم فعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتناء بهم وتركهم في النار تركا كلياً . قال ابن عباس نسيهم من الخير ولم ينسهم من الشر ، وسمى جزاء نسيانهم بالنسيان مجازاً لأن الله لا ينسى شيئاً .

وقال تعالى « وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ

---

(١) أورده الهيثمي بنحوه ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح (٦/٩١)

وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ » (الأنفال ٥٠) أى جهة الأمام وجهة الخلف يعنى أستاههم ، كنى عنها بالأدبار ، وقيل ظهورهم بمقامع من حديد وهذا نص فى أن ملائكة الموت عند قبضها روح الكافر تضربه بما ذكر وتقول له ما ذكر ، وإن كنا محجوبين عن رؤية ذلك وسماعه ، واختلفوا فى وقت هذا الضرب ، فقيل يكون عند الموت تضربهم بسياط من نار ، وقيل هو يوم القيامة حين يسيرون بهم إلى النار .

وقال ابن جريج يريد ما أقبل من أجسادهم وأدبر .

وقال تعالى « يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ » (التوبة ٣٥) أى النار توقد عليها وهى ذات حمى وحر شديد ، وخص الثلاثة لأن التألم بكيها أشد لما فى داخلها من الأعضاء الشريفة ، وقيل ليكون الكى فى الجهات الأربع ، من قدام وخلف وعن يمين ويسار ، وقيل لأن الجمال فى الوجه والقوة فى الظهر والجنبين ، والإنسان إنما يطلب المال للقوة والجمال ، وقيل غير ذلك مما لا يخلو عن تكلف وبعد .

وقال تعالى « وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ، مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (يونس ٢٧) المراد بالسيئة إما الشرك أو المعاصى والرهق الغشيان . والذلة الخزى والهوان ، والقطع بفتح الطاء جمع قطعة أى طائفة من الليل ، فقيل ظلمة آخر الليل وقال الأخفش سواد الليل .

وإطلاق الخلود هنا مقيد بما تواتر فى السنة من خروج عصاة الموحدين .

وقال تعالى « يَقْدُمُ قَوْمَهُ » أى فرعون « يَوْمَ الْقِيَامَةِ » أى يصير متقدماً سابقاً لهم إلى عذاب النار ، كما كان يتقدمهم فى الدنيا « فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ » (هود ٩٨) أى المدخول فيها وهو النار « وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً » ، أى : طرداً وإبعاداً من الأمم بعدهم « وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ »(هود ٩٩) أى العون المعان ، أو العطاء المعطى .

وقال تعالى « فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ » (هود ١٠٦ ـ ١٠٧) قال الزجاج : الزفير من شدة الأنين وهو المرتفع جداً .

قال وزعم أهل اللغة من البصريين والكوفيين أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمير ، والشهيق آخره ، وقيل الزفير للحمار والشهيق للبغل ، وقيل الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف ، وقيل الزفير إخراج النفس والشهيق ردها ، قيل الزفير من الصدر والشهيق من الحلق . وقيل الزفير ترديد النفس فى الصدر من شدة الخوف حتى تنتفخ منه الأضلاع ، والشهيق النفس الطويل الممتد أو رد النفس إلى الصدر ، والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه .

وقال الليث : الزفير أن يملأ الرجل صدره حال كونه فى الغم الشديد من النفس ويخرجه ، والشهيق أن يخرج ذلك النفس ، وهو قريب من قولهم تنفس الصعداء .

واختلف أهل العلم فى معنى هذا التوقيت والاستثناء اختلافاً شديداً ، لأنه قد علم بالأدلة القطعية تأبيد عذاب الكفار فى النار وعدم انقطاعه عنهم ،

والكلام على ذلك يطول جداً ، فارجع إلى تفسيرنا فتح البيان(١) ففيه مايشفى ويكفى لفهم هذا المقام .

وقال تعالى « وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ » (إبراهيم ٤٩ - ٥٠) المراد بالمجرمين المشركون . ومعنى مقرّنين مشدودين يجعل بعضهم مقروناً مع بعض أى بحسب مشاركتهم فى العقائد ، أو قرنوا مع الشياطين أو جعلت أيديهم مقرونة إلى أرجلهم ، والمقرن من جمع فى القرن ، وهو الحبل الذى يربط ، والأصفاد الأغلال والقيود،قاله قتادة .

وقال ابن عباس الكبول ، وعنه يقول فى وثاق . وقال سعيد بن جبير السلاسل والسرابيل القمص ، قاله السدى ، وعن ابن زيد مثله واحدها سربال والمعنى قصانهم من قطران تطلى به جلودهم حتى يعود ذلك الطلاء كالسرابيل، وخص القطران لسرعة اشتعال النار فيه ولذعه مع نتن رائحته ووحشة لونه . وقال جماعة:هو النحاس المذاب ، وبه قال عمر وابن عباس،قال عكرمة : هذا القطران يطلى به حتى يشتعل ناراً ، وقال سعيد بن جبير القطران : الصفر ، والآن الحار ، وعكرمة نحوه .

والقطران فيه لغات ، وهو ما يستخرج من الشجر فيطبخ ، يطلى به الإبل ليذهب جربها لحدته ،وقيل هو دهن ينحلب من شجر الابهل والعرعر والتوت كالزفت تدهن به الإبل إذا جربت وهو الهِنَاءُ،ولو أراد الله المبالغة فى إحراقهم بغير ذلك لقدر ، ولكنه حذرهم بما يعرفون .

---

(١) فتح البيان (٤ / ٤٠٢ - ٤٠٩)

وعن أبى مالك الأشعرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» أخرجه مسلم[1] وغيره .

ومعنى (تَغْشَى) تعلو أى تضرب النار الوجوه وتحلها ، وقلوبهم أيضاً ، وخص الوجوه لأنها أشرف ما فى البدن ، وفيها الحواس المدركة أعاذنا الله منها .

وقال تعالى : « وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ » (الحجر ٤٣ ـ ٤٤) أى موعد الغاوين فهم يدخلون من أبوابها ، وإنما كانت سبعة لكثرة أهلها ولكل باب من الأتباع الغواة نصيب وقدر معلوم متميز عن غيره ، والجزء بعض الشىء ، والمراد به هنا الحزب والطائفة والفريق ، وقيل المراد بالأبواب الأطباق طبق فوق طبق .

قال ابن جريج : النار سبع دركات ، وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ، فأعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين ، فجهنم أعلى الطبقات ثم ما بعدها تحتها ثم كذلك .

والمعنى أن الله تعالى يجزىء أتباع إبليس سبعة أجزاء ، فيدخل كل جزء وقسم دركة من النار ، والسبب فيه أن مراتب الكفر والمعاصى مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم فى النار ، قال الخطيب : تخصيص هذا العدد لأن أهلها سبع

---

(١) صحيح مسلم (١ /٦٤٤) فتح البيان (٥/١٦٢)

فرق ، وقيل جعلت سبعة على وفق الأعضاء السبعة من العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لأنها مصادر السيئات ، فكانت موارد ها الأبواب السبعة . ولما كانت هى بعينها مصادر الحسنات بشرط النية والنية من أعمال القلب زادت الأعضاء واحداً ، فجعلت أبواب الجنة ثمانية . ا . ﻫ

أقول : الحكمة فى تخصيص هذا العدد لا تنحصر فيما ذكر ، بل الأولى تفويضها إلى جاعلها سبعة وهو الله سبحانه ، إلا أن يرد به خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجب المصير إليه .

عن على قال : «أطباق جهنم سبعة بعضها فوق بعض : فيملأ الأول ثم الثانى ثم الثالث حتى تملأ كلها» ، وعن ابن عمر قال : قال رسول ﷺ : «لِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ : بَابٌ مِنْهَا لِمَنْ سَلَّ السَّيْفَ عَلَى أُمَّتِى» أخرجه البخارى فى تاريخه والترمذى[1] واستغربه . وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ فى الآية : جزء أشركوا بالله وجزء شكوا فى الله وجزء غفلوا عن الله» أخرجه ابن مردويه والخطيب فى تاريخه[2] .

وقد وردت فى صفة النار وأهوالها أحاديث وآثار كثيرة تأتى فى محلها .

وقال تعالى «فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ» (النحل ٢٩) يقال لهم ذلك عند الموت ، وقد تقدم ذكر الأبواب ، وأن جهنم دركات

---

(١) الترمذى (٢٩٧/٥) وقال : غريب لانعرفه إلا من حديث مالك بن مغول قال القرطبى (٣٨٣) : مالك بن مغول أبو عبد الله البجلى الكوفى امام ثقة خرج له البخارى ومسلم والأئمة .

(٢) عزاه القرطبى (٣٨٤) للحليمى شاكا فى ثبوته .
ولا تقوم به حجة ، وراجع الكلام عليه (١١٣) .

بعضها فوق بعض، أي ليدخل كل صنف في الطبقة التي هو موعود بها . وإنما قيل لهم ذلك لأنه أعظم من الخزي والغم ، وفيه دليل على أن الكفار بعضهم أشد عذاباً من بعض ، والمراد تكبرهم عن الإيمان والعبادة كما في قوله تعالى « إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ » (الصافات ٣٥) وقال تعالى « وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً ، ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا » (الإسراء ٩٧ ، ٩٨) وهذا الحشر فيه الوجهان للمفسرين :

(الأول) إنه عبارة عن الإسراع بهم إلى جهنم .

(الثاني) إنهم يسحبون يوم القيامة على وجوههم حقيقة كما يُفعل في الدنيا بمن يُبالغ في إهانته وتعذيبه . وهذا هو الصحيح لقوله سبحانه « يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ » (القمر ٤٨) .

ولما صح في السنة عن أنس رضي الله عنه قال : قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى وُجُوهِهِمْ ؟ قَالَ : الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَرْجُلِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ» أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما .

وعن أبي هريرة[(١)] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ : صِنْفٍ مُشَاةً وَصِنْفٍ رُكْبَاناً ، وَصِنْفٍ عَلَى وُجُوهِهِمْ » قِيلَ يَارَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ ؟ قَالَ « إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ ؟ أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ

---

(١) الترمذي (٥/٣٠٥) وفتح البيان (٥/٤٠٩) والحدب : ما ارتفع من الأرض

بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه البيهقى ، والحدب : ما ارتفع الأرض .

وفى الباب أحاديث ، والأعمى الذى لا يبصر ، والأبكم الذى لا ينطق ، والأصم الذى لا يسمع ، أى هذه هيئة يمشون عليها فى أقبح صورة وأشنع منظر ، قد جمع الله لهم بين عمى البصر وعدم النطق وعدم السمع ، مع كونهم مسحوبين على وجوههم . وقد أثبت الله تعالى لهم الرؤية والكلام والسمع فى قوله « وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ » وقوله « دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً » (الفرقان ١٣)

وقوله « سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً » (الفرقان ١٢) فالمعنى هنا عمياً لا يبصرون ما يسرهم ، كما لا ينطقون بحجة ، صما لا يسمعون ما يلذ مسامعهم ، وقيل هذا حين يقال لهم « اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » ، وقيل يحشرون على ما وصفهم ثم يعاد إليهم هذه الأشياء بعد ذلك ، ثم من وراء ذلك المكان الذين يأوون إليه كلما سكن لهب النار بأن أكلت جلودهم ولحومهم زادهم الله تسعراً وهو التلهب والتوقد أى فتعود ملتهبة ومتسعرة فإنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جزاهم الله بأن لا يزالوا على الإعادة والإفناء .

وقد قيل فى خبوء النار تخفيفاً لعذاب أهلها فكيف يجمع بينه وبين قوله « لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ » وأجيب بأن المراد بعدم التخفيف أنه لا يتخلل زمان محسوس بين الخبوء والتسعر ، وقيل أنها تخبو من غير تخفيف عنهم من عذابهم ، وقيل ضعفت وهدأت من غير أن يوجد نقصان فى إيلامهم لأن الله تعالى لا يفتر عنهم . وقيل معناه أرادت أن تخبو ، وقيل نضجت جلودهم واحترقت وأعيدوا

إلى ما كانوا عليه وزيد فى سعير النار لتحرقهم أعاذنا الله تعالى منها .

وقال تعالى : « إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ، بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا » . (الكهف ٢٩) السرادق الذى يمد فوق صحن الدار وكل بيت من كرسف أى قطن فهو سرادق فارسى معرب ، يقال بيت مسردق ، وقال ابن الأعرابى سرادقها سورها . وقال القتيبى : السرادق : الحجرة التى تكون حول الفسطاط .

والمعنى أنه أحاط بالكفار سرادق النار على تشبيه ما يحيطهم من النار بالسرادق المحيط بمن فيه ، قال ابن عباس حائط من نار ، وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لِسُرَادِقِ النَّارِ أَرْبَعَةُ جُدُرٍ كِثَفُ كُلِّ جِدَارٍ مِثْلُ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً » أخرجه أحمد والترمذى[1] والحاكم وصححه وغيرهم .

وعن يعلى ابن أمية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إِنَّ الْبَحْرَ هُوَ جَهَنَّمُ ثُمَّ تَلَا « نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا » (الكهف ٢٩) أخرجه أحمد مطولا ورجاله ثقات . قاله فى مجمع الزوائد[2] ورواه البخارى[3] والحاكم وصححه[*] .

(*) واقره الذهبى (٤/٥٩٦) ، وقال الحاكم : ومعناه ان البحر صعب كانه جهنم .

(١) الترمذى (٤/٧٠٦) وقال : « لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد ، ورشدين قد تكلم فيه .

(٢) مجمع الزوائد (١٠/٣٨٦) وسياقه يدل على أن الضمير فى « تلا » يرجع الى يعلى فتح البيان (٥/٤٤٨) . (٣) فى تاريخه . كما فى الدر المنثور (٤/٢٢٠) .

وإن يطلبوا الإنقاذ من شدة العطش يُضربوا ويُعذبوا بالحديد المذاب وهو المهل ،قال الزجاج إنهم يغاثون بماء كالرصاص المذاب والصفر ، وقيل هو دردى الزيت أى ما بقى فى أسفل الإناء ووجه الشبه وجود الثخن والرداءة فى كل منهما ، وقال أبو عبيدة والأخفش: كل ما أذيب من جواهر الأرض من حديد ورصاص ونحاس ، وقيل هو ضرب من القطران .

وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «كَعَكَرِ الزَّيْتِ فَإِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ سَقَطَتْ فَرْوَةُ وَجْهِهِ فِيهِ» أخرجه أحمد والترمذى[1] وأبو يعلى وابن جرير وابن حبان والبيهقى فى البعث . وعن ابن عباس قال: ماء غليظ كدردى الزيت ، وعن ابن مسعود أنه سُئل عن المهل فدعا بذهب أو فضة فأذابه فلما ذاب قال هـذا أشبه شىء بالمهل الذى هو شراب أهل النار ولونه لون السماء غير أن شرابهم أشد حراً من هذا[2] .

وعن ابن عمر هل تدرون ما المهل ؟ هو مهل الزيت يعنى آخره وأنه إذا قدم إليهم صارت وجوههم مشويه لحرارته ، والشىّ الإنضاج بالنار من غير إحراق ، وقوله (مُرْتَفَقًا) أى متكأ ، وقيل مجلساً ومنزلا ، وقيل مجتمعاً وبه قال مجاهد .

وقال تعالى : « وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا » (الكهف ٥٣) أى عاينوها من مسيرة أربعين عاماً وأيقنوا أنهم داخلون وواقعون فيها والمواقعة المخالطة بالوقوع فيها . وقيل إن الكفار يرون النار من مكان بعيد فيظنون ذلك ظناً ولم يجدوا عنها معدلا يعدلون إليه

---

(١) وخرجه الحاكم فى المستدرك (٤/٦٠٤) وصححه واقره الذهبى .

(٢) فتح البيان (٥/ ٤٤٩) .

أو انصرافاً لأن النار قد أحاطت بهم من كل جانب ، وقيل ملجأ يلجئون إليه ، والمعنى متقارب[1] .

وقال تعالى « وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا . وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا . الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا . أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ ؟ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا . قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا . ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا » (الكهف ٩٩ — ١٠٦) .

الصور القرن والنفخ فيه البعث وهى النفخة الثانية ويكون جمع الخلائق بعد تلاشى أبدانهم ، ومصيرها تراباً ويكون جمعاً تاماً على أكمل صفة وأبدع هيئة وأعجب أسلوب فى صعيد واحد[2] وفى عرض جهنم لهم وعيد عظيم لما يحصل معهم عند مشاهدتها من الفزع والروعة والغطاء والغشاء والستر وهو ما غطى الشىء وستره من جميع الجوانب ، والمراد بالذكر الآيات وكانوا لا يقدرون على الاستماع لما فيه الحق من كلام الله وكلام رسوله لغلبة الشقاوة عليهم ولشدة عداوتهم لهما والحسبان الظن ، والنزل الذى يعد للضيف وفيه تهكم بهم كقوله « فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ[3] » .

قال ابن الأعرابى : تقول العرب ما لفلان عندنا وزن أى قدر لخسته

---

(١) فتح البيان (٥/ ٤٦٧ - ٤٦٨) .

(٢) فتح البيان (٥/٥٠٨)

(٣) فتح البيان (٥/٥٠٨ - ٥٠٩)

ويوصف الرجل بأنه لا وزن له لخفته وسرعة طيشه وقلة تثبته . والمعنى أنهم لا يعتد بهم ولا يكون لهم عند الله منزلة وقدر [(١)].

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ السَّمِينُ الْعَظِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُوزَنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ » وَقَالَ : اقْرَأُوا « فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا » أخرجه البخارى ومسلم [(٢)] .

وقال تعالى : « فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا . ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا . ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا . وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا » (مريم ٦٨) المعنى نسوقهم إلى المحشر بعد إخراجهم من قبورهم أحياء كما كانوا مع شياطينهم الذين أغووهم وأضلوهم فى سلسلة ثم نحضرهم حول النار من خارجها قبل دخولها أو من داخلها جاثين على ركبهم لما يصيبهم من أهوال المواقف وروعة المحاسبة ثم تنزعن من كل أمة وفرقة وأهل دين وملة من الكفار ، قال الزمخشرى الشيعة هى الطائفة التى شاعت أى تبعت غاويا من الغواة [(٣)] .

وقال تعالى « إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ » (الأنعام ١٥٩) انتهى .

يعنى ينزع من كل طوائف الغى كالروافض والخوارج والنواصب والمقلدة

---

(١) فتح البيان (٥/٥١٠)
(٢) البخارى (٦/١٩٧) ومسلم (٤/٢١٤٧)
(٣) فتح البيان (٦/٤٣ - ٤٤)

لآراء الرجال والمتبعة للفلاسفة الضلال وغيرهم أعصام وأعتام ، فإذا اجتمعوا طرحهم فى جهنم وهم أولى بصليها أو صليهم أولى بالنار ، وما من أحد مسلماً كان أو كافراً إلا وصاليها وداخلها ، ثم ينجى الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً ، وهذه أخوف آية .

وقال تعالى « مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً » (طه ١٠٠) أى إثماً عظيما وعقوبة ثقيلة بسبب إعراضه « خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً . يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً » (طه ١٠١ ـ ١٠٢) المراد بالمجرمين المشركون والكافرون والعصاة المآخذون بذنوبهم التى لم يغفرها الله لهم ، والزرقة الخضرة فى العين كعين السِّنَّوْرِ[1] .

والعرب تتشاءم بها لأن الروم كانوا أعدى عدوهم وهم زرق وهى أسوأ ألوان العين وأبغضها إلى العرب ، وقال الفراء زرقاً أى عمياً وقال الأزهرى عطاشا وهو قول الزجاج ، وقيل إنه كناية عن الطمع الكاذب إذا تعقبته الخيبة ، وقيل هو كناية عن شخوص البصر من شدة الحرص ، والقول الأول أولى . والجمع بين هذه الآية وبين الآية السابقة « عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً » (الإسراء ٩٧) ما قيل من أن ليوم القيامة حالات ومواطن تختلف فيها صفاتهم ويتنوع عندها عذابهم ، فيكونون فى حال زرقاً . وفى حال عمياً[2] .

وقال تعالى « لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ، وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ . لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ » (الأنبياء ٩٩ ـ ١٠٠) وفى هذا تبكيت لعبّاد الأصنام وتوبيخ شديد لمن يتخذ من دون الله أرباباً ، والزفير هو صوت نفس

---

(١) فتح البيان (١١٥/٦)
(٢) فتح البيان (١١٥/٦ ـ ١١٦)

المغموم والمراد هنا الأنين والبكاء والتنفس الشديد والعويل ، ولا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول : قال ابن مسعود في الآية : إذا بقى في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخر عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب غيره ، وقيل لا يسمعون شيئاً لأنهم يحشرون فيها ، وإنما سلبوا السماع لأن فيه بعض تروح وتأنس ، وقيل لا يسمعون ما يسرهم بل يسمعون ما يسوءهم[1] .

وقال تعالى « فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ، يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ، وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ، كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ » (الحج ١٩ – ٣٢) أى قدرت لهم على قدر جثثهم لأن الثياب الجدد تقطع على مقدار بدن من يلبسها ، شبه إعداد النار وإحاطتها بهم بتقطيع ثياب لهم ، وجمع الثياب لأن النار لتراكمها عليهم كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض . وقيل إنها من نحاس قد أذيب فصار كالنار ، وهى السرابيل المذكورة فى آية أخرى ، قاله سعيد بن جبير وزاد ليس من الآنية إذا حمى أشد حراً منه .

والحق إجراء النظم القرآنى على ظاهره ولا يرتضى تأويله بما يخالف ظاهر لفظه ، وواضح معناه ، والحميم الماء الحار المغلى بنار جهنم انتهت حرارته يذاب بهذا الحميم ما فى بطونهم وتسيل به أمعاؤهم وتتناثر جلودهم[2] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه تلا هذه الآية فقال سمعت رسول الله

---

(١) فتح البيان (٦/١٩١)
(٢) فتح البيان (٦/٢١٤ – ٢١٥)

ﷺ يقول : (إِنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُؤُسِهِمْ فَيَنْفُذُ الْحَمِيمُ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ فَيَسْلِتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ) أخرجه الترمذي والحاكم وصححاه وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم (١) .

وقال ابن عباس: يمشون وأمعاؤهم تتساقط ، وعنه قال : يسقون بماء إذا دخل في بطونهم أذابها والجلود مع البطون ، والمقمعة المطرقة وقيل: السوط ، وسميت بالمقامع لأنها تقمع المضروب ، أي تذلله .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : (لَوْ أَنَّ مَقْمَعاً مِنْ حَدِيدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ فَاجْتَمَعَ لَهُ الثَّقَلَانِ مَا أَقَلُّوهُ مِنَ الْأَرْضِ (٢) . وَلَوْ ضُرِبَ الْجَبَلُ بِمَقْمَعٍ مِنْ حَدِيدٍ لَتَفَتَّتَ ثُمَّ عَادَ كَمَا كَانَ) أخرجه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه البيهقي .

وعن سلمان قال: النار سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا جمرها ، ثم قرأ « كُلَّمَا أَرَادُوا » الآية ، والمراد: إعادتهم إلى معظم النار، لا إنهم ينفصلون عنها بالكلية ثم يعودون إليها ، وقيل لهم ذوقوا عذاب الحرق الغليظ المنتشر العظيم الإهلاك البالغ نهاية الإحراق .

وقال تعالى : « وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ » (الحج ٥١) أي اجتهدوا في إبطالها حيث قالوا القرآن شعر أو سحر أو أساطير الأولين أو للتلاوة دون العمل ظانين ومقدرين أن يعجزوا الله ويفوتوه ، وقيل معاندين ، أو مراغمين ومشاقين ، فهم أصحاب النار الموقدة .

---

(١) الترمذي (٤/٧٠٥)

(٢) قال الهيثمي : وفيه ضعفاء وثقوا وبقية الحديث الى قوله : ثم عاد ـ رواية أخرى قال الهيثمي : وفيه ابن لهيعة وقد وثق على ضعفه (١٠/٣٨٨) وقد خرج الحاكم الرواية الأولى (٤/٦٠٠) وصححه وسكت عليه الذهبي والرواية الثانية (٤/٦٠١) وصححه واقره عليه الذهبي .

وقال تعالى : « اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » (المؤمنون ١٠٨) أى اسكتوا فى جهنم سكوت هوان ولا تكلمون رأساً ، أو فى إخراجكم من النار أو فى رفع العذاب عنكم . قال الحسن : هو آخر كلام يتكلم به أهل النار وما بعد ذلك إلا الزفير والشهيق وعواء كعواء الكلاب .

وقال تعالى : « وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً، إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً » (الفرقان ١١ - ١٢) أى إذا رأتهم وهى بعيدة عنهم ، قيل بينهم مسيرة مائة عام وقيل خمسمائة عام ، وذلك إذا أُتى بجهنم تُقاد بسبعين ألف زمام يُشد بكل زمام سبعون ألف مَلك لو تُركت لأتت على كل برّ وفاجر ؛ فترى تزفر زفرة لا تبقى قطرة من دمع إلا بدت ، ثم تزفر الثانية فتقطع القلوب من أماكنها وتبلغ القلوب الحناجر . وعن رجل من الصحابة قال : قال النبى ﷺ : (مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ أَوْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَانْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ فَلْيَتَبَوَّأْ بَيْنَ عَيْنَيْ جَهَنَّمَ مَقْعَداً قِيلَ : يَارَسُولَ اللهِ وَهَلْ لَهَا مِنْ عَيْنَيْنِ ، قَالَ : نَعَمْ أَمَا سَمِعْتُمُ اللهَ يَقُولُ : (إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) . أخرجه عبد بن حميد وابن جرير[1] من طريق خالد بن دريك ونحوه عند رزين فى كتابه وصححه ابن العربى فى قبسه، وأخرج الترمذى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ : إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثٍ : بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ وَبِالْمُصَوِّرِينَ[2]) .

---

(١) قال فى فتح البيان (٦/ ٤٢٤) أخرجه أحمد والبزار والبيهقى وغيرهم قال السيوطى بسند صحيح

(٢) الترمذى (٤/ ٧٠١) .

وفى الباب عن أبى سعيد قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح والتغيظ الغليان إذا غلا صدره من الغضب بمعنى أن لها صوتاً يدل على التغيظ على الكفار أو لغليانها صوت يشبه صوت المغتاظ ، وتقدم الكلام على زفير .

وقال تعالى : « وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا . لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا » (الفرقان ١٣ ـ ١٤) .

عن يحيى بن أسيد أن رسول الله ﷺ سئل عن هذه الآية فقال : (وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّهُمْ لَيُسْتَكْرَهُونَ فِى النَّارِ كَمَا يُسْتَكْرَهُ الْوَتِدُ فِى الْحَائِطِ[1])
وعن ابن عباس أنه يضيق عليهم كما يضيق الزُّجُّ[2] فى الرمح ، والثبور الهلاك والمراد بهذا الجواب عليهم : الدلالة على خلود عذابهم وإقناطهم عن حصول ما يتمنونه من الهلاك المنجى لهم مما هم فيه .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُكْسَى حُلَّتَهُ مِنَ النَّارِ إِبْلِيسُ فَيَضَعُهَا عَلَى حَاجِبَيْهِ وَيَسْحَبُهَا مِنْ خَلْفِهِ وَذُرِّيَّتُهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ يُنَادِى يَا ثُبُورَاهُ وَيَقُولُونَ يَا ثُبُورَهُمْ حَتَّى يَقِفَ عَلَى النَّاسِ فَيَقُولُ: يَا ثُبُورَاهُ وَيَقُولُونَ: يَا ثُبُورَهُمْ فَيُقَالُ لَهُمْ « لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا[3] ») .

وقال تعالى : « فَكُبْكِبُوا فِيهَا » (الشعراء ٩٤) أى ألقوا فى جهنم على رؤوسهم وقيل : قلبوا على رؤوسهم وقيل ألقى بعضهم على بعض وقيل: جمعوا . قاله

---

(١) فتح البيان (٦/٤٢٣)

(٢) الزُّجُّ : بالضم طرف المرفق والحديدة فى أسفل الرمح . القاموس (١ / ١٩١) .

(٣) قال الهيثمى : رواه أحمد والبزار ورجالهما رجال الصحيح غير على بن زيد وقد وثق (١٠/٣٩٢) .

ابن عباس وقيل طرحوا وقيل نكسوا[1] « هُمْ وَالْغَاوُونَ » (الشعراء ٩٤) أى المعبودون والعابدون (وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ) « الشعراء ٩٥ » وقال تعالى : (وَلَـكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) « السجدة ١٣ » هذا هو القول الذى وجب من الله وحق على عباده ونفذ فيه قضاؤه ، وإنما قضى عليهم بهذا لأنه سبحانه قد علم أنهم من أهل الشقاوة وأنهم ممن يختار الضلالة على الهدى .

وقال تعالى : (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ) « الأحزاب ٦٦ » يعنى تقلبها تارة على جهة منها وتارة على جهة أخرى ظهراً لبطن ، أو تغير ألوانهم بلفح النار فتسود تارة وتخضر أخرى أو تبدل جلودهم بجلود أخرى ، وخص الوجه لأنه أكرم موضع من الإنسان أو يكون الوجه عبارة عن الجملة .

وقال تعالى : (وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) « سبأ ٣٣ » أى جعلت الأغلال من الحديد فى أعناق هؤلاء فى النار .

وقال تعالى . (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ) « فاطر ٣٧ » من الصراخ وهو الصياح، أى وهم يستغيثون فى النار رافعين أصواتهم ، والصارخ المستغيث، وقال تعالى: (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ، اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ، الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) « يس ٦٣ : ٦٥ » أى توعدون بها فى الدنيا على ألسنة الرسل فادخلوها وقاسوا حرها .

قال المفسرون : إنهم ينكرون الشرك وتكذيب الرسل فيختم الله على

(١) فتح البيان (٧ / ٣١) .

أفواههم ختماً لا يقدرون معه على الكلام، وتكلم أيديهم بما كانوا يفعلونه، وتشهد أرجلهم عليهم بما كانوا يعملونه باختيارها بعد إقدار الله تعالى لها على الكلام ليكون أدل على صدور الذنب منهم[1].

وأخرج أحمد ومسلم والنسائي والبزار وغيرهم عن أنس في الآية قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ يَقُولُ بَلَى، فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَيَّ إِلَّا شَاهِداً مِنِّي، قَالَ فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيداً، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُوداً، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ انْطِقِي. قَالَ فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ قَالَ فَيَقُولُ: بُعْداً لَكُنَّ وَسُحْقاً. فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ[2].

وأخرج مسلم والترمذي وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: يَلْقَى الْعَبْدُ رَبَّهُ فَيَقُولُ اللهُ: أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ فَيَقُولُ: بَلَى أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ، فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: إِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُولِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ أَلَا نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ فَيُفَكِّرُ فِي نَفْسِهِ مَنِ الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ

---

(١) فتح البيان (٨/٣٩ - ٤٠).

(٢) مسلم (٤/٢٢٨٠ - ٢٢٨١).

بِعَمَلِهِ مَا كَانَ ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِى يَسْخَطُ عَلَيْهِ[1] . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث أبى موسى نحوه .

قال تعالى : (أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ؟ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ ، طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ، فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ، ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ، ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ) « الصافات ٦٢ : ٦٨ » .

قال الواحدى[2] : الزقوم شىء مرّ كريه يكره أهل النار على تناوله فهم يتزقونه فهى على هذا مشتقة من التزقم وهو البلع على جهد لكراهتها ونتنها . قال قطرب[3] : إنها شجرة مرة كريهة الرائحة تكون بتهامة من أخبث الشجر . وقال غيره : بل هو كل نبات قاتل ، وقيل شجرة مسمومة متى مست جسد أحد تورم فمات، جعلها الله محنة لهم لكونهم يعذبون بها ، والمراد بالظالمين هنا الكفار أو أهل المعاصى الموجبة للنار ، وهذه الشجرة تنبت فى قعر النار وأسفلها، وأغصانها ترفع إلى دركاتها .

وعن ابن عباس[4] قال : لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت إلى

---

(١) الترمذى (٤/٦١٩) ومسلم (٤/٢٢٧٩ - ٢٢٨٠) مطولا .

(٢) ذكره المصنف فى فتح البيان (٨/١٠٣) .

(٣) فتح البيان (٨/١٠٣) .

(٤) فتح البيان (٨/١٠٤) .

الأرض لأفسدت على الناس معايشهم ، وثمرها وما تحمله فى تناهى قبحه وهوله وشناعة منظره مثل رءوس الشياطين ، قال الزجاج والفراء : الشياطين حيات هائلة لها رءوس وأطراف وهى من أقبح الحيات وأخبثها وأخفها جسما ، وقيل هو شجر خشن منتن مرّ منكر الصورة يسمى ثمر رءوس الشياطين[1] ، والشوب الخلط والمزج ، والحميم الماء الحار ، وهذا كما قال تعالى :(وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) « محمد ١٥ » وقيل: إن الزقوم والحميم نُزُل يقدم إليهم قبل دخولها أعاذنا الله تعالى وإخواننا المؤمنين من هذا الطعام والشراب .

وقال تعالى :(فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) « ص ٥٧ » تقدم تفسير الحميم مراراً : والغساق ماسال من جلود أهل النار من القيح ومن الصديد ، والغسقان الأنصباب وقيل : هو ماقتل برده ، وقيل : هو الزمهرير وقيل : المنتن وقيل: هو عين فى جهنم يسيل منه كل ذوب حية وعقرب وقال : قتادة : هو ما يسيل من فروج النساء الزوانى ومن نتن لحوم الكفرة وجلودهم[2] .

وقال القرظى : هو عصارة أهل النار : وقال السدى هو الذى يسيل من دموع أهل النار يسقونه من الحميم وكذا قال ابن زيد ، وقال مجاهد ومقاتل : هو الثلج البارد الذى قد انتهى برده ، وتفسير الغساق بالبارد أنسب بما تقتضيه لغة العرب ، وأنسب أيضاً بمقابلة الحميم[3] .

---

(١) فتح البيان (١٠٤/٨)
(٢) فتح البيان (١٨٣/٨)
(٣) فتح البيان (١٨٣/٨)

وأخرج أحمد والترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى البعث عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لَوْ أَنَّ دَلْواً مِنْ غَسَّاقٍ يُهَرَاقُ فِي الدُّنْيَا لَأَنْتَنَ أَهْلَ الدُّنْيَا. قال الترمذى[1] لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد (قلت) ورشدين هذا فيه مقال معروف[2] (وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ) «ص ٥٨» أى وعذاب آخر أو مذوق آخر أو نوع آخر من شكل ذلك العذاب أو المذوق أو النوع الأول والشكل المثل أو مذوقات أخر وأنواع أخر من شكل ذلك المذوق أو النوع المتقدم . ومعنى أزواج أجناس وأنواع وأشباه ونظائر ، قال المفسرون: هو الزمهرير .

(هَٰذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ) أى الأتباع داخلون معكم إلى النار بشدة ، والاقتحام الإلقاء فى الشىء بشدة فإنهم يضربون بمقامع من حديد حتى يقتحموها بأنفسهم خوفاً من تلك المقامع ، وقيل الاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها .

وفى المختار قحم فى الأمر رمى بنفسه فيه من غير روية (لَا مَرْحَباً بِهِمْ) «ص ٦٠» أى لا اتسعت منازلهم فى النار ، والرحب السعة والمعنى لا كرامة لهم ، وهذا إخبار من الله تعالى بانقطاع المودة بين الكفار وأن المودة التى كانت بينهم تصير عداوة (إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ) أى كا صليها (قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَباً بِكُمْ) أى:قال الاتباع عند سماع ما قاله الرؤساء والقادة ، بل أنتم أحق بما قلتم لنا ، ثم عللوا ذلك بقولهم (أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا) أى العذاب أو الصلى وأوقعتمونا فيه ودعوتمونا إليه بما كنتم تقولون لنا من أن الحق ما أنتم عليه ، وأن الأنبياء غير صادقين فيما جاءوا به (فَبِئْسَ الْقَرَارُ) «ص ٦٠» أى بئس المقر جهنم لنا

(١) فتح البيان (١٨٣/٨) . والترمذى (٧٠٦/٤)

(٢) لكن خرجه الحاكم من غير طريقه (٦٠٢/٤) وصححه واقره الذهبى.

والكم ، (قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ . وَقَالُوا : مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ) « ص ٦١ - ٦٢ » أى الأراذل الذين لا خير لهم ولا جدوى (أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا) فى الدنيا فأخطأنا (أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ) فلم نعلم مكانهم (إِنَّ ذَلِكَ) أى ما تقدم من حكاية حالهم (لَحَقٌّ) واقع ثابت فى الدار الآخرة لا يتخلف البتة (تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ) .

وقال تعالى : (لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) « الزمر ١٦ » أى أطباق من النار وفراش ومهاد وسرادقات وقطع كبار تتلهب عليهم ، وإطلاق الظلل عليها تهكم وإلا فهى محرقة ، والظلة تقى من الحر ، وقال تعالى : (وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ، وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) « الزمر ٤٧ — ٤٨ » وفى هذا وعيد لهم عظيم وتهديد بالغ غاية لا غاية وراءها ، قال سفيان الثورى : ويل لأهل الرياء . ويل لأهل الرياء . ويل لأهل الرياء ، وهذه آيتهم وقصتهم [١] .

وقال تعالى (تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ) « الزمر ٦٠ » أى لما أحاط بهم من العذاب ، ولما شهدوه من غضب الله ونقمته .

وقال تعالى (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) أى أبواب النار ليدخلوها وهى سبعة أبواب ، وكانت قبل ذلك مغلقة (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ؟ قَالُوا : بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ) أى لهم (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) « الزمر ٧١ — ٧٢ » جهنم واللام فيه للجنس .

---

(١) فتح البيان (٨/٢٣٥ — ٢٣٦)

وقال تعالى (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) « غافر ٤٦ » أى صباحاً ومساء ، وعرضهم عليها إحراقهم بها .

عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ . (إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، يُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أخرجه الشيخان[1] وغيرهما ، وزاد ابن مردويه ثم قرأ (النَّارُ) الآية .

واحتج بعض أهل العلم بهذه الآية على إثبات عذاب القبر أعاذنا الله تعالى منه بمنّه وكرمه وقال القرطبى إن أرواحهم فى جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها .

وذهب الجمهور إلى أن هذا العرض هو البرزخ .

وقال تعالى (وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ) أى من الأمم الكافرة مستكبرهم وضعيفهم جميعاً (لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ) وهم القائمون بتعذيب أهل النار ، وإنما لم يقل لخزنتها ، لأن فى ذكر جهنم تهويلا وتفظيعاً أو لبيان محلهم فيها ، فإن جهنم هى أبعد النار قعراً وفيها أعتى الكفار وأطغاهم ، فلعل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله فلهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم (ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ، قَالُوا: أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالُوا : فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) « غافر ٤٩ — ٥٠ » أى فى ضياع وبطلان وخسارة وتبار وانعدام وفيه إقناط لهم عن الإجابة[2] .

---

(١) مسلم (٢١٩٩/٤) .
(٢) فتح البيان (٢٩١/٨ — ٢٩٢) .

وقال تعالى: (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ) قال ابن عباس: فينسلخ كل شيء عليهم من جلد ولحم وعرق حتى يصير في عقبه، حتى إن لحمه قدر طوله وطوله ستون ذراعاً ثم يكسى جلداً آخر[1] (ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) غافر « ٧٠ - ٧٢ ».

عن ابن عمرو قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية فقال: لَوْ أَنَّ رُصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ - وَأَشَارَ إِلَى مِثْلِ الْجُمْجُمَةِ - أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَهِيَ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ لَبَلَغَتِ الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السِّلْسِلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفاً اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ أَصْلَهَا، أَوْ قَعْرَهَا. أخرجه أحمد والترمذى[2] وحسنه والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى البعث والنشور.

وقال تعالى: (وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) « فصلت ١٩ » أى: يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ويجتمعوا (حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فى الدنيا من المعاصى، وفى كيفية هذه الشهادة ثلاثة أقوال:

أولها: أن الله يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه.

ثانيها: أنه تعالى: يخلق فى تلك الأعضاء الأصوات والحروف على تلك المعانى.

ثالثها: أن يظهر فى تلك الأعضاء أحوال تدل على صدور تلك الأعمال

---

(١) المسند للامام أحمد (١١/٦٨٥٦) والترمذى (٤/٧٠٩) وقال إسناده حسن صحيح.

(٢) فتح البيان (٨/ ٣٢٤ - ٣٢٥).

من ذلك الإنسان وتلك الأمارات تسمى شهادات (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا؟ قَالُوا: أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ، وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ، فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ، وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ) « فصلت ٢١ - ٢٤ » أى إن يطلبوا الرضا لم يقع الرضا عنهم بل لا بد لهم النار ، وتمام الكلام على هذه الآية فى تفسيرنا « فتح البيان »[1] .

وقال تعالى « فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ »(الشورى ٧) عن عبد الله ابن عمرو قال :خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ فَقَالَ : أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ؟ قُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا ، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيُمْنَى: هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ ، فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا ، ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ : هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا فَقَالَ أَصْحَابُهُ: فَفِيمَ الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ ؟ فَقَالَ : سَدِّدُوا وَقَارِبُوا فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدَيْهِ فَنَبَذَهُمَا ثُمَّ قَالَ فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ الْعِبَادِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ[2] » أخرجه الترمذى وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب ، وأحمد والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه ، وروى ابن جرير طرفاً منه موقوفاً على ابن عمرو وقال: هذا الموقوف أشبه

---

(١) (٣٢٤/٨ - ٣٢٥)

(٢) الترمذى (٤٤٩/٤ - ٤٥٠)

بالصواب . قال الشوكاني: بل المرفوع أشبه به فقد رفعه الثقة ورفعه زيادة ثابتة من وجه صحيح،ويقوى الرفع ما أخرجه ابن مردويه عن البراء قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وفى يده كتاب ينظر فيه قالوا : انظروا إليه كيف وهو أمى لا يقرأ ؟ قال فعلمها رسول الله ﷺ فقال : هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء قبائلهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وقال: (فَرِيقٌ فِى الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى السَّعِيرِ) ، فرغ ربكم من أعمال العباد انتهى[1] .

قلت : وأيضاً لا يقال مثل هذا من قبل الرأى .

وقال تعالى: « إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ، لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ » (الزخرف ٧٤ ـ ٧٥) أى آيسون من النجاة ، وقيل: ساكتون سكوت يأس . قال تعالى« وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ » أى بالموت « قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ » (الزخرف ٧٧) أى مقيمون فى العذاب ، هانت والله دعوتهم على مالك ورب مالك ، قال الخازن : سكت عن إجابتهم أربعين سنة انتهى ، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً واليوم كألف سنة مما تعدون، قاله القرطبى وقيل: ثمانين سنة ، وقيل: مائة سنة ، وقال ابن عباس: يمكث عنهم ألف سنة[2] .

وقال تعالى: « إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ ، كَالْمُهْلِ يَغْلِى فِى الْبُطُونِ ، كَغَلْىِ الْحَمِيمِ ، خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ، ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ، ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ » (الدخان ٤٣ ـ ٤٩) تقدم تفسير مثل هذه الآية.

وقال تعالى: « وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ »(الجاثية ٧) أى لكل كذاب كثير الإثم مرتكب لما يوجبه ،وويل واد فى جهنم أو كلمة عذاب

وقال تعالى : « وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِى

---

(١) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد بنحـــوه (١١٨/٧) ثم قال : رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه الهذيل بن بلال وهو ضعيف وراجع فتح البيان (٣٥٤/٨) .

(٢) فتح البيان (٤٣٤/٨)

حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا؟ فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ » (الأحقاف ٢٠) عرض الشخص على النار أشد فى إهانته من عرض النار عليه، إذ عرضه عليها يفيد أنه كالحطب المخلوق للاحتراق، وقيل فى الكلام قلب، أى : تعرض النار عليهم ، ومعنى يعرض يعذب ، والهون : ما فيه من ذل وخزى ، وما أخوف هذه الآية فى شأن المترفين المتكبرين عن عبادة الله الخارجين عن طاعته بفعل السيئات والمعاصى والمستمتعين باللذات الفانية من المناكح والملابس والمراكب والمساكن النفيسة !

وقال تعالى : (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ؟ قَالُوا: بَلَى وَرَبِّنَا، قَالَ: فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) « الأحقاف ٣٤ » والإشارة بهذا إلى ما هو مشاهد لهم يوم عرضهم على النار ، وفى الاكتفاء بمجرد الاشارة من التهويل من المشار إليه والتفخيم لشأنه ما لا يخفى ، كأنه أمر لا يمكن التعبير عنه بلفظ يدل عليه .

وقال تعالى : (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) « محمد ١٥ » أى مصارينهم تخرجت من أدبارهم لفرط حرارته ، وقال تعالى : (الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) « الفتح ٦ ». وهذا إخبار عن وقوع السوء بهم على ظنهم أن كلمة الكفر تعلو كلمة الإسلام .

وقال تعالى : (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ، الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ، قَالَ قَرِينُهُ: رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ، قَالَ: لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ،

مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ،وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) « ق ٢٤ ـ ٢٩ » الخطاب للسائق والشهيد ، أو للملكين من خزنة النار، أو الواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره ، والمعنى: كفار للنعم مجانب للإيمان معاد لأهله ، ولا يبذل خيراً ولا يؤدى زكاة مفروضة، أو كل حق وجب عليه فى ماله ، ظالم لا يقر بتوحيد الله شاك فى الحق ، وفيها نهى عن الاختصام فى مواقف الحساب ونفى الظلم عن الله تعالى على العباد ، ولا مفهوم لقوله ظلام .

وقال تعالى : (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ: هَلِ امْتَلأْتِ ؟وَتَقُولُ :هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟) « ق ٣٠ » جعله الزمخشرى ومن تبعه من باب المجاز وهو مردود لما ورد : تحاجت النار والجنة واشتكت إلى ربها . قال النسفى : هذا على تحقيق القول من جهنم .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَنْزَوِى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطِ قَطِ بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ ، وَلَا يَزَالُ فِى الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقاً آخَرَ فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ) أخرجه الشيخان وهذا لفظ مسلم[1] وأخرجا من حديث أبى هريرة نحوه وفيه : (فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ اللهُ عَلَيْهَا رِجْلَهُ وَيَقُولُ لَهَا قَطِ) وفى الباب أحاديث ، ومذهب جمهور السلف الإيمان بالقدم والرجل من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تحريف ولا تمثيل ، وإمرارها على ظاهرها وهذا هو الحق الذى لا محيد منه[2] .

قال تعالى : (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) « الذاريات ١٣ » أى يحرقون

(١) مسلم (٤/٢١٨٨)
(٢) فتح البيان (٩/١٠٦)

ويعذبون فيها ، وأصل الفتنة إذابة الجوهر ليظهر غشه ثم استعمل فى التعذيب والاحراق ، وقال تعالى : (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ، يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) « القمر ٤٧ : ٤٨ »أى : فى ذهاب عن الحق وبعد عنه ، وفى نار تسعر عليهم ، وسقر: علم لجهنم غير منصرف ، ومسها : مقاساة حرها وشدة عذابها .

وقال تعالى : (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ) «الرحمن ٤١ » المعنى: أنها تجعل الأقدام مضمومة إلى النواصى وتلقيهم الملائكة فى النار ، قال الضحاك : يجمع بين ناصيته وقدمه فى سلسلة من وراء ظهره ، وقيل: تسحبهم الملائكة إلى النار تارة بأخذ النواصى وتارة تجرهم على الوجوه وتارة بأخذ أقدامهم ، وتارة تجرهم على رؤسهم ، قال ابن عباس: تأخذ الزبانية بناصيته وقدميه ويجمع فيكسر كما يكسر الحطب فى التنور[1] .

وقال تعالى: (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا) أى بين جهنم فتحرقهم (وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) « الرحمن ٤٤ » أى فيصيب وجوههم فيحرقون، والآن: الذى قد انتهى حره وبلغ غايته وقيل: هو واد من أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فيغمسون فيه بأغلالهم حتى تنخلع أوصالهم ، قال قتادة: يطوفون أى يترددون ويسعون مرة بين الحميم ومرة بين الجحيم .

وقال تعالى : (وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ، فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ، وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ)[2] السموم : حر النار، وتقدم تفسير الحميم مراراً واليحموم : الشديد السواد ، والمعنى : أنهم

---

(١) فتح البيان (٩/٢٣٥)

(٢) الواقعة (٤١-٤٥) .

أنهم يفزعون إلى الظل فيجدونه ظلا من دخان جهنم شديد السواد ، قال الضحاك : النار سوداء ، وأهلها ســود ، كل ما فيها أسود ، قال ابن عباس : يحموم : دخان أسود ، وفى لفظ دخان جهنم ، وقيل : واد فى جهنم ، وقيل : اسم من أسمائها ، والأول أظهر •

والنعتان لقوله ظِلٍّ ، لا ليحموم ، وهذا الظل أشجى لحلوقهم وأشد لتحسرهم ، وفى الأمور الثلاثة اشارة الى كونهم فى العذاب دائما ، وفيها ذم التفرقة لأنه منعهم من الانزجار ، وشغلهم عن الاعتبار •

وقال تعالى : « ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ ، فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ، فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ، فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ، هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ » (الواقعة ٥١ ــ ٥٦) وتقدم تفسير هذه الآية ، والهيم : الابل العطاش التى لا تروى لداء يصيبها •

وفى الصحاح الهيام : أشد العطش ، والنُّزُل : الرزق والغذاء ، وفى هذا تهكم بهم لأن النزل هو ما يعد للأضياف تكرمة لهم ، ومثل هذا قوله تعالى : « فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » وقال تعالى : « وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ » (الواقعة : ٩٢ ــ ٩٥) أى محضه وخالصه ، والمعنى واضح •

وقال تعالى : « لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ » أى : فى الفضل والرتبة « أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ » (الحشر ٢٠) أى الظافرون بكل مطلوب ، الناجون من كل مكروه ، وهذا تنبيه للناس وايذان بأنهم لفرط غفلتهم ، وقلة فكرهم فى العاقبة ، وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنــار ، والبون العظيم بين أصحابهما وأن الفوز العظيم مع أصحاب الجنة ، والعــذاب

الدائم الأليم مع أصحاب النـار ، فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه .

وقال تعالى : « إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ، تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ؟ قَالُوا : بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ، وَقَالُوا : لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ، فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ » (الملك ٧ ــ ١١) .

المعنى : اذا طرحوا طرح الحطب فى النار سمعوا لها صوتا منكرا كصوت الحمير عند أول نهيقها وهى تغلى غليان المرجل بما فيه ، تكاد تتقطع من الغيظ على الكفار ، وكلما ألقى فى جهنم جماعة منهم سألهم ملائكة النار عما ذكر فى الآية [1] .

وقال تعالى : « خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ، إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ ، وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ ، وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ » (الحاقة ٣٠ ــ ٣٧) قال المفسرون : السلسلة حلق منتظمة كل حلقة منها فى حلقـة ، والله أعلم بأى ذراع هى ، وقيل بذراع الملك قال نوف الشامى : كل ذراع : سبعون باعا ، كل باع : أبعد ما بينك وبين مكة ، وكان نوف فى رحب الكوفة،قال مقاتل : لو أن حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص وقال ابن جريج : لا يعرف قدرها الا الله ، وهذا العدد حقيقة ، أو مبالغة،قال سفيان : بلغنا أنها تدخل فى دبره حتى تخرج من فيه .

---

(١) فتح البيان (١٠ / ٧ ــ ٩) .

وقال سويد بن أبى نجيح : بلغنى أن جميع أهل النار فى تلك السلسلة [١] ، والغسلين : صديد أهل النار ، وما ينغسل من أبدانهم من القيح والصديد ، وقال أهل اللغة : هو ما يجرى من الجراح اذا ما غسلت ، وقال الضحاك والربيع بن أنس : هو شجر يأكله أهل النار ، وقال قتادة : هو شر الطعام وقال ابن زيد : لا يعلم ما هو ولا ما الزقوم الا الله تعالى .

وقال ابن عباس : الغسلين الدم والماء والصديد الذى يسيل من لحومهم . وعن أبى سعيد الخدرى عن النبي صلي الله عليه وسلم قال : « لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غِسْلِينٍ يُهَرَاقُ فِي الدُّنْيَا لَأَنْتَنَ أَهْلَ الدُّنْيَا » أخرجه الحاكم وصححه[٢] . وعن ابن عباس أيضا : الغسلين : اسم طعام من أطعمة أهل النار .

والتوفيق بين ما هنا وبين قوله : « إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ » (الغاشية ٦) وقوله : الزقوم ، وقوله : « مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ » (البقرة ١٧٤) أنه يجوز أن يكون طعامهم جميع ذلك ، أو أن العذاب أنواع ، والمعذبين طبقات : فمنهم أكلة الغسلين ، ومنهم أكلة الضريع ، ومنهم أكلة الزقوم ، ومنهم أكلة النار ، لكل منهم جزء مقسوم [٣] .

وقال تعالى : « يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ، كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ، نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ، تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ، وَجَمَعَ فَأَوْعَى » ، (المعارج ١١ ــ ١٨) لظى : علم لجهنم واشتقاقها من التلظى فى النار ، وهو التلهب ، وقيل : هى الدركة الثانية من طباق جهنم ، والشوى الأطراف وجلدة الرأس ومكارم الوجه وحسنه .

---

(١) فتح البيان (١٠ / ٥٣ ــ ٥٤) .
(٢) فتح البيان (١٠ / ٥٥) .
(٣) المستدرك (٢/٥٠١) ووافقه الذهبى .

قال قتادة : تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك فيه شيئا ، وقال الكسائى : هى المفاصل ، وقال أبو صالح : هى أطراف اليدين والرجلين ، وقال ابن عباس : تنزع أم الرأس [١] ، وفى هذا ذم لمن أدبر عن الحق وأعرض عنه وجمع المال فأوعاه وكثره ، ولم ينفقه فى سبيل الخير ، ولم يؤد زكاته .

وقال تعالى : « إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ، وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا » (المزمل ١٢ ــ ١٣) جمع نكل وهو القيد وقيل : الغل من الحديد ، والأول أعرف فى اللغة ، قال مقاتل : هى أنواع العذاب الشديد ، وطعام لا يسوغ فى الحلق بل ينشب فيه فلا ينزل ولا يخرج ، قيل : هو الزقوم ، وقيل : الضريع ، وقيل : شوك العوسج ، والغصة : الشجى فى الحلق [٢] .

وقال تعالى : « سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ، لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ، عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا » (المدثر ٢٦ ــ ٣١) السقر : النار ، أو من أسمائها ، أو دركة منها ، لا تبقى لهم لحما ، ولا تذر لهم عظما ، أو لا تبقى من فيها حيا ولا تذره ميتا ، تظهر لهم وتلوح حتى يروها عيانا كقوله : « وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى » (النازعات : ٣٦) وقيل : لواحة مغيرة لهم ومسودة ، وهذا أرجح من الأول ، واليه ذهب جمهور المفسرين ، وقيل معطشة .

وقال ابن عباس : تلوح الجلد فتحرقه وتغير لونه فيصير أسود من الليل وعنه : محرقة والمراد : بالبشر إما جلدة الانسان الظاهرة ، كما قال الأكثرون أو المراد به : أهل النار من الإنس ، كما قال الأخفش ، وعلى

---

(١) فتح البيان (١٠ / ٦٥) .
(٢) فتح البيان (١٠ / ١١٧) .

النار تسعة عشر من الملائكة خزنتها ، أو من أصناف الملائكة ، أو من صفوفهم ، وقيل : تسعة عشر نقيبا مع كل نقيب جماعة من الملائكة والأول أولى [١] وقال الرازى : وتخصيص هذا العدد لحكمة اختص الله بها .

وقال تعالى : « مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ، حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ » (المدثر ٤٢ ـ ٤٧) والصحيح : أن هذه الآية فى الكفار ، قاله سليمان الجمل .

وقال تعالى : « إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا » (الانسان : ٤) تقدم تفسير هذه الأمور الثلاثة ، وعن يعلى بن منيه وهى أمه ، وأبوه أمية . رفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينشىء الله لأهل النار سحابة سوداء مظلمة ، فيقال : يا أهل النار أى شيء تطلبون فيذكرون بها سحابة الدنيا فيقولون : ربنا الشراب فيمطرهم أغلالا تزيد فى أغلالهم وسلاسل فى سلاسلهم ، وجمرا يلهب عليهم » . رواه الطبرانى فى الأوسط قال فى مجمع الزوائد [٢] وفيه من فيه ضعف قليل ومن لم أعرفه .

وقال تعالى : « انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ، لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ، إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ، كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ، هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ » (المرسلات ٣٠ ـ ٣٦) أى يقول لهم خزنة جهنم انطلقوا الى ظل دخان جهنم قد سطع ثم افترق ثلاث فرق يكونون فيه حتى يفرغ من الحساب ، وهذا شأن الدخان العظيم اذا ارتفع تشعب شعبا وقيل : المراد بالظل هنا السرادق وهو لسان من النار تحيط بهم ، وهو الظل من يحموم ، وقيل ان الشعب

---

(١) فتح البيان (١٣٣ ـ ١٣٤) .

(٢) مجمع الزوائد (١٠/٣٩٠) ، وقال المنذرى (٤/٢٣٢) : وقد روى موقوفا عليه ، وهو أصح .

الثلاث هي : الضريع والزقوم والغسلين ، لأنها أوصاف النار ، وكل شررة منها كالقصر فى عظمها • ثم شبه الشرر باعتبار لونه بالجمال أو الحبال • قال ابن مسعود : ليست كالشجر والجبال ولكنها مثل المدائن والحصون [1] •

وقال تعالى : « إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً ، لِلطَّاغِينَ مَآبًا ، لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ، لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَابًا ، إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ، جَزَاءً وِفَاقاً » (النبأ ٢١ ــ ٢٦) أى : جهنم موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها ، أو هى فى نفسها متطلعة لما يأتى اليها من الكفار ، والأحقاب الدهور جمع حقب ، قال الواحدى : قال المفسرون : انه بضع وثمانون سنة ، السنة : ثلاثمائة وستون يوما ، اليوم ألف سنة من أيام الدنيا ، وروى مرفوعا من حديث أبى هريرة عند الطبرانى وغيره وسنده ضعيف، قاله السيوطى [2] ، وفى الباب أحاديث ذكرناها فى فتح البيان [3] •

والمقصود بالآية التأبيد لا التقييد ، قال الحسن : والله ما هى الا أنه اذا مضى حقب دخل آخر كذلك الى الأبد •

وقال تعالى : « فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى » (النازعات ٣٧ ــ ٣٩) أى أنها منزله الذى ينزله لا غيرها •

وقال تعالى : « وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً ، وَيَصْلَى سَعِيراً » (الانشقاق ١٠ ــ ١٢) أى ينادى هلاكه ويدخل النار ويقاسى حرها وشدتها •

---

(١) فتح البيان (١٠ / ١٩٣) • (٢) الدر المنثور (٦/٣٠٧) •
(٣) فتح البيان (١٠ / ٢٠٥ ــ ٢٠٦) •

وقال تعالى : « تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً » أى متناهية فى الحر ، « تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ » أى انتهى حرها « لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ » هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه يقال له الشبرق فى لسان قريش اذا كان رطبا ، فاذا يبس فهو الضريع ، قيل : وهو سم قاتل ، وقيل : هو الحجارة ، وقيل الشجرة فى نار جهنم،وقال ابن كيسان : هو طعام يضرعون عنده ويذلون ، وقيل : هو الزقوم ، وقيل واد فى جهنم ، وقال الحسن : هو بعض ما أخفـاه الله من العـذاب ، « لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُـوعٍ » (الغاشية ٤ ــ ٧) أي كلاهما منفيان عنه .

وقال تعالى : « ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْـفَلَ سَافِلِينَ » (التين ٥) قال مجاهد وأبو العالية والحسن : المعنى : ثم رددنا الكافر ، ذلك أن النار درجات بعضها أسفل من بعض ، فالكافر يرد الى الدرجات السافلة ، ولا ينافى هذا قوله تعالى : « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ » (النساء ١٤٥) فلا مانع من كون الكفار والمنـافقين مجتمعـين فى ذلك الدرك الأسفل .

قال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْـلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ » (البينة ٦) وظاهر الآية العموم وقيل : هم الذين عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم والأول أولى ، وشر أفعل تفضيل ، وفى هذا تنبيه على أن وعيد علماء السوء أعظم من وعيد كل أحد .

وقال تعالى : « وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ، نَارٌ حَامِيَةٌ » (القـارعة ٨ ــ ١١) أى فمسكنه جهنم وسماها أمه لأنه يأوى اليها كما يأوى الى أمه ، والهاوية من أسماء جهنم ، وسميت بها لأنه يهوى فيها مع بعد قعرها .

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا مات المؤمن تلقته أرواح المؤمنين يسألونه : ما فعل فلان ؟ ما فعلت فلانة ؟ فاذا كان مات ولم يأتهم قالوا : خولف به الى أمه الهاوية فبئست الأم ، وبئست المربية » أخرجه ابن مردويه وأخرج من حديث أبى أيوب الأنصارى نحوه أيضاً وابن المبارك من حديثه نحوه أيضاً [١] .

وقال تعالى : « ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ » (التكاثر ٧) وهى المشاهدة والمعاينة قيل : هو اخبار عن دوام بقائهم فى النار ، أى : هى رؤية دائمة متصلة وقيل : المعنى لو تعلمون اليوم علم اليقين وأنتم فى الدنيا لترون الجحيم بعيون قلوبكم ، وهو أن يتصوروا أمر القيامة وأهوالها [٢] .

وقال تعالى : « كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ، نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ ، الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ، إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِى عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ » (الهمزة ٤ ـ ٩) والمعنى : ليطرحن فى النار وليلقين فيها ، وسميت حطمة لأنها تحطم كل ما يلقى فيها وتهشمه ، قيل : هى الطبقة السادسة من طبقات جهنم . وقيل : الطبقة الثانية وقيل الرابعة ، وهذه النار يخلص حرها الى القلوب فيعلوها ويغشاها وخص الأفئدة مع كونها تغشى جميع أبدانهم لأنها محل العقائد الزائغة ، أو لكون الألم اذا وصل اليها مات صاحبها . أى أنهم فى حال من يموت وهم لا يموتون ، وقيل : المعنى أنها تعلم بمقدار ما يستحقه كل واحد من العذاب وذلك بأمارات عرفها الله بها وأنها عليهم مطبقة مغلقة وهم موثوقون فى عمد ممددة .

قال مقاتل : أطبقت الأبواب عليهم ثم شدت بأوتاد من حديد فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم رَوْحٌ ، ومعنى ممددة : مطوله ، وقيل العمد أغلال فى جهنم وقيل قيود [٣] .

---

(١) فتح البيان (١٠ / ٤٣٢) الزهد والرقائق (٤ / ٤٢) من حديث ابن عمرو وخرجه الحاكم (٤/ ٥٣٣) عن الحسن البصرى مرسلا ، قال الدارقطنى : مراسيله فيها ضعف (٢/ ٢٧٠) تهذيب التهذيب .

(٢) فتح البيان (١٠ / ٤٣٧) .

(٣) فتح البيان (١٠ / ٤٤٥ ـ ٤٤٦) .

وقال تعالى : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ، سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ » (المسد ١ ــ ٣) أى سيصلى هو بنفسه ناراً ذات اشتعال وتوقد ، وهى نار جهنم ، أجارنا الله منها برحمته وكرمه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير •

وهذا آخر الآيات الكريمات الواردة فى أحوال جهنم وأهوال النار وذكر أصحابها ، وبقيت آيات مكررة جاءت فى ذلك ، ولا حاجة تدعو الى ايرادها فى هذا الكتاب المبنى على الاختصار •

قال القرطبى فى التذكرة : أبواب جهنم وما جاء فيها وفى أهوالها وأسمائها انتهى ثم ذكر ذلك فى أبواب متفرقة وأتى بأحاديث وآثار وردت فى هذه الأبواب فيها أنا أحذو حذوه فى تحرير ذلك مع زيادة على ما ذكره وحذف لما تكرر وتقدم فى بابى الآيات مع الاشارة اليه لئلا يطول ذيل الكلام وبالله الاعتصام •

(باب)

(ما جاء فى أن النار لما خلقت فزعت منها الملائكة حتى طارت أفئدتها)

عن محمد بن المنكدر قال : « لما خلقت النار فزعت الملائكة حتى طارت أفئدتها فلما خلق الله آدم سكن ذلك عنهم وذهب ما كانوا يجدون » أخرجه ابن المبارك (١) ، وقال ميمون بن مهران : «لما خلق الله جهنم أمرها فزفرت زفرة لم يبق فى السموات السبع ملك الا خر على وجهه ، فقال لهم الجبار جل جلاله : ارفعوا رؤوسكم أما علمتم أنى خلقتكم لطاعتى وعبادتى وخلقت جهنم لأهل معصيتى من خلقى ، فقالوا : ربنا لا نأمنها حتى نرى أهلها فذلك قوله تعالى (وهم من خشيته مشفقون) « الأنبياء ٢٨ » فالنار عذاب الله لا ينبغى لأحد أن يعذب بها وقد جاء النهى عن ذلك فقال لاتعذبوا بعذاب الله (٢) .

وعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ ، فَمَازَالَ يَقُولُهَا حَتَّى لَوْ كَانَ فِي مَقَامِي هَذَا لَسَمِعَهُ أَهْلُ السُّوقِ ، وَحَتَّى سَقَطَتْ خَمِيصَةٌ كَانَتْ عَلَيْهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ » رواه الدارمى (٣) .

وعن يزيد بن أبى سورة قال : رأيت عبادة بن الصامت وهو على حائط المسجد المشرف على وادى جهنم واضعاً صدره عليه وهو يبكى فقلت : أبا الوليد ما يبكيك ؟ قال : هذا المكان الذى أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى فيه جهنم ، رواه الطبرانى (٥) . قال فى مجمع الزوائد (٤) ويزيد لم أعرفه وفيه ضعفاء قد وثقوا .

---

(١) الزهد والرقائق (٩٢/١٦) . (٢) التذكرة (٣٧٩) .
(٣) الدارمى (٢٨١٥) وقال فى الترغيب : رواه الحاكم ، وقال صحيح على شرط مسلم (٨٥٣/٤) .
(٤) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٦) .
(٥) وخرجه ابن حبان فى صحيحه (برقم ٢٦٠٦ موارد الظمآن) عن زياد بن أبى سودة وزياد قال عنه ابن حجر فى التقريب : ثقة من الثالثة (٢٦٨/١) .

وعن عمر أن جبريل عليه السلام جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم حزيناً لا يرفع رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مالى أراك يا جبريل حزينا ، قال : انى رأيت لفحة من جهنم فلم ترجع الى روحى بعد » رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه على بن خلف وهو ضعيف (١) .

وعن عمر بن الخطاب قال : جاء جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم فى حين غير حينه الذى كان يأتيه فيه ، فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا جبريل مالى أراك متغير اللون ؟ فقال : ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمفاتيح النار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جبريل صف لى النار وانعت لى جهنم ، فقال جبريل : ان الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ، ثم أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت ، فهى سوداء مظلمة لا يضىء شررها ولا يطفأ لهبها ، والذى بعثك بالحق لو أن قدر ثقب ابرة فتح من جهنم لمات من فى الأرض كلهم جميعاً من حره ، والذى بعثك بالحق لو أن خازناً من خزنة جهنم ، برز الى أهل الدنيا فنظروا اليه ، لمات من فى الأرض كلهم من قبح وجهه ، ومن نتن ريحه ، والذى بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التى نعت الله فى كتابه وضعت على جبل الدنيا لارفضت وما تقارت حتى تنتهى الى الأرض السفلى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حسبى يا جبريل ، لا يتصدع قلبى فأموت . قال : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل وهو يبكى فقال : تبكى يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذى أنت فيه ؟ فقال : ومالى لا أبكى ، أنا أحق بالبكاء [لعلى أكون فى علم الله على غير الحال التى أنا عليها ، وما أدرى] (٢) لعلى أبتلى بما ابتلى به ابليس ، فقد كان من

---

(١) مجمع الزوائد (٣٨٦/١٠)وفيه : انى رايت لفحة من روحى وهو فى الترغيب (٤ / ٨٦٦) كما هنا ، وهو الأقرب .
(٢) ليست فى المجمع .

الملائكة ، وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت ، قال : فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل فما زالا يبكيان حتى نودى : أن يا جبريل ويا محمد ان الله عز وجل قد أمنكما أن تعصياه فارتفع جبريل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون فقال : أتضحكون ووراءكم جهنم ؟ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ولما أسغتم الطعام والشراب ، ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله عز وجل فنودى : يا محمد لا تقنط عبادى انما بعثتك ميسراً ولم أبعثك معسراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سددوا وقاربوا » رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه سلام الطويل وهو مجمع على ضعفه ، كذا قال الهيثمى فى مجمع الزوائد [١] .

---

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٦ ـ ٣٨٧) وهو فى الترغيب (٤ / ٨٦٣ ـ ٨٦٦) .

(باب)

ما جاء فى البكاء عند ذكر النار والخوف منها

عن زيد بن أسلم قال جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه اسرافيل فلما سلّمَا على النبى صلى الله عليه وسلم فاذا اسرافيل منكسر الطرف فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يا جبريل مال اسرافيل منكسر الطرف متغير اللون ؟ قال : لاحت له آنفا حين هبط لمحة من جهنم فذلك الذى يرى كسر طرفه » رواه ابن وهب (١) .

وعن محمد بن مطرف عن الثقة « أَنَّ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ دَخَلَتْهُ خَشْيَةٌ مِنَ النَّارِ فَكَانَ يَبْكِي عِنْدَ ذِكْرِ النَّارِ حَتَّى حَبَسَهُ ذَلِكَ فِي الْبَيْتِ فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَنَقَهُ الْفَتَى فَخَرَّ مَيِّتًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : جَهِّزُوا صَاحِبَكُمْ فَإِنَّ الْفَرَقَ مِنَ النَّارِ فَلَذَ كَبِدَهُ » رواه ابن المبارك (٢)

وروى أن عيسى عليه السلام مر بأربعة آلاف امرأة متغيرات الألوان وعليهن مدارع الشعر والصوف فقال عيسى عليه السلام : ما الذى غير ألوانكن معاشر النسوة ؟ قلن : فان ذكر النار غير ألواننا يا ابن مريم ان من دخل النار لا يذوق فيها برداً ولا شراباً . ذكره الخرائطى فى كتاب النشور .

وروى أن سلمان الفارسى لما سمع قوله عز وجل « وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ » (الحجر : ٤٣) فر ثلاثة أيام هاربا من الخوف لا يعقل ، فجىء به الى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله فقال له : يا رسول الله أنزلت هذه الآية « وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ » فو الذى بعثك بالحق لقد قطعت قلبى فأنزل الله تعالى « إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ » الآية . ذكره الثعلبى وغيره والله أعلم بأسانيدها ولم يتكلم عليها القرطبى فى التذكرة (٣) .

---

(١) الزهد والرقائق (٦ /٩٢) وهو ضعيف لارساله .
(٢) التذكرة (٣٨٠) وقد خرجه الحاكم (٤٩٤/٢) موصولا عن ابى حازم ، قال : اظنه عن سهل بن سعد ، بسياق أتم من هذا ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى .
(٣) التذكرة (٣٨٠) .

(باب)

(ما جاء فيمن استجار من النار وسأل الله الجنة)

عن أنس بن مالك قال : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ سَأَلَ اللهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ الْجَنَّةُ : اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ النَّارُ : اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ » أخرجه الترمذى [1] ، وعن أبى سعيد الخدرى أو عن ابن حجيرة الأكبر عن أبى هريرة رضى الله عنه أن أحدهما حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا كان يوم حار ألقى الله سمعه وبصره الى أهل السماء وأهل الأرض فاذا قال العبد : لا اله الا الله ما أشد حر هذا اليوم ! ، اللهم أجرنى من حر نار جهنم قال الله لجهنم : ان عبداً من عبادى استجار بى منك وانى أشهدك أنى قد أجرته منك .

واذا كان يوم شديد البرد ألقى الله سمعه وبصره الى أهل السماء وأهل الأرض فاذا قال العبد : لا اله الا الله ما أشد برد هذا اليوم ! اللهم أجرنى من زمهرير جهنم ، قال الله عز وجل لجهنم : « ان عبداً من عبادى استجار بى منك ومن زمهريرك وانى أشهدك أنى قد أجرته ، فقالوا : وما زمهرير جهنم ؟ قال : جب يلقى فيه الكافر فيتميز من شدة برده بعضه من بعض » رواه البيهقى .

قال القرطبى [2] فى التذكرة : تقرر من الكتاب والسنة أن الأعمال الصالحة والاخلاص فيها مع الايمان موصلة الى الجنان ومباعدة عن النيران وذلك يكثر ايراده والقطع به مع الموافاة على ذلك ، يغنى عن ذكر ذلك ، ويكفيك الآن من ذلك ما ثبت فى الصحيحين [3] عن أبى سعيد

---

(١) الترمذى (٤/٧٠٠) وخرجه الحاكم بنحوه (١/٥٢٤-٥٣٥ وصححه واقره الذهبى .
(٢) التذكرة (٣٨٠ - ٨١) .
(٣) مسلم (٢/٨٠٨) .

الخدرى رضى الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْماً فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً » قلت : الخريف السنة .

وأخرج النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ زَحْزَحَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ بِذَلِكَ الْيَوْمِ سَبْعِينَ خَرِيفًا [١] » وأخرج الترمذى عن أبى أمامة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَامَ يَوْماً فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقاً كَمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » ويروى كما بين السماء والأرض . هذا حديث غريب من حديث أبى أمامة [٢] .

وخرج الطبرانى [٣] عن عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى عليه وسلم : « من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه باعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين خمسمائة عام » وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من توضأ فأحسن الوضوء ، وعاد أخاه المسلم محتسباً ، بُوعِد من جهنم مسيرة سبعين خريفاً قلت : يا أبا حمزة : وما الخريف ؟ قال العام » رواه أبو داود [٤] فى كتابه ، وعن عدى بن حاتم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ » أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم [٥] .

---

(١) النسائى (٤ / ١٤٣) قال المنذرى : باسناد حسن (٢ / ١٣١) الترغيب .

(٢) الترمذى (٤ / ١٦٧) ورواه الطبرانى من حديث ابى الدرداء ، قال المنذرى : باسناد حسن (٢/١٣٠) .

(٣) قال الهيثمى وفيه رجاء بن ابى عطاء وهو ضعيف (٣ / ١٣٠) .

(٤) ابو داود (٢ / ١٦٥) ، قال المنذرى : فى اسناده الفضل بن دلهم قال يحيى ابن معين : ضعيف الحديث ، وقال مرة : حديث صالح ، وقال الامام أحمد : لا يحفظ ، وقال مرة : ليس به باس (٤ / ٢٧٧) .

(٥) مسلم (٢ / ٧٠٣) .

(باب)

(احتجاج أهل الجنة والنار وصفة أهلها)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ فَقَالَتْ هذِهِ : يَدْخُلُنِى الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ هذِهِ : يَدْخُلُنِى الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ ، فَقَالَ اللهُ تَعالَى لِهَـذِهِ : أَنْتِ عَذَابِى أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ ، وَقَالَ لِهَذِهِ : أَنْتِ رَحْمَتِى أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَـاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا » رواه البخارى ومسلم والترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح [١] .

قال الحاكم أبو عبد الله فى علوم الحديث [٢] : سئل محمد بن اسحاق بن خزيمة عن هذا الحديث : من الضعيف ؟ قال : الذى يبرىء نفسه من الحول والقوة ، يعنى: فى اليوم عشرين مرة الى خمسين مرة ، قال القرطبى [٣] : ومثل هذا لا يقال من جهة الرأى فهو مرفوع والله أعلم . وأما المساكين : فالمراد بهم المتواضعون وهم المشار اليهم فى قوله صلى الله عليه وسلم « اَللّهُمَّ أَحْيِنِى مِسْكِينًا وَأَمِتْنِى مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِى فِى زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ [٤] ولقد أحسن من قال :

اذا أردت شريف الناس كلهم   فانظر الى ملك فى زى مسكين
ذاك الذى عظمت فى الله رغبته   وذاك يصلح للدنيـا وللدين

---

(١) مسلم (٤ / ٢١٨٦) ــ الترمذى (٤ / ٦٩٤) .
(٢) علوم الحديث (٨٤) .   (٣) التذكرة (٣٦١) .
(٤) رواه ابن ماجه برقم ٤١٢٦ ، والترمذى (٤ / ٥٧٧) .
قال الحافظ صلاح الدين بن العلاء : الحديث ضعيف السند ، لكن لا يحكم عليه بالوضع . ثم قال : انه ينتهى بمجموع طرقه الى درجة الصحة، نقله البوصيرى عن السيوطى عنه : وراجع كشف الخفاء (١ / ٢٠٦ ــ ٢٠٧)

(باب)

(فى صفة النار وفى شرار الناس من هم)

عن عياض بن حمار المجاشعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يـوم فى خطبته : أهل النار خمسة : الضعيف الذى لا زبر له [١] الذين هم فيكم تبعا لا يبتغون أهلا ولا مالا ، والخائن الذى لا يخفى[٢] له طمع وان دق الا خانه ، ورجل لا يصبح ولا يمسى الا وهو يخادعك عن أهلك ومالك ، وذكر البخل أو الكذب والشنظير الفحاش أخرجه مسلم [٣] بطوله وعن حارثة بن وهب الخزاعى قال قال النبى صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر فى رواية : زنيم متكبر ، أخرجه مسلم [٤] وابن ماجه ، والجواظ : الفظ الغليظ ، وقيل : الجافى القلب ، والعتل : الشديد الخصومة وقيل : هو الأكول الشروب الظلوم ، والزنيم المستلحق فى قوم ليس هو منهم وقيل : اللئيم .

وعن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله لا يعذب من عباده الا المارد المتمرد ، الذى يتمرد على الله وأبى أن يقول لا اله الا الله » رواه ابن ماجه[٥] ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل النار الا شقى ، قيل :

---

(١) اى لا عقل له ينفعك به من المفاسد ، وينزجر به عنها ، فحسبك به ضعفا وخسارة فى الدين ، قال ابو العباس شيخ القرطبى : يعنى بذلك أن هؤلاء القوم ضعفاء العقول فلا يسعون فى مصلحة دنيوية ، ولا فضيلة نفسية ولا دينية ، بل يهملون انفسهم اهمال الأنعام . التذكرة (٣٦٣) .

(٢) اى لا يظهر ، وهو من الاضداد .

(٣) مسلم (٤ / ٢١٩٨) .

(٤) مسلم (٤ / ٢١٩٠) وابن ماجه برقم (٤١١٦)

(٥) برقم (٤٢٩٧) وفى اسـناده : اسماعيـل بن يحيى ، متفق على تضعيفه .

يا رسول الله ومن الشقى ؟ قال من لم يعمل لله بطاعة ولم يترك له معصية» رواه ابن ماجه [(١)] وعنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل النار من ملأ أذنيه من ثناء الناس شرا وهو يسمع[(٢)] وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : مر بجنازة فأثنى عليها شر فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من أثنيتم عليه شرا وجبت له النار [(٣)] ، أنتم شهداء الله فى الأرض » رواه مسلم [(٤)] بطوله قالت عائشة : « النار دار البخلاء » وقال زيد بن أسلم : نهاك الله أن تكون لئما فتدخل النار ، وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أنبئكم بشراركم قالوا نعم يا رسول الله قال : من أكل وحده ومنع رفده وجلد عبده ، أفأنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا : نعم يا رسول الله قال : من يبغض الناس ويبغضونه قال : أفأنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا نعم يا رسول الله قال : من لا يقبل عثرة ولا يقبل معذرة ، ولا يغفر ذنبا قال : أفأنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا : نعم يا رسول الله قال : من لا يرجى خيره ، ولا يؤمن شره » أخرجه الحافظ أبو نعيم من طريق محمد بن كعب القرظى بطوله قال : وهذا الحديث لا يحفظ بهذا السياق عن النبى صلى الله عليه وسلم الا من حديثه عن أبن عباس [(٥)] .

---

(١) برقم (٤٢٩٨) قال البوصيرى : وفى اسناده : ابن لهيعة وهو ضعيف .

(٢) برقم (٤٢٢٤) ، قال البوصيرى : اسناده صحيح رجاله ثقات والمعنى ملأ الله .

(٣) معناه عند الفقهاء اذا أثنى عليه أهل الفضل والصدق والعدالة لان الفسقة قد يثنون على الفاسق فلا يدخل فى الحديث ، وكذلك لو كان القائل فيه عدوا له وان كان فاضلا لأن شهادته فى حياته لو كانت عليه غير مقبولة ، وكذلك الحكم فى الآخرة قاله القرطبى . التذكرة (٣٦٤) .

(٤) مسلم (٢ / ٦٥٥) .

(٥) قال الهيثمى : رواه الطبرانى ، وفيه : عنبس بن ميمون وهو متروك (٨ / ١٨٣) .

(باب)

(فى صفة أهل النار)

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ألا أنبئكم بأهل النار ؟ كل سفيه جعظرى » رواه أحمد ، وفيه البراء بن عبد الله وهو ضعيف[1] وعن ابن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عند ذكر أهل النار : « كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع ، وأهل الجنة الضعفاء والمغلوبون » رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح[1] . وعن ابن غنم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة الجواظ الجعظرى والعتل الزنيم » رواه أحمد واسناده حسن الا أن ابن غنم لم يسمع من النبى صلى الله عليه وسلم .

وعن على بن رباح قال : بلغنى عن سراقة بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يا سراقة ألا أخبرك بأهل الجنة وأهل النار ؟ قال : بلى يا رسول الله قال : أما أهل النار فكل جعظرى مستكبر ، وأما أهل الجنة فالضعفاء المغلوبون » رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح الا أن فيه راويا لم يسم ، قاله فى مجمع الزوائد [1] ، وعن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما بعث الله نبيا الى قوم فقبضه الا جعل بعده فترة يملأ من تلك الفترة جهنم » رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير صدقة بن سابق وهو ثقة [1] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أهل النار لم رهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحا ، وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا

---

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٢) .

وكذا » أخرجه مسلم [١] ،قال الخليل :الصنف : الطائفة من كل شيء ، والسوط : اسم العذاب وان لم يكن ثم ضرب ،قاله الفراء .

قال القرطبي : وهذه الصفة للسياط مشاهدة عندنا بالمغرب الى الآن . انتهى .

(قلت) بل هو مشاهد في كل مكان وزمان يزداد يوماً فيوما عند الأمراء والأعيان ، فنعوذ بالله من جميع ما كرهه الله .

والمعنى : أنهن كاسيات بالثياب عاريات من الدين لانكشافهن وابداء محاسنهن ، وقيل : كاسيات ثيابا رقاقا يظهر ما تحتها وما خلفها ، فهن كاسيات في الظاهر عاريات في الحقيقة ، وقيل : كاسيات في الدنيا بأنواع الزينة من الحرام ومما لا يجوز لبسه . ومائلات : معناه زائغات عن طاعة الله وطاعة الأزواج ، وما يلزمهن من صيانة الفروج والتستر عن الأجانب ، ومميلات : معناه : يعلمن غيرهن الدخول في مثل فعلهن ، وقيل : مائلات. متبخترات في مشيتهن ، مميــلات يملن رؤوسهن وأعطافهن للخيــلاء والتبختر ، ومميلات لقلوب الرجال اليهن بما يبدين من زينتهن وطيب رائحتهن ، وقيل : يمتشطن الميلاء وهي مشطة البغايا ، والمميلات : اللواتي يمشطن غيرهن المشطة الميلاء رءوسهن كأسنمة البخت : يعظمن رؤوسهن بالخمر والمقانع ، ويجعلن رؤوسهن شيئا يسمى عندهن النازة ، لا عقص الشعر والذوائب المباح للنساء حسب ما ثبت في الصحيح عن أم سلمة قالت : قلت يا رسول الله اني امرأة أشد ضفر رأسي الحديث [٢] .

---

(١) مسلم (٤ / ٢١٩٢) .
(٢) التذكرة (٣٦٨ — ٣٦٩) .

(باب)

(أول من يكسى من حلل النار)

عن أنس بن مالك قال : « أول من يكسى حلة من النار ابليس ، فيضعها على حاجبه أو حاجبيه ويسحبها من بعده ، وذريته من بعده أو من خلفه ، وهو ينادى يا ثبوراه ، وينادون يا ثبورهم ، فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا » رواه أحمد والبزار ، قال فى مجمع الزوائد [١] : ورجالهما رجال الصحيح غير على بن زيد وقد وثق .

(باب)

(ما جاء فى أكثر أهل النار)

عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء » أخرجه مسلم [٢] ، ومن حديث ابن عباس فى حديث كسوف الشمس « ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرا قط ، ورأيت أكثر أهلها النساء . قالوا : بم يا رسول الله ؟ قال : بكفرهن : قيل . أيكفرن بالله ؟ قال : بكفر العشير وبكفر الاحسان ، لو أحسنت الى احداهن الدهر ، ثم رأت منك شيئا ، قالت : ما رأيت منك خيرا قط [٣] » .

وعن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٢) .
(٢) مسلم (٤ / ٢٠٩٦) .
(٣) مسلم (٢ / ٢٦٦) .

« ان أقل ساكنى الجنة النساء [١] » . أى لما يغلب عليهن من الهوى والميل الى عاجل زينة الدنيا لنقصان عقولهن أن تنفذ بصائرها الى الأخرى ، فيضعفن عن عمل الآخرة والتأهب لها لميلهن الى الدنيا والتزين بها ، ثم مع ذلك هن أقوى أسباب الدنيا التى تصرف الرجال عن الأخرى لما لهم فيهن من الهوى . فأكثرهن معرضات عن الآخرة بأنفسهن ، صارفات عنها لغيرهن ، سريعات الانخداع لداعيهن من المعرضين عن الدين . عسيرات الاستجابة لمن يدعوهن الى الآخرة وأعمالها من المتقين [٢] .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء » رواه الترمذى [٣] ، ورواه عن عمران بن حصين أيضا ، وقال فيه : هذا حديث حسن صحيح ، وكلا الحديثين ليس فيهما مقال .

وعن حارثة بن وهب الخزاعى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ متكبر » . أخرجه الترمذى [٤] وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والعتل : الشديد الجافى ، والجواظ : الجموع المنوع . وقيل : الكثير اللحم ، المختال فى مشيه ، وقيل : القصير البطين .

وعن عبد الرحمن بن شبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) مسلم (٤ / ٢٠٩٧) .
(٢) التذكرة (٣٦٩) .
(٣) التذكرة (٤ / ٧١٥ ــ ٧١٦) وعبارته : كلا الاسنادين .
(٤) الترمذى (٤/٧١٧) .

« ان الفساق أهل النار ، قالوا : يا رسـول الله ومن الفساق ؟ قال : النساء ، قال رجل : يار سـول الله أو ليس أمهاتنا ونساؤنا وأزواجنا وبناتنا ؟ قال : بلى ولكنهن اذا أعطين لم يشكرن واذا ابتلين لم يصبرن » رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبى راشد الحبرانى وهو ثقة (١) .

وعن حكيم بن حزام قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء بالصدقة وحثهن عليها وقال : تصدقن فانكن أكثر أهل النار ، فقالت امرأة منهن : لم ذلك يا رسول الله ؟ قال : لأنكن تكثرن اللعن ، وتسوفن الخـير ، وتكفرن العشـير » . رواه الطبرانى فى الأوسـط ورجاله ثقات (٢) .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « باب النار لا يدخله الا من يشفى غيظه بسخط الله » رواه البزار من طريق قدامة بن محمد . عن اسماعيل بن شيبة ، وهما ضعيفان ، وقد وثقا ، وبقية رجاله رجال الصحيح (٣) . وقال الفضيل بن عياض : يؤتى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء زرقاء ، أنيابها بادية مشوه خلقتها ، فتشرف على الخلائق ، فيقال : هل تعرفون هذه ؟ فيقولون : نعوذ بالله من معرفة هذه ، فيقال : هذه الدنيا التى تشاجرتم عليها وبها تقاطعتم الأرحام ، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ، ثم تقذف فى جهنم فتنادى : أى رب أين أتباعى وأشياعى ؟ فيقول الله تعالى : ألحقوا بهـا أتباعها وأشياعها (٤) .

وعن غالب القطان عن رجل عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله

---

(١) التذكرة (٣٦٩) .
(٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٤) .
(٣) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٥) .
(٤) عزاه القرطبى (٣٧٠) لابن أبى الدنيا ، عن فضيل بن عياض من قوله .

صلى الله عليه وسلم : « ان العرافة حق ولا بد للناس من العرفاء ، ولكن العرفاء فى النار » أخرجه أبو داود [١] . قال أهل العلم : العريف القيم بأمر القبيلة والمحلة يلى أمورهم ويتعرف أخبارهم ويعرف الأمير منه أحوالهم .

ومعنى قوله « ان العرافة حق » يريد أن فيها مصلحة للناس ورفقا بهم ألا تراه يقول : لا بد للناس من عرفاء ؟.

وقوله « فى النار » معناه التحذير من الرياسة والتأمر على الناس لما فيه من الفتنة ، والله أعلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « ويل للأمراء ، وويل للأمناء ، وويل للعرفاء ، ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يتذبذبون بين السماء والأرض وانهم لم يعملوا عملا » أخرجه أبو داود الطيالسى [٢] .

وعن جبير بن مطعم عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة قاطع [٣] » رواه البخارى . قال سفيان : يعنى قاطع رحم . وعن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل الجنة صاحب مكس » . رواه أبو داود [٤] ومفهومهما أنهما يدخلان النار .

قال أهل العلم : صاحب المكس : هو الذى يعشر أموال الناس ، ويأخذ من التجار والمختلفين مالا يجب عليهم ، اذا مروا به ، مكسا باسم العشر والزكاة وليس هو الساعى الذى يأخذ الصدقات والحق الواجب للفقراء .

---

(١) قال المنذرى : فى اسناده مجاهيل (٤ / ١٩٦) . مختصر السنن.
(٢) منحة المعبود (٢ / ١٦٥) والحديث رواه أحمد وصححه الشيخ شاكر .
(٣) البخارى (٨ / ٦) .
(٤) قال المنذرى فى اسناده محمد بن اسحق (٤ / ١٩٨) .

قال القرطبى : ان التبديل اذا كان فى الأعمال وليس هو فى العقائد فصاحبه فى المشيئة وان عذب فانه يخرج بالشـفاعة ، وهكذا القول فى أصحاب الكبائر المتوعد عليها بالنار واللعنة ، فانهم يخرجون بالشفاعة اذا ارتكبوها على غير وجه الاستحلال [١] .

(باب)

(ما جاء فى أول ثلاثة يدخلون النار)

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « أول ثلاثة يدخلون النار : أمير متسـلط وذو ثروة من مال لا يؤدى حقه وفقير فخور » أخرجه أبو بكر بن أبى شيبة [٢] بطوله .

(باب)

(بعث النار وأول من يدعى يوم القيامة)

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : ان أول من يدعى يوم القيامة آدم عليه السلام فيقول يا آدم فيقول لبيك وسعديك فيقول أخرج بعث جهنم من ذريتك ، فيقول يا رب كم أخرج ؟ فيقول أخرج من كل مائة تسـعة وتسعين . قيل فما يبقى منا يا رسول الله ؟ قال ان أمتى فى الأمم كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود » أخرجه البخارى [٣] .

---

(١) التذكرة (٣٧١) وما قبلها .
(٢) ذكره القرطبى (٣٧٢) .
(٣) بمعناه (٨ / ١٣٧) .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان ابراهيم يرى أباه يوم القيامة عليه الغبرة والقترة ، فيقول له ابراهيم : ألم أقل لك لا تعصنى ؟ فيقول أبوه : اليوم لا أعصيك ، فيقول ابراهيم : يا رب انك وعدتنى أن لا تخزينى يوم يبعثون ، فأى خزى أخزى من أبى الأبعد ؟ فيقول الله تعالى : انى حرمت الجنة على الكافرين . ثم يقال : يا ابراهيم ما تحت رجليك ؟ فينظر فاذا هو بذبح متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار ، أخرجه البخارى [1] ، والقترة : غبرة معها سواد ، والذبح : ذكر الضباع .

وفى الحديث دليل على أن الكافر فى النار ، وان كان أبا أحد من الرسل ، وقد تعصب قوم أولهم السيوطى فى أن أبوى النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة ، واستدل لذلك بأخبار لا تصح ولا تثبت ، وتوقف قوم فى ذلك ، وليس الخوض عندى فى هذا الباب من شأن أهل العلم .

وقد ينجر هذا البحث الى اساءة الأدب فى حق من لا يجوز الاساءة فيه ، والله أعلم بحال أبويه صلى الله عليه وسلم ومالهما يوم القيامة ، ولا يلحق عار ولا شنار له صلى الله عليه وسلم بكونهما فى النار كما لا يلحق لابراهيم عليه السلام من كون أبيه فيها ، نعم لو جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك شىء وصح لوجب المصير اليه ولا يعبأ بأقوال الرجال وأباطيل الأخبار ومواضيع الآثار فى أمثال هذه الأبحاث ، فلا يغتر المسلم بقول زيد وعمرو ، بل عليه أن يكون على بصيرة من دينه وعلى بال من ايمانه وعلى سلامة من اسلامه ، ولا يخوض مع الخائضين ، فان الجهل بمقاصد الشرع وضعف العقول وفقدان الفهم قد غلب على الناس أولهم وآخرهم الا من عصمه الله تعالى وفقهه فى الدين وقليل ما هم ، وقليل من عباده الشكور .

---

(١) وسياق من مجموع روايتين (١٠ / ١١٦) ، (٧ / ١٩٧) فتح البارى

وعن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل يقول يوم القيامة لآدم عليه السلام : قم فجهز من ذريتك تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار ، وواحدا الى الجنة ، فبكى أصحابه وبكوا ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفعوا رؤوسكم فوالذى نفسى بيده ، ما أمتى فى الأمم الا كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود ، فخفف ذلك عنهم » رواه أحمد والطبرانى قال فى مجمع الزوائد [١] واسناده جيد .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله عز وجل يبعث مناديا ينادى يا آدم ان الله عز وجل يأمرك أن تبعث بعثا من ذريتك الى النار فيقول آدم : يا رب ومن كم ؟ قال فيقال له : من كل مائة تسعة وتسعين فقال رجل من القوم : من هذا الناجى منا بعد هذا يا رسول الله قال : هل تدرون ما أنتم فى الناس الا كالشامة فى صدر البعير » رواه أحمد وأبو يعلى وفيه ابراهيم بن مسلم الهجرى وهو ضعيف [٢] .

وعن ابن عباس قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هـذه الآية وأصحابه عنده « يأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة السـاعة شىء عظيم » (الحج ١) الى آخر الآية قال : هل تدرون أى يوى ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال ذاك يوم يقول الله عز وجل : يا آدم قم فابعث بعثاً الى النار فيقول : وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعون الى النار ، وواحد الى الجنة ، فشق ذلك على القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ، انى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة ، ثم قال أنى لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعملوا وابشروا فانكم بين خليقتين

---

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٣) .
(٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٣ ـ ٣٩٤) .

لم تكونا مع أحد الا كثرتاه ، يأجوج ومأجوج وانما أنتم فى الناس أو قال الأمم الا كالشامة فى جنب البعير أو كالرقمة فى ذراع الدابة ، انما أمتى جزء من ألف جزء . رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير هلال ابن خباب وهو ثقة [١] .

وعن أنس قال : نزلت (يا أيها الناس اتقوا ربكم) الى قوله (ولكن عذاب الله شديد) .(الحج ١) على النبى صلى الله عليه وسلم فى مسير له فرفع بها صوته ، حتى ثاب اليه أصحابه فقال : « أتدرون أى يوم هذا ؟ يوم يقول الله لآدم قم فابعث بعثاً الى النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار ، وواحد الى الجنة فشق ذلك على المسلمين فقال النبى صلى الله عليه وسلم : سددوا وقاربوا وأبشروا ، فوالذى نفسى بيده ما أنتم فى الناس كالشامة فى جنب البعير أو كالرقمة فى ذراع الدابة » ان معكم لخليقتين ما كانتا فى شىء قط الا كثرتاه يأجوج ومأجوج ، ومن هلك من كفرة الجن والانس . رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن مهدى وهو ثقة كذا فى مجمع الزوائد [٢] .

(باب)

(ما جاء فى أول من تسعر بهم جهنم)

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهد

---

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٤) .
(٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٤) .

قال : كذبت ولكنك قاتلت لأن يقـال : جرىء ، فقد قيـل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ، حتى ألقى فى النار • ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال : كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال : هو قارىء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار •

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت لك ، قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال : جـواد فقد قيـل • ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى فى النـار » أخرجه مسلم [1] والترمذى بمعناه وقال فى آخره : ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتى فقال : يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة •

(باب)

(ما جاء فى جهنم وأنها أدراك ولمن هى ؟)

وانما قلنا أدراك ولم نقل درجات ، لاستعمال العرب لكل ما تسافل « درك » ولما تعالى « درج » فيقال للجنة درج وللنار درك ، والمنافقون فى الدرك الأسفل منها وهى الهاوية لغلظ كفرهم وكثرة غوائلهم وتمكنه من أذى المؤمنين ، والنار دركات سبعة : أى طبقات ومنازل •

عن كعب الأحبار : « ان فى النار لبئرا ما فتحت ، أبوابهـا مغلقـة

---

(١) مسلم (١٥١٤٣) الترمذى (٤ / ٥٩٢ ـ ٥٩٣) •

ما جاء على جهنم يوم منذ خلقها الله تعالى الا تستعذ بالله من شر تلك البئر، مخافة اذا فتحت تلك البئر أن يكون فيها من عذاب الله ما لا طاقة لها به ولا صبر لها عليه وهى الدرك الأسفل من النار » رواه ابن وهب عن طريق ابن زيد .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى « ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار » (النساء ١٢٥) قال : « توابيت من حديد نصبت عليهم فى أسفل النار » أخرجه ابن المبارك [١] . وعن على قال : هل تدرون كيف أبواب جهنم ؟ قلنا : هى مثل أبوابنا هذه ؟ قال : لا هى هكذا ، بعضها فوق بعض » رواه ابراهيم بن هارون الغنوى ، قال أهل العلم : أعلى الدركات جهنم ، وهى مختصة بالعصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهى التى تخلو من أهلها تصفق الرياح أبوابها ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية .

قال القرطبى [٢] وقد يقال للدركات درجات ، لقوله تعالى « ولكل درجات مما عملوا » (الأحقاف ١٩) وقع فى كتاب الزهد والرقاق أسماء هذه الطبقات وأسماء أهلها من أهل الأديان على ترتيب لم يرد فى أثر صحيح ، قال الضحاك: فى الدرك الأعلى المحمديون ، وفى الثانى : وفى الثالث : اليهود ، وفى الرابع : الصابئون ، وفى الخامس : المجوس ، وفى السادس : مشركو العرب ، وفى السابع : المنافقون .

وقال معاذ بن جبل وذكر علماء السوء : « من اذا وعظ عنف ، واذا وعظ أنف ، فذاك فى أول درك من النار ، ومن العلماء من يأخذ علمه مأخذ السلطان ، فذلك فى الدرك الثانى من النار ، ومن العلماء من يخزن علمه ، فذلك فى الدرك الثالث من النار ، ومن العلماء من يتخير الكلام والعلم

(١) الزهد والرقائق (٨٦٦) .
(٢) التذكرة (٣٨٢) .

لوجوه الناس ، ولا يرى سفلة الناس له موضعاً ، فذلك فى الدرك الرابع من النار ، ومن العلماء من يتعلم كلام اليهود والنصارى وأحاديثهم ليكثر حديثهم ، فذلك فى الدرك الخامس من النار ، ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا ، يقول للناس : سلونى ، فذلك الذى يكتب عند الله متكلفا ، والله لا يحب المتكلفين ، فذلك فى الدرك السادس من النار ، ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة وعقلا ، فذلك فى الدرك السابع من النار » ذكره غير مروءة وعقلا ، فذلك فى الدرك السابع من النار » ذكره غير واحد من العلماء قال القرطبى [١] مثله لا يكون رأيا وانما يدرك توفيقا .

ثم من هذه الأسماء ما هو اسم علم النار كلها بجملتها نحو جهنم ، وسقر ، ولظى ، وسموم ، فهذه أعلام وليست لباب دون باب فاعلم وفى التنزيل (ووقانا عذاب السموم) « الطور (٢٧) » يريد النار ، أجارنا الله منها بجاه محمد صلى الله عليه وسلم وآله [٢] .

(باب)

(ما جاء أن جهنم تسعر كل يوم وتفتح أبوابها الا يوم الجمعة)

عن عبد الله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان جهنم تسعر كل يوم ، وتفتح أبوابها الا يوم الجمعة ، فانها لا تسعر يوم الجمعة ولا تفتح أبوابها » أخرجه أبو نعيم وهذا غريب من حديثه ، ومكحول لم يكتبه الا من حديث النعمان ، قال القرطبى [٣] : ولهذا المعنى كانت النافلة جائزة يوم الجمعة عند قائم الظهيرة دون غيرها من الأيام والله عز وجل أعلم .

---

(١) التذكرة (٣٨٣) .
(٢) فى التذكرة (٣٨٣) : أجارنا الله منها بمنه وكرمه آمين .
(٣) التذكرة (٣٨٣) .

(باب)

(ما جاء أن جهنم لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم)

تقدم الكلام على ذلك فى الباب الثانى من الآيات الكريمة

عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لجهنم سبعة أبواب : باب منها لمن سل السيف على أمتى أو قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم خرجه الامامان الحافظان أبو عبد الله وأبو عيسى وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث مالك بن مغول رحمه الله ، قال القرطبى [1] : مالك بن مغول أبو عبد الله البجلى الكوفى ، أمام ثقة خرج له البخارى ومسلم والأئمة .

وقال أبى بن كعب : لجهنم سبعة أبواب باب منها للحرورية ، وعن عطاء الخراسانى قال ان لجهنم سبعة أبواب أشدهاغما وكرباً وحراً وأنتنها ريحاً للزناة الذين ارتكبوا بعد العلم . رواه أبو نعيم الحافظ .

وعن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله تعالى يعنى الآية المتقدمة « جزء أشركوا بالله ، وجزء شكوا فى الله وجزء غفلوا عن الله ، آثروا شهواتهم على الله ، وجزء شفوا غيظهم بغضب الله ، وجزء صيروا رغبتهم بحظهم عن الله وجزء عتوا على الله » ذكره الحليمى فى كتاب منهاج الدين له وقال : فان كان ثابتاً [2] فالمشركون بالله : هم : الثنوية والشاكون هم الذين لا يدرون أن لهم الهاً أو لا اله لهم ، أو يشكون فى شريعته أنها من عنده أم لا . والغافلون :

---

(١) التذكرة (٣٨٣) الترمذى (٥ / ٢٩٧) والمسند (١ / ٥٦) باسناد صحيح .

(٢) ليس بثابت ، فقد عزاه فى تنزيه الشريعة (٣٧٩/٢) للخطيب ، قال : وفيه سلام الطويل ، قال أحمد : منكر الحديث ، وقال النسائى : متروك (١٧٥/٢) ميزان الاعتدال .

ملحوظة : (صواب هذا الهامش هنا ، وما ألحق بهامش الصفحة التالية ١١٣ خطأ ، فتنبه لذلك) .

هم الذين يجحدونه أصلا ولا يثبتونه ، وهم الدهرية ، والمؤثرون شهواتهم على الله : هم المنهمكون فى المعاصى ، لتكذيبهم برسل الله ، وأمره ونهيه ، والشافون غيظهم بغضب الله تعالى : هم القاتلون أنبياء الله ، وسائر الداعين له ، المعذبون من ينصح لهم ، أو يذهب غير مذهبهم ، والمصيرون رغبتهم بحظهم من الله تعالى : هم المنكرون للبعث والحساب ، والعاتون على الله : هم الذين لا يبالون بأن يكون ما هم فيه حقا أو باطلا فلا يتفكرون ولا يعتبرون ولا يستدلون والله أعلم بما أراد رسوله صلى الله عليه وسلم ان كان الحديث ثابتاً .

(باب)

« فى بعد أبواب جهنم بعضها من بعض »

وما أعد الله تعالى فيها من العذاب

قال بعض أهل العلم[1] فى قوله تعالى : (لكل باب منهم جزء مقسوم) قال من الكفار ، والمنافين والشياطين ، بين الباب والباب خمسمائة عام فالباب الأول : يسمى جهنم لأنه يتجهم فى وجوه الرجال والنساء ، فيأكل لحومهم ، وهو أهون عذابا من غيره ، والباب الثانى : يقال له : لظى نزاعة للشوى ، ويقول آكله لليدين والرجلين (تدعو من أدبر) عن التوحيد (وتولى) عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، والباب الثالث : يقال له سقر ، وانما سمى سقر لأنه يأكل لحوم الرجال والنساء لا يبقى لهم لحماً على عظم ، والباب الرابع يقال له : الحطمة . فقد قال تعالى (وما أدراك ما الحطمة) الآية تحطم العظام ، وتحرق الأفئدة : قال تعالى (التى تطلع على الأفئدة) تأخذه النار من قدميه ، وتطلع على فؤاده ، وترمى بشرر كالقصر ، كما قال تعالى : (ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر) الآية يعنى سوداً فتطلع الشرر الى السماء ، ثم تنزل فتحرق وجوههم وأيديهم وأبدانهم ، فيبكون الدمع حتى ينفذ ،

---

(١) عزاه فى تنزيه الشريعة (٢/٣٧٩) للخطيب قال : وفيه سلام الطويل قال أحمد: منكر الحديث وقال النسائى : متروك الميزان(٢/١٧٥)

ثم يبكون الدماء ، ثم يبكون القيح حتى تنفذ ، حتى ان السفن لو أرسلت تجرى فيما خرج من أعينهم لجرت ، والباب الخامس يقال له الجحيم وانما سمى الجحيم لأنه عظيم ، الجمرة الواحدة منه أعظم من الدنيا .

والباب السادس : يقال له : السعير وانما سمى السعير لأنه يسعر منذ خلق ، فيه ثلاثمائة قصر فى كل قصر ثلاثمائة بيت فى كل بيت ثلاثمائة لون من العذاب وفيه الحيات ، والعقارب ، والقيود ، والسلاسل ، والأغلال ، والأنكال ، وفيه جب الحزن ، ليس فى النار عذاب أشد منه ، اذا فتح باب الجب حزن أهل النار حزناً شديداً . الباب السابع : يقال له الهاوية من وقع فيه لم يخرج منه أبداً . وفيه بئر الهباب اذا فتح تخرج منه نار تستعيذ منه النار ، وفيه الذى قال الله عز وجل (سأرهقه صعوداً) أو جبل من نار تصعده أعداء الله على وجوههم مغلولة أيديهم الى أعناقهم مجموعة أعناقهم الى أقدامهم والزبانية وقوف على رءوسهم بأيديهم مقامع من حديد ، اذا ضرب أحدهم بالمقمعة ضربة سمع صوتها الثقلان ، وأبواب النار حديد ، فرشها الشوك ، غشاوتها الظلمة أرضها نحاس ورصاص وزجاج ، النار من فوقهم ، والنار من تحتهم ، لهم من فوقهم ظلل من النار . ومن تحتهم ظلل أوقد عليها ألف عام حتى احمرت وألف عام حتى ابيضت ، وألف عام حتى اسودت ، فهى سوداء مدلهمة مظلمة ، قد مزجت بغضب الله .

ذكره القتيبى فى كتاب عيون الأخبار .

وذكر عن ابن عباس أن جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهب ، وهى كما قال تعالى (لها سبعة أبواب) على كل باب سبعون ألف جبل على كل جبل سبعون ألف شعب من النار ، فى كل شعب سبعون ألف شق من نار ، فى كل شق سبعون ألف واد من نار ، فى كل واد سبعون ألف قصر من النار ، فى كل قصر سبعون ألف حية وسبعون ألف عقرب ، لكل عقرب سبعون ألف ذنب ، لكل ذنب سبعون ألف نقار لكل نقار

سبعون ألف قلة من سم ، فاذا كان يوم القيامة كشف عنها الغطاء فتطير منها سرادق عن يمين الثقلين وآخر عن شمالهم وسرادق أمامهم وسرادق من فوقهم وآخر من ورائهم ، فاذا نظر الثقلان الى ذلك جثوا على ركبهم وكل ينادى رب سلم سلم .

قال القرطبى [١] : ومثله لا يقال من جهة الرأى ، فهو توقيف لأنه اخبار عن مغيب . انتهى .

ثم نقل عن وهب بن منبه نحوه . وأقول : وهب يحدث عن الاسرائيليين كثيرا ، ولا يقبل مثل ذلك عنه ، ولا عن أمثاله ونظرائه الا أن يرد به دليل من الكتاب أو السنة الصحيحة ، وما ورد فى ذلك من القرآن والحديث يكفى ، ويشفى ويغنى عن غيره .

(باب)

(ما جاء فى عظم جهنم وأزمتها)

وكثرة ملائكتها وفى عظم خلقهم وتفلتها من أيديهم

وفى قمع النبى صلى الله عليه وسلم اياها وردها عن أهل الموقف

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام [٢] سبعون ألف ملك يجرونها » أخرجه مسلم . ورواه الطبرانى عن عبد الله بن مسعود أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم ولفظه « يجاء بجهنم ، تقاد بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » قال فى مجمع الزوائد [٣] : ورجاله رجال الصحيح غير حفص ابن عمر بن الصباح ، وقد وثقه ابن حبان . انتهى .

---

(١) التذكرة (٣٨٦) .

(٢) مسلم (٤/٢١٨٤) الزمام ما يزم به الشىء أى يشد ويربط .

(٣) مجمع الزوائد (١٠/٣٨٨) .

زاد زيد بن أسلم : « فبيناهم اذ شردت عليهم شردة انفلتت من أيديهم ، فلولا أنهم أدركوها لأحرقت من فى الجمع فأخذوها [١] » • ذكره ابن وهب بطوله ، وزاد أبو حامد فى كتاب (كشف علم الآخرة) « فيجثو كل من فى الموقف على الركب حتى المرسلين ، ويجعل كل واحد منهم يقول : نفسى نفسى لا أسلك اليوم غيرها ، ومحمد صلى الله عليه وسلم يقول : أمتى أمتى سلمها ونجها يارب • وليس فى الموقف من تحمله ركبتاه ، وهو قوله تعالى : « وترى كل أمة جاثية ، كل أمة تدعى الى كتابها » (الجاثية ٢٨) الى آخر ما قال ، وملائكة النار كما وصفهم الله تعالى « **غلاظ شداد** » •

وعن عبد الرحمن بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خزلة جهنم : « ما بين منكبى أحدهما كما بين المشرق والمغرب » رواه ابن وهب [٢] • وقال ابن عباس : ما بين منكبى الواحد منهم مسيرة سنة ، وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمعة ، فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف انسان فى قعر جهنم •

وأما قوله تعالى « عليها تسعة عشر » فالمراد رؤساؤهم كما تقدم فى باب الآيات ، وأما جملتهم ، فالعبارة عنهم كما قال تعالى : «وما يعلم جنود ربك الا هو » (المدثر ٣١) قال أهل العلم : انما خص النبى صلى الله عليه وسلم بردها وقمعها وكفها عن أهل المحشر دون غيره من الأنبياء ، لأنه رآها فى مسراه ، وعرضت عليه فى صلاته حسب ما ثبت فى الصحيح ، وفى ذلك فوائد ثمان ذكرها القرطبى [٣] فى التذكرة ليس فى ذكرها هنا كثير فائدة •

---

(١) وهو ضعيف لارساله .
(٢) عبد الرحمن بن زيد تابعى والحديث مرسل ضعيف .
(٣) التذكرة (٣٨٨ ــ ٣٨٩) وقد ذكر الآثار والأحاديث قبلها .

(باب)

(فى كلام جهنم وذكر أزواجها وانه لا يجوزها الا من عنده جواز)

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا جمع الله الخلائق فى صعيد واحد يوم القيامة ، أقبلت النار ، يركب بعضها بعضا ، وخزنتها يكفونها ، وهى تقول : وعزة ربى ليخلين بينى وبين أزواجى أو لأغشين الناس عنقاً واحداً ، فيقولون من أزواجك ؟ فتقول : كل متكبر جبار ، أخرجه الحافظ أبو محمد عبد الغنى [1] . وفى قوله تعالى : « وفى قوله تعالى : « وتقول هل من مزيد » (ق ٣٠) دلالة على كلام جهنم واضحة لا خفاء بها ، وفى حديث أنس بن مالك يرفعه : تقول جهنم لا يجوزنى الا من عنده جواز . قال النبى صلى الله عليه وسلم : يا جبريل ما الجواز يوم القيامة ؟ قال : أبشر وبشر ألا من شهد أن لا اله الا الله جاز جسر جهنم. الحديث ذكره القرطبى [2] .

(باب)

(ما جاء أن التسعة عشر خزنة جهنم)

قال تعالى (عليها تسعة عشر)

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال : ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم ؟ قالوا : لا ندرى حتى نسأل نبينا فجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد غلب أصحابك اليوم ، فقال : وبم غلبوا ؟.

---

(١) وسيأتى الكلام عليه .
(٢) التذكرة (٢٨٩ — ٢٩٠) .

قال سألهم يهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم ؟ قال : فما قالوا ؟ ، قال : قالوا لا ندرى حتى نسأل نبينا قال : أيغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون ، فقالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا ولكنهم قد سألوا نبيهم فقالوا : (أرنا الله جهرة) : على بأعداء الله انى سائلهم فلما جاءوا قالوا يا أبا القاسم : كم عدد خزنة جهنم ؟ قال : هكذا وهكذا ، فى مرة عشرة ، وفى مرة تسع ، قالوا : نعم » الحديث رواه الترمذى [١] وقال : هذا حديث غريب ، انما نعرفه من هذا الوجه من حيث مجالد .

(باب)

(ما جاء فى سعة جهنم وعظم سرادقها)

« تقدم ما ورد من الآيات فى بابها »

عن مجاهد عن ابن عباس قال : أتدرى ما سعة جهنم ؟ قلت : لا . قال أجل والله ما تدرى ، ان بين شحمة أذنى أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفاً تجرى فيها أودية القيح والدم ، قلت له: أنهار؟ قال : لا بل أودية ، ثم قال : أتدرى ما سعة جهنم ؟ قلت : لا أدرى ، قال : أجل والله ما تدرى ، حدثتنى عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله « والأرض جميعا قبضته يوم القيامة » (الزمر ٦٧) قالت : قلت : فأين الناس يومئذ ؟ قال على جسر جهنم » أخرجه بن المبارك والترمذى [٢] وصححه : قال فى مجمع الزوائد : ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبسة بن سعيد وهو ثقة .

---

(١) الترمذى ٥ (٤٢٩ ـ ٤٣١) قلت : وفى مجالد مقال .
(٢) الترمذى (٣٧٢/٥) مقتصرا على النصف الآخر والتذكرة (٣٩٠ ـ ٣٩١) بتمامة والزهد (٨٥/٥) .

وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لسرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة » ذكره ابن المبارك وخرجه الترمذى (١) أيضا وقال عبد الله بن مسعود : ان جهنم لتضيق على الكافر كتضيق الزج على الرمح(٢) وذكره الثعلبى والقشيدى عن ابن عباس .

(باب)

(ما جاء فى أن الشمس والقمر يقذفان فى النار)

عن عطاء بن يسار أنه تلا هذه الآية « وجمع الشمس والقمر » (القيامة ٩) قال : يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان فى النار فتكون نار الله الكبرى .

وعن يزيد الرقاشى عن أنس يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر ثوران عقيران فى النار : أخرجه أبو داود الطيالسى . قال فى مجمع الزوائد ورواه أبو يعلى وفيه ضعفاء قد وثقوا (٣) .

قال القرطبى (٤) كذا الرواية « ثوران » بالمثلثة وانما يجمعان فى جهنم لأنهما قد عبدا من دون الله ، ولا تكون النار عذابا لهما لأنهما جماد ، وانما يفعل ذلك بهما زيادة فى تبكيت الكافرين وحسرتهم ، وهكذا قال بعض أهل العلم .

---

(١) الترمذى (٤/٧٠٦) وفى اسناده : رشدين بن سعد ، وفيه مقال ، قد تكلم فيه من قبل حفظه . افاده الترمذى عقيبه ــ الزهد (٥/٩٠) .

(٢) ذكره ابن المبارك (٥/٨٦) .

(٣) مجمع الزوائد (١٠/٣٩٠) ومنحة المعبود (٢/٧٩) .

(٤) التذكرة (٢٩٢) .

(باب)

(ما جاء فى صفة جهنم وحرها وشدة عذابها أجارنا الله منها)

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أوقد على النار ألف سنة حتى أحمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى أسودت فهى سوداء مظلمة » رواه مالك والترمذى [١] وهذا لفظه قال : الموقوف فى هذا الباب أصح ولا أعلم أحدا رفعه غير يحيى بن أبى بكير عن شريك ، وعنه موقوفا مثله ، وقال « فهى سوداء كالليل » مكان « سواد مظلمة » رواه ابن المبارك [٢] وعنه أنه قال : ترونها كقاركم لهى أشد سوادا من القار ، والقار : الزفت .

وعنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لهى أشد من ناركم هذه بسبعين ضعفاً » رواه الطبرانى فى الأوسط ، قال فى مجمع الزوائد [٣] :ورجاله رجال الصحيح ، وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم » رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

وعن سلمان قال : « النار سوداء لا يضىء لهبها ولا جمرها » .

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نار ابن آدم التى يوقدون منها جزء من سبعين جزءا من نار جهنم فقالوا : يا رسول الله وان كانت لكافية قال فانها فضلت بتسعة وستين جزءا » . أخرجه مالك ومسلم وزاد : كلها مثل حرها .

---

(١) الترمذى (٤/٧١٠) .
(٢) الزهد (٥/٨٨) .
(٣) مجمع الزوائد (١٠/٣٨٧) .

وفى تيسير الوصول الى أحاديث جامع الأصول أخرجه الثلاثة والترمذى وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ، ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين ما انتفعتم بها وأنها لتدعو الله أن لا يعيدها فيها » رواه ابن ماجه [١] ورواه البزار عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم بلفظ أنه ذكر نار جهنم فقال : « أنها لجزء من سبعين جزءا من نار جهنم ، وما وصلت اليكم حتى ـ أحسبه قال ـ نضحت مرتين بالماء ، لتضىء لكم ، ونار جهنم سوداء مظلمة » قال فى مجمع الزوائد [٢] ورجاله ضعفاء على توثيق لين فيهم .

وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الرؤيا الصالحة بشرى وهى جزء من سبعين جزءاً من النبوة وان ناركم ـ يعنى هذه ـ جزء من سبعين جزءا من سموم جهنم ومادام العبد ينتظر الصلاة فهو فى صلاة ما لم يحدث » رواه البزار وفيه عبيد بن اسحاق العطار وهو متروك ووثقه ابن حبان ، وبقية رجاله رجال الصحيح قاله فى مجمع الزوائد [٣] .

وعن أبى هريرة نحوه مرفوعا وقال : « ولو أنها ضربت بالماء مرتين ما كان لأحد فيها منفعة » خرجه سفيان بن عيينة ، وفى خبر عن ابن عباس : « هذه النار قد ضربت بماء البحر سبع مرات ، ولولا ذلك ما انتفع بها » ذكره أبو عمرو . وقال عبد الله بن مسعود : « لولا أنها ضرب بها البحر عشر مرات ما انتفعتم بشىء منها » وسئل ابن عباس عن

---

(١) برقم ٤٣١٨ واخرجه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، أفاده البوصيرى .

(٢،٣) مجمع الزوائد (٣٧٨/١٠) .

نار الدنيا مما خلقت ؟ فقال من نار جهنم ، غير أنها طفئت بالماء سبعين مرة ، ولولا ذلك ما قربت لأنها من نار جهنم (١) .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة ، فيصبغ فى النار صبغة ثم يقال : يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط ؟ هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يا رب .

ويؤتى بأشد الناس بؤساً فى الدنيا ، من أهل الجنة فيصبغ صبغة فى الجنة فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط ؟ هل مر بك شدة قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ما مر بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط ».

أخرجه مسلم (٢) وأخرجه ابن ماجه (٣) أيضاً عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا من الكفار ، فيقال : اغمسوه فى النار غمسة ، فيغمس فيها ثم يقال له أى فلان هل أصابك نعيم قط ؟ فيقول : لا ما أصابنى نعيم قط ، ويؤتى بأشد المؤمنين ضراً وبلاء ؟ فيقال اغمسوه غمسة فى الجنة ، فيغمس فيها غمسة فيقال له أى فلان هل أصابك ضر قط أو بلاء ؟ فيقول لا ما أصابنى قط ضر ولا بلاء » .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن جهنميا من أهل جهنم أخرج كفه الى أهل الدنيا ، حتى يبصروها لأحرقت الدنيا من حرها ، ولو أن خازناً من خزنة جهنم خرج الى أهل الدنيا حتى يبصرونه لمات أهل الدنيا حين يبصرونه من غضب الله »

---

(١) ذكرها جميعاً القرطبى (٣٩٤) .
(٢) مسلم (٢١٦٢/٤) .
(٣) برقم ٤٣٢١ وذكره القرطبى (٣٩٥) .

أخرجه ابراهيم بن هدية * ، وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كان فى المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم » أخرجه البزار [١] .

(باب)

(ما جاء فى شكوى النار وكلامها وبعد قعرها وأهوالها وفى قدر الحجر الذى يرمى به فيها . أجارنا الله ، منها ومن أهوالها)

روى الأئمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشتكت النار الى ربها فقالت رب أكل بعضى بعضاً فجعل لها نفسين نفساً فى الشتاء ونفساً فى الصيف فشدة ما يجدون من البرد زمهريرها وشدة ما يجدون من الحر من سمومها » أخرجه البخارى ومسلم والترمذى ورواه أبو يعلى عن أنس بن مالك ولفظه « فشدة ما تجدون من الحر من حرها وشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها » قال فى مجمع الزوائد[٢] وفيه زياد النميرى وهو ضعيف عند الجمهور ، انتهى .

(قلت) وأصله فى الصحيح كما عرفت ، وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان جهنم قالت : يارب ائذن لى فى نفس ، فانى أخشى أن أفيض على خلقك فأذن لها بنفسين فى كل سنة

(*) وهو حديث باطل وسيأتى الكلام على ابراهيم بن هدبة .

(١) قال فى مجمع الوزائد (١٠/٣٩١) : وفيه عبد الرحيم بن هارون وهو ضعيف ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال يعتبر حديثه اذا حدث من كتابه فان فى حديثه من حفظه بعض مناكير ، وبقيه رجاله رجال الصحيح .

(٢) مجمع الزوائد (١٠/٣٨٨) .

مرتين ، فشدة الحر من فيحها وشدة البرد من زمهريرها » رواه البزار ورجاله رجاله الصحيح قال الهشمى فى مجمع الزوائد [١] .

وعن أبى سعيد الخدرى قال : « سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوتا هائلا ، فأتاه جبريل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا الصوت يا جبريل ؟ فقال : هذه صخرة هوت من شفير جهنم من سبعين عاما فهذا حين بلغت قعرها فأحب الله أن يسمعك صوتها ، فما رئى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ملء فيه حتى قبضه الله » رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه اسماعيل بن قيس الأنصارى وهو ضعيف قاله فى مجمع الزوائد [٢] .

وعن أبى هريرة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سمع وجبة فقال النبى صلى الله عليه وسلم « تدرون ما هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفا فهو يهوى فى النار الى الآن حتى انتهى الى قعرها » أخرجه مسلم[٣] وعن الحسن قال : قال عتبة بن غزوان على منبرنا هذا ــ يعنى منبر البصرة ــ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوى فيها سبعين عاما وما تفضى الى قرارها ، قال وكان عمر يقول : أكثروا ذكر النار فان حرها شديد وان قعرها بعيد وان مقامعها حديد » رواه الترمذى [٤] وقال لا نعرف للحسن سماعا من عتبة ابن غزوان ، وانما قدم عتبة بن غزوان البصرة فى زمن عمر ، وولد الحسين لسنتين بقيتا من خلافة عمر .

وعن لقمان بن عامر قال جئت أبا أمامة فقلت : حدثنا ما سمعت من

---

(١) مجمع الزوائد (٣٨٨/١٠) وفيه رواه الطبرانى .
(٢) مجمع الزوائد (٣٨٩/١٠) ــ الترغيب (٨٨٣/٤) .
(٣) مسلم (٢١٨٤/٤) .
(٤) الترمذى (٧٠٢/٤) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليهوسلم: لو أن صخرة وزنت عشر خلفات ، قذف بها من شفير جهنم ، ما بلغت قعرها سبعين خريفا حتى تنتهى الى غى وأثام قيل : وما غى وأثام ؟ قال : بئران فى جهنم يسيل منهما صديد أهل النار وهما اللذان ذكرهما الله تعالى فى كتابه (أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) وقوله (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) رواه الطبرانى [1] وفيه ضعفاء قد وثقهم ابن حبان ، وقال : يخطئون .

وعن الزهرى قال بلغنا أن معاذ بن جبل كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفس محمد بيده ان ما بين شفة النار وقعرها ، لصخرة زنة سبع حلفات بشحومهن ولحومهن وأولادهن، تهوى من شفة النار قبل أن تبلغ قعرها سبعين خريفا » . أخرجه ابن المبارك وروى الطبرانى نحوه ، وفيه راو لم يسم وبقية رجاله رجال الصحيح قاله فى مجمع الزوائد[2] .

وعن أبى أمامة قال : ان ما بين شفير جهنم الى قعرها مسيرة سبعين خريفا من حجر يهوى ــ أو قال صخرة تهوى ــ عظمها كعشر عشراوات عظام سمان ، فقال له مولى لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد : هل تحت ذلك من شىء يا أبا أمامة ؟ قال : نعم غى وأثام ، رواه ابن المبارك [3] .

وعن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن

---

(١) مجمع الزوائد (٣٨٩/١٠) والخلفة بفتح الخاء وكسر اللام . الحامل من النوق وهو فى الترغيب (٨٨٤/٤) ، قال المنذرى : رواه الطبرانى والبيهقى مرفوعا ورواه غيرهما موقوفا وهو أصح .

(٢) مجمع الزوائد (٣٨٩/١٠) والتذكرة (٣٩٦) والترغيب (٨٨٤/٤) والزهد (٨٦/٥) .

(٣) التذكرة (٣٩٦) الزهد (٨٩/٥) . عشراوات : جمع عشراء : الناقة الحامل عشرة أشهر أو ثمانية .

حجرا كسبع خلفات بشحومهن وأولادهن ألقى فى جهنم لهوى سبعين عاما لا يبلغ قعرها رواه أبو يعلى وفيه يزيد بن ابان الرقاشي وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجاله رجال الصحيح كذا فى مجمع الزوائد [١] .

وعن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أن حجرا قذف به فى جهنم لهوى سبعين خريفا قبل أن يبلغ قعرها » رواه أبو يعلى والبزار بنحوه وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط ، وبقية رجالهما ثقات [٢] .

وعن بريدة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لو أن حجرا يهوى فى جهنم لما وصل الا قعرها سبعين خريفا » رواه البزار والطبرانى وفيهما محمد بن أبان الجعفى وهو ضعيف .

وعن خالد بن عمير العدوى قال : خطبنا عتبة بن غزوان ، وكان أميرا على البصرة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فان الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها الا صبابة الاناء يتصابها صاحبها ، وانكم منتقلون منها الى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما بحضرتكم فانه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفة جهنم فيهوى فيها سبعين عاما لا يدرك لها قعراً ، والله لتملأن » الحديث أخرجه مسلم ،[٣] قال كعب : لو فتح من نار جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها ، وان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك

---

(١) مجمع الزوائد (١٠/٤٨٩) .
(٢) الترغيب (٤/٨٨٢) .
(٣) مسلم (٤/٢٧٨) ، واذنت : اعلمت ، والصرم « بضم الصاد » . الانقطاع والذهاب ، حذاء . بتشديد الذال . سرعة الانقطاع ، الصبابة بضم الصاد . البقية من الشرب فى أسفل الاناء .

مقرب ولا نبى مرسل ، الا خر جاثيا على ركبتيه ويقول نفسى نفسى ذكره القرطبى (١) .

(باب)

(ما جاء فى أن النار لها عينان وعنق وأذن ولسان)

ذكر رزين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كذب على متعمداً فليتبوأ بين عينى جهنم مقعدا ، قيل : يا رسول الله ولها عينان ؟ قال : أما سمعتم الله يقول (اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيراً) يخرج عنق من النار له عينان تبصران ولسان ينطق فيقول : وكلت بمن جعل مع الله الها آخر فلو أبصر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه من البرية » .

وفى رواية أخرى : فيخرج عنق من النار ، فيلتقط الكفار لقط الطائر حب السمسم ، صححه أبو محمد بن العربى فى قيسه وقال : أى يفصلهم عن الخلق فى المعرفة كما يفصل الطائر حب السمسم من البرية (٢) .

وعن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج عنق من النار يوم القيامة ، فيكلم بلسان طلق ذلق لها عينان تبصر بهما ولها لسان تكلم به ، فيقول انى أمرت بمن جعل مع الله الها آخر ، وبكل جبار عنيد ، ومن قتل نفساً بغير نفس ، فتنطلق بهم قبل سائر النـاس بخمسمائة عام » وفى رواية فتنطوى عليهم فتقذفهم فى جهنـم ، رواه البزار واللفظ له وأحمد باختصـار ، وأبو يعلى بنحـوه والطبرانى فى الأوسط ، وأحد اسناده الطبرانى رجاله رجال الصحيح (٣) .

(١ ، ٢) التذكرة (٢٩٧) .
(٣) مجمع الزوائد (٣٨٩/١٠)

وعن أبى سعيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « اذا جمع الله الناس فى صعيد واحد يوم القيامة ، أقبلت النار يركب بعضها بعضاً ، وخزنتها يكفونها ، وهى تقول : وعزة ربى ليخلين بينى وبين أزواجى ، أو لأغشين الناس عنقاً واحدة ، فيقولون : ومن أزواجك ؟ فتقول : كل متكبر جبار ، فتخرج لسانهم فتلتقطهم من بين ظهرانى الناس ، فتقذفهم فى جوفها ، ثم تستأخر ، ثم تقبل يركب بعضها بعضاً ، وخزنتها يكفونها ، وهى تقول : وعزة ربى ليخلين بينى وبين أزواجى ، أو لأغشين الناس عنقاً واحدة ، فيقولون : ومن أزواجك ؟ فتقول : كل جبار كفور ، فتلتقطهم بلسانها من بين ظهرانى الناس ، فتقذفهم فى جوفها ، ثم تستأخر ، ثم تقبل يركب بعضها بعضاً ، وخزنتها يكفونها ، وهى تقول : وعزة ربى ليخلين بينى وبين أوزاجى ، أو لأغشين الناس عنقاً واحدة ، فيقولون : ومن أزواجك ؟ فتقول : كل مختال فخور ، فتلتقطهم بلسانها ، فتقذفهم فى جوفها • ثم تستأخر ويقضى الله بين العباد » رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا الا أن ابن اسحق مدلس ، قاله فى مجمع الزوائد (١) •

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تخرج عنق من النار يوم القيامة ، له عينان تبصران ، وأذنان تسمعان ، ولسان ينطق ، يقول : انى وكلت بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله الهاً آخر ، وبالمصورين ، أخرجه الترمذى (٢) وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح • وفى الباب عن أبى سعيد ، وكان بعض الوعاظ يقول : أيها المجترىء على النار ألك طاقة بسطوة مالك

---

(١) مجمع الزوائد (٣٩٢/١٠) وفيه فى المرة الثالثة . كل جبار فخور .

(٢) الترمذى (٧٠١/٤ — ٧٠٢) .

خازن النـار ، ومالك اذا غضب على النار وزجرها زجرة كادت تأكل بعضها بعضا .

(باب)

(ما جاء فى مقامع أهل النار وسلاسلهم وأغلالهم)

روى عن الحسن أنه قال : « فى جهنم واد ، ولا مغار ، ولا غل ، ولا سلسلة ولا قيد ، الا واسم صاحبه مكتوب عليه » وروى عن ابن مسعود نحوه . وعن ابن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ أَنَّ رُصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ ــ وَأَشَارَ إِلَى مِثْلِ الْجُمْجُمَةِ ــ أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَهِيَ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ ، لَبَلَغَتِ الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ ، وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السِّلْسِلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا اللَّيْـلَ وَالنَّهَارَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ أَصْلَهَا أَوْ قَعْرَهَا » أخرجه الترمذى [١] وقال : هذا حديث اسناده صحيح . قال القرطبى [٢] : وفى الخبر أن الله تعـالى ينشىء لأهل النار سحابة ، فاذا رأوها ذكروا سحائب الدنيا ، فيناديهم : يا أهل النار ما تشتهون ؟ فيقولون : نشتهى الماء البارد فتمطرهم أغلالا تزاد فى أغلالهم وسلاسل تزاد فى سلاسلهم . وقال محمد بن المنكدر : لو جمع حديد الدنيا ، ما خلا منها وما بقى ، ما عدل حلقة من حلق جهنم .

وقال ابن زيد : ويقال ان حلقة من غل أهل جهنم لو ألقيت على أعظم جبل فى الدنيا لهدته . قال : « وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ » يقمعون بها هؤلاء ، فاذا قال : خذوه فيأخذه كذا وكذا ألف ملك ، فلا يضعون

---

(١) الترمذى (٤ / ٧٠٩) .
(٢) التذكرة (٣٩٨) وذكره بنحـو فى مجمـع الزوائد (١٠ / ٣٩٠) وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه من فيه ضعف قليل ومن لم أعرفه .

أيديهم على شيء من عظامه ، الا صارت تحت أيديهم رفاتا ، العظام واللحم يصير رفاتا قال : فتجمع أيديهم وأرجلهم ورقابهم فى الأغلال ، قال : فيلقون فى النار مصنودين ، قال : فليس لهم شيء يتقون به الا الوجوه ، وهم مصفودون ، قد ذهبت الأبصار فهم عمى ، وقرأ قوله تعالى : « أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » الى آخر الآية . قال : فاذا ألقوا فيها يكادون يبلغون قعرها ، يتقاهم لهبها ، فيردهم الى أعلاها ، حتى اذا كادوا يخرجون تلقتهم الملائكة بمقامع من حديد فيضربونهم بها ، فجاء أمر غلب اللهب فهووا كما هم أسفل السافلين ، وهكذا وقرأ قول الله عز وجل : « كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا » (السجدة : ٢٠) فهم كما قال الله تعالى : « عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً » (١) . (الغاشية : ٣ — ٤) .

وعن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ أَنَّ مَقْمَعًا مِنْ حَدِيدٍ ، وُضِعَ فِي الْأَرْضِ ، فَاجْتَمَعَ لَهُ الثَّقَلَانِ مَا أَقَلُّوهُ مِنَ الْأَرْضِ » رواه أحمد وأبو يعلى،قال فى مجمع الزوائد (٢):وفيه ضعفاء وقد وثقوا .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ ضُرِبَ الْجَبَلُ بِمَقْمَعٍ مِنْ حَدِيدٍ ، لَتَفَتَّتَ ثُمَّ عَادَ » رواه أحمد وأبو يعلى فى حديث طويل وفيه ابن لهيعة وقد وثق على ضعفه (٣) .

وروى عن غاوس أن الله عز وجل خلق ملكا وخلق له أصابع على عدد أهل النار فما من أهل النار معذب الا وملك يعذبه باصبع من أصابعه فوالله لو وضع أصبعا من أصابعه على السماء لأذابها » ذكره القتيبى فى عيون الأخبار له (٤) .

---

(١) نقله القرطبى (٣٩٩) عنه وراجع .
(٢،٣) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٨) وعزاهما المنذرى (٤ / ٨٨٧) الى الحاكم ونقل قوله عنهما صحيح الاسناد .
(٤) نقله القرطبى (٣٩٩) التذكرة .

(باب)

(ما جاء فى كيفية دخول أهل النار وتلقى النار أهلها)

عن عبد الرحمن بن زيد قال : « تلقاهم جهنم يوم القيامة ، بشرر كالنجوم فيولوا هاربين ، فيقول الجبار تبارك وتعالى : ردوهم عليها فيردونهم ، فذلك قوله تعالى : « يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ، مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ » (غافر : ٣٣) أى مانع يمنعكم ، ويلقاهم وهجها قبل أن يدخلوها ، فَتَنْدُرُ حِدقهم[(١)] ، فيدخلوها عميا مغلولين ، فى الأغلال أيديهم وأرجلهم ورقابهم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خزنة جهنم ما بين منكبى أحدهم كما بين المشرق والمغرب » ذكره ابن وهب[(٢)] .

وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان جهنم لما سيق اليها أهلها ، تلقتهم فلفحتهم لفحة ، فلم تدع لحما على عظم الا ألقته على العرقوب » رواه الطبرانى فى الأوسط ، وقال فى مجمع الزوائد[(٣)]: وفيه محمد بن سليمان بن الأصبهانى ، وهو ضعيف[(٤)] .

---

(١) فى نقل القرطبى (٣٩٩) : فَتَنْدُرُ اعينهم ، ومعنى نَدَرَتْ : زالت كما فى المصباح (٩٢٧) .

(٢) ولا تقوم به حجة للوسائط المجهولة بين عبد الرحمن بن زيد والنبى صلى الله عليه وسلم .

(٣) مجمع الزوائد (٣٨٩/١٠) .

(٤) عزاه المنذرى (٢٤٠/٤) الى الطبرانى والبيهقى ، قال : ورواه غيرهما موقوفاً عليه وهو أصح .

(باب)

(فى رفع لهب النار أهل النار حتى يشرفوا على آهل الجنة)

قال القرطبى[1] : يروى أن لهب النار يرفع أهل النار ، حتى يطير ، كما يطير الشرر ، فاذا رفعهم أشرفوا على أهل الجنة ، وبينهم حجاب ، فينادي أصحابُ الجنة أصحابَ النار : « أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ » ، وينادى أصحابُ النار أصحابَ الجنة حين يروا الأنهار تطرد بينهم : « أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ ، قَالُوا : إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ » فتردهم ملائكة العذاب بمقامع من حديد الى قعر النار .

قال بعض المفسرين : هو معنى قول الله تعالى : « كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ، وَقِيلَ لَهُمْ : « ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ » (السجدة : ٢٠) ذكره أبو محمد عبد الحق فى كتاب العاقبة له ، وقال : لعلك تقول : كيف يرى أهل الجنة أهل النار ؟ وأهل النار أهل الجنة ! وكيف يسمع بعضهم كلام بعض وبينهم ما بينهم من بعد المسافة وغلظ الحجاب ؟ فيقال لك : لا تقل هكذا ! فان الله يقوى أسماعهم وأبصارهم ، حتى يرى بعضهم بعضا ، ويسمع بعضهم كلام بعض ، وهذا قريب فى قدرة الله جدا .

---

(١) التذكرة (٤٠٠) .

(باب)

(فى تنفس أهل النار)

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن فى هذا المسجد مائة ألف ـ أو يزيدون ـ وفيه رجل من النار ، فتنفس ، فأصاب نفسه ، لاحترق المسجد ومن فيه » رواه أبو يعلى عن شيخه اسحاق ، ولم يعينه فان كان ابن راهوية فرجاله رجال الصحيح وان كان غيره فلم أعرفه ، قاله فى مجمع الزوائد [١] وعن أبى هريرة مثله ولفظه : « ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم » رواه البزار وفيه عبد الرحيم بن هارون وهو ضعيف ، وذكره ابن حبان فى الثقات وقال : يعتبر حديثه اذا حدث من كتابه فان فى حديثه من حفظه بعض المناكير ، وبقيه رجاله رجال الصحيح [٢] .

(باب)

(ما جاء فى أن فى جهنم جبالا وخنادق وأودية وبحارا وصهاريج وحياضا وآبارا وجبابا وتنانير وسجونا وبيوتا وجسورا وقصورا وأرحاء ونواعير وعقارب وحيات)

« أجارنا الله منها بفضله وكرمه »

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الصّعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفا ، ويهوى

---

(١) مجمع الزوائد (٣٩١/١٠) وقال ابن رجب : قال الامام احمد : هو حديث منكر (٧٢) .

(٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩١) .

به ، كذلك منه أبدا » أخرجه الترمذى [١] . وقال : هذا حديث غريب ، لا نعرفه مرفوعا الا من حديث ابن لهيعة .

وفى حديث أنس رضى الله عنه أن من مات سكران فانه يبعث يوم القيامة سكران ، الى خندق فى وسط جهنم يسمى السكران [٢] أجارنا الله منه . وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ويل : واد فى جهنم ، يهوى فيه الكافر أربعين خريفا ، قبل أن يبلغ قعره ، والصعود : جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ، ثم يهوى فهو كذلك » أخرجه ابن المبارك عن طريق رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن أبى السمح عن أبى الهيثم [٣] .

وعن عطاء بن يسار قال : « الويل : واد فى جهنم ، لو سيرت فيه الجبال لماعت من حره » وذكر ابن عطية فى تفسيره عن ابن عياض أنه قال : « الويل:صهريج فى جهنم من صديد أهل النار » وقال زياد بن فياض عن أبى عياض : « الويل مسيل فى أصل جهنم » وحكى الزهراوى عن آخرين : أنه من ابواب جهنم ، قال أبو سعيد الخدرى : « انه واد بين جبلين يهوى فيه الهاوى أربعين خريفا » .

وأخرج الترمذى مرفوعا عن أبى سعيد : « الويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره » قال : وهذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من حديث ابن لهيعة [٤] .

---

(١) الترمذى (٤/ ٧٠٣) .
(٢) التذكرة (١٨٦) وهو حديث باطل ، فى اسناده : ابراهيم بن هدبة. قال أبو حاتم وغيره : كذاب .
(٣) الزهد والرقائق (٦ / ٩٦) وفى رشدين مقال .
(٤) الترمذى (٥ / ٣٢٠) وفى ابن لهيعة مقال .
وخرجه الحاكم (٤/٥٩٦) وصححه واقره الذهبى بنحوه .

وقال ابن زيد : اليَحْمُوم: جبل فى جهنم يستغيث الى ظله أهل النار لا بارد بل حار ، لأنه من دخان شفير جهنم ، ولا كريم عذب • وقال سعيد بن المسيب : ولا حسن منظره ، وقال مجاهد : واد فى جهنم يقال له موبق ، وعن عكرمة: هو نهر فى جهنم ، يسيل نارا ، على حافتيه حيات مثل البغال الدهم ، فاذا ثارت اليهم لتأخذهم استغاثوا منها بالاقتحام فى النار ، وقال أنس بن مالك : هو واد فى جهنم من قيح ودم ، قال نوف البكالى فى قوله تعالى : « وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا » (الكهف : ٥٢) قال : واد فى جهنم ، بين أهل الضلالة وبين أهل الايمان •

وعن أبى بردة عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان فى جهنم لواديا يقال له هبهب ، يسكنه كل جبار » رواه الترمذى ورواه الطبرانى بلفظ « ان فى جهنم واديا وفى الوادى بئر يقال له هبهب ، حق على الله أن يسكنها كل جبار عنيد » قال فى مجمع الزوائد (١) : وفيه أزهر بن سنان وهو ضعيف •

وعن عبد الله بن الحارث بن جزء قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ فِي النَّارِ حَيَّاتٍ كَأَمْثَالِ أَعْنَاقِ الْبُخْتِ ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمْوَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا ، وَإِنَّ فِي النَّارِ عَقَارِبَ كَأَمْثَالِ الْبِغَالِ الْمُوكَفَةِ (٤) تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمْوَهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً » رواه أحمد والطبرانى ، قال فى مجمع الزوائد : وفيه ضعفاء قد وثقوا (٢) • وعن أنس بن مالك قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عُمُرُ الذُّبَابِ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً ، وَالذُّبَابُ كُلُّهُ فِي النَّارِ إِلَّا النَّحْلَةَ » رواه أبو يعلى • قال فى المجمع : ورجاله ثقات (٣) ، وعن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الذُّبَابُ كُلُّهُ فِي النَّارِ إِلَّا النَّحْلَةَ » رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح غير ابراهيم ابن محمد بن حازم وهو ثقة ورواه الطبرانى فى الكبير والأوسط والبزار

---

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٣) وهو فى الجامع الكبير ص (٢٣٠٣) والهبهب فى أصل اللغة السريع . (٣،٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٠)

(٣،٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٠) .

(٤) إِكَافُ الحِمَارِ كَكِتَاب وَغُرَاب ، وَوِكَافُهُ : بَرْذَعَتُهُ ، وَالأَكَّافُ : صانعه ، واكف الحمار ايكافا واكفه تأكيفا : شدة عليه . القاموس (٣/١١٨).

عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم بأسانيد وبعض رجال أسانيد الطبرانى ثقات ورواه الطبرانى أيضا عن ابن مسعود مرفوعا . وقال : إلا النحل ، وفيه اسحاق بن يحيى بن طلحة وهو متروك وقد ذكره ابن حبان فى الضعفاء وفى الثقات ، وقال : يحتج بما وافق فيه الثقات ويترك ما انفرد به بعد أن استخرت الله تعالى فيه ، وبقية رجاله رجال الصحيح وقد وافقه الثقات فى أصل الحديث [١] . وعن ابن مسعود فى قول الله تعالى : « زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ » قال : زيدوا عقارب أنيابها كالنخل الطوال » رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح [٢] » . وعن ابن عباس فى الآية المذكورة قال : هى خمسة أنهار تحت العرش ، يعذبون ببعضها بالليل وبعضها بالنهار » رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيحين ، كذا فى مجمع الزوائد [٣] . وعن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها سئلت عن قول الله تعالى : « فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا » (مريم ٥٩) قالت : نهر فى جهنم .

واختلفوا فى قوله تعالى : « أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ » فروى عن ابن عباس : أنه سجن فى جهنم ، وقال كعب : هو بيت فى جهنم ، اذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره ، ذكره أبو نعيم .

وعنده عن حميد بن هلال قال : حدثت أن فى جهنم تنانير ضيقها كضيق زج أحدكم فى الأرض ، تضيق على قوم بأعمالهم [٤] » وذكر ابن المبارك [٥] أن فى جهنم قصرا له هوى يرمى الكافر من أعلاه فيهوى

---

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٠) .
(٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٠) وعزاه للطبرانى .
(٣) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٠) .
(٤) نقله وما قبله وما بعده فى التذكرة (٤٠١) والزج : الحديدة فى أسفل الرمح .
(٥) الزهد والرقائق (٦ / ٩٦) .

أربعين خريفا قبل أن يبلغ أصله ، قال تعالى : « وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى » (طه : ٨١) وان فى جهنم واديا يدعى أثامًا فيه حيات وعقارب ، فى فقار احداهن مقدار سبعين قلة من سم ، والعقرب منهن مثل البغلة الموكفة ، تلدغ الرجل فلا تلهيه عما يجد من حر جهنم حمة لدغتها ، فهو لما خلق له وان فى جهنم سبعين داء لأهلها ، كل داء مثل جزء من أجزاء جهنم ، وان فى جهنم واديا يسمى غيًّا ، يسيل قيحا ودما ، فهو لما خلق له . قال تعالى : « فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا » (مريم : ٥٩) وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان فى جهنم بحرا أسود مظلما منتن الريح ، يُغرق اللهُ فيه من أكل رزقه وعبد غيره » رواه أبو هدبة ابراهيم بن هدبة [١] .

وعن محمد بن واسع قال : دخلت على بلال بن أبى بردة . فقلت : « يا أبا بلال : ان أباك قد حدثنى عن جدك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان فى جهنم واديا يقال له : لملم ، ولذلك الوادى بئر ، يقال : له هبهب ، حق على الله أن يسكنها كل جبار فاياك أن تكون منهم » رواه أبو نعيم [٢] .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان فى جهنم واديا يقال له لملم ، ان أودية جهنم لتستعيذ بالله من حره » أخرجه ابن المبارك [٣] .

---

(١) ولا يصح مما رواه شىء ، قال ابو حاتم وغيره : كذاب ، وقال الخطيب : حدث عن انس بالأباطيل ، وقال النسائى وغيره . متروك (١ / ٧١) الميزان .

(٢) فى اسناده : ازهر بن سنان ، قال ابن عدى : ليست احاديثه بالمنكرة جدا ارجو انه لا بأس به ، وقال ابن معين ليس بشىء (١ / ١٧٢) الميزان .

(٣) الزهد والرقائق (٦ / ٩٥) وفى اسناده : يحيى بن عبيد الله وثقه القطان ، وقال ابن معين : ليس بشىء ، وقال احمد : احاديثه مناكير وقال مرة : ليس بثقة الميزان (٤ / ٣٩٥) .

وعن الحسين بن على عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل مسكر حرام ، وثلاثة غضب الله عليهم ، ولا ينظــر اليهم ، ولا يكلمهم ، وهم فى المنسا ، والمنسا بئر فى جهنم : للمكذب بالقدر ، والمبتدع فى دين الله ، ومدمن الخمر » رواه مالك والخطيب [1] . وعن عمروبن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْمُتَكَبِّرِينَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشْبَاهَ الذَّرِّ عَلَى صُوَرِ النَّاسِ ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ ، يُسَاقُونَ حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ بولس يُسْقَوْنَ مِنَ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ » أخرجه ابن وهب وابن المبارك [2] . وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ ، فِي صُوَرِ النَّاسِ ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بولس ، يَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ ، طِينَةِ الْخَبَالِ » أخرجه الترمذى [3] . وقال : حديث حسن .

وروى عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المدينة مهاجرى وفيها مضجعى ، ومنها مخرجى ، حق على أمتى حفظ جيرانى فيها من حفظ وصيتى كنت له شهيدا يوم القيامة ، ومن ضيعها

---

(١) نقله فى التذكرة (٤٠٢) وفى اسناده : أحمد بن سليمان الخفقانى القرشى ، قال الدارقطنى : متروك كذاب (١ / ١٠٢) الميزان .

(٢) الزهد والرقائق (٦ / ٥٢) .

(٣) قال القرطبى : طينة الخبال عرق أهل النار ، أو عصـارتهم وهو شراب أيضا لمن يشرب المسكر ، جاء ذلك فى صحيح البخارى . وعن جابر أن رجلا قدم من جيشان ، وجيشان من اليمن ، فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسكر هو ؟ قال : نعم ، قال : ان على الله عهدا لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال ، قالوا : يا رسول الله وماطينة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار أو عصارة أهل النار (٤٠٣) التذكرة .

أورده الله حوض الخبال ، قيل : وما حوض الخبال يا رسول الله ؟ قال : حوض من صديد أهل النار » .

قال القرطبى [١] : غريب من حديث خارجة بن زيد عن أبيه ، لم يروه عنه غير أبى الزناد تفرد به عند ابنه عبد الرحمن والله أعلم .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جُبِّ الْحُزْنِ ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! وَمَا جُبُّ الْحُزْنِ ؟ قَالَ : وَادٍ فِى جَهَنَّمَ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً أَعَدَّهُ اللهُ لِلْقُرَّاءِ الْمُرَائِينَ [*] » .

وفى رواية : « لِلَّذِينَ يُرَاؤُنَ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ » أخرجه أسد بن موسى والترمذى وقال فى حديث أبى هريرة:مائة مرة ، قلنا : يا رسول الله ومن يدخله قال : القراء المراءون بأعمالهم » وقال هذا حديث غريب .

وخرجه ابن ماجه [٢] أيضا عن أبى هريرة ولفظه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعوذوا بالله من جب الحزن » قالوا : يا رسول الله ، وما جب الحزن ؟ قال : واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة قالوا : يا رسول الله ومن يدخله ؟ قال : أعد للقراء المرائين بأعمالهم وان من أبغض القراء الى الله الذين يزورون الأمراء » قال المحاربى : الجَوَرَةَ ، ورواه الطبرانى من حديث أبى هريرة أيضا ، ولفظه بعد قوله أربعمائة مرة : « يلقى فيه الغوارون قيل : يا رسول الله ! وما الغوارون ؟ قال : المراؤن بأعمالهم فى الدنيا » قال فى مجمع الزوائد [٣] : وفيه محمد بن الفضل بن عطية وهو مجمع على ضعفه . انتهى .

---

(١) التذكرة (٤٠٣) وفى اسناده : عبد الرحمن بن ابى الزناد ، قال فى الخلاصة : قال يعقوب بن شيبة : ثقة صدوق فيه ضعف ، وقال ابن عدى : بعض ما يرويه لا يتابع عليه (١٩٢) . (٢) برقم ٢٥٦ .

(*) قال المنذرى (٤/٩٩) : رواه البيهقى باسناد حسن ، وفيه : من جب الحزن أو وادى الحزن فقيل يا رسول الله ، وما جب الحزن أو وادى الحزن؟ . (٣) مجمع الزوائد (١٠/٣٨٩)

وفى حديث آخر ذكره أسد بن موسى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ان فى جهنم لواديا ان جهنم لتتعـوذ من شر ذلك الوادى فى كل يوم سبع مرات وان فى ذلك الوادى لجباً ، ان جهنم وذلك الوادى ليتعوذان بالله من شر ذلك الجب ، وان فى ذلك الجب لحية ، ان جهنم والوادى وذلك الجب ليتعوذون بالله من شر تلك الحية ، أعدها الله للأشقياء من حملة القرآن .

وقال أبو هريرة : « ان فى جهنم أرحاء تدور بعلماء السوء فيشرف عليهم بعض من كان يعرفهم فى الدنيا ، فيقول : ما صيركم الى هذا ، وانما كنا تتعلم منكم ؟ قالوا انا كنا نأمركم بالأمر ونخالفكم الى غيره » .

قال القرطبى [1] : وهذا مرفوع معناه فى صحيح مسلم من حديث أسامة بن زيد .

وقال أبو المثنى الأملوكى : « ان فى النار أقواما يربطون بنواعير من نار تدور بهم تلك النواعير ما لهم فيها راحة ولا فترة » .

قال محمد بن كعب القرطبى : « ان لمالك مجلسـا فى وسط جهنم وجسورا تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها » الحديث .

---

(١) التذكرة (٤٠٤) .

(باب)

(فى بيان قوله تعالى « فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ »
وفى ساحل جهنم ووعيد من يؤذى المؤمنين)

عن يزيد بن شجرة قال : وكان معاوية بعثهُ على الجيوش فلقى عدوا ، فرأى فى أصحابه فشلا ، فجمعهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، اذكروا نعمة الله عليكم وذكر الحديث وفيه : انكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسماتكم ، فاذا كان يوم القيامة قيل : يا فلان هانورك ، يا فلان ! لا نور لك ، ان لجهنم ساحلا كساحل البحر فيه هوام وحيات كالبَخَاتِى وعقارب كالبغال الدُّلْم .

فاذا استغاثت أهل النار قالوا : الساحل ، فاذا ألقوا فيها سلطت تلك الهوام عليهم ، فتأخذ شفار أعينهم وشفاههم ، وما شاء الله منهم تكشطها كشطا فيقولون : النار النار ، فاذا ألقوا فيها ، سلط عليهم الجرب ؛ فيحك أحدهم جلده حتى يبدو عظمه ، وان جلد أحدهم لأربعون ذراعا ، قال : يقال : يا فلان ! هل تجد هذا يؤذيك ؟ فيقول : وأى أذى أشد من هذا ؟ قال : هذا بما كنت تؤذى المؤمنين [1] .

وعن أبى سعيد الخدرى قال : « ان صَعودا صخرة فى جهنم اذا وضعوا أيديهم عليها ذابت فاذا رفعوها عادت » أخرجه ابن المبارك [2] .

---

(١) الزهد والرقائق (٦ / ٩٥) ، والدلم : السود جمع ادلم .

(٢) الزهد والرقائق (٦ / ٩٦) .

قال ابن عمر وابن عباس : « هذه العقبة جبل فى جهنم » .

وقال محمد بن كعب وكعب الأحبار : « هى سبعون درجة فى جهنم » .

وقال الحسن وقتادة : هى عقبة شديدة صعبة فى النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله عز وجل » .

وقال مجاهد والضحاك والكلبى : هى الصراط ، وقيل : النار نفسها ، وقيل : هو جبل بين الجنة والنار ، يقول فلا جاوز هذه العقبة بعمل صالح . ثم بين اقتحامها بما يكون فقال « فَكُّ رَقَبَةٍ » الآية .

قال ابن زيد وجماعة من المفسرين : معنى الكلام الاستفهام ، تقديره : أفلا اقتحم العقبة ، يقول : هلا أنفق ماله فى فك الرقاب ، واطعام السَّغْبَان ليجاوز به العقبة ، فيكون خيرا له من انفاقه فى المعاصى ، وقيل : فى الكلام التمثيل والتشبيه فشبه عظم الذنوب وثقلها بعقبة ، فاذا أعتق رقبة وعمل صالحا كان مثله كمثل من اقتحم العقبة ، وهى الذنوب التى تضره وتؤذيه وتثقله ، فاذا أزالها بالأعمال الصالحة والتوحيد الخالص كان كمن اقتحم عقبة يستوى عليها ويجوزها ، قال القرطبى [١] : هذا حديث حسن ، قال الحسن : هى والله عقبة شديدة : مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : « لأن أجمع أناسا من أصحابى على صاع من طعام ، أحب الى من أن أخرج الى السوق » فاشترى نسمة فأعتقها ، أخرجه الطبرانى فى كتاب مكارم الأخلاق .

---

(١) التذكرة (٤٠٥) وعنه ما سبق .

(باب)

ما جاء فى قوله تعالى « وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ »

الوقود بالفتح : الحطب وبالضم اسم الفعل وهو المصدر ، والناس عام ومعناه الخاص ، أى من سبق عليه القضاء أنه يكون حطبا لها ، أجارنا الله منها بكرمه ، قال القرطبى [١] : حطب النار شباب وشيوخ وكهول ونساء عاريات قد طال منهن العويل .

وعن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَظْهَرُ هَذَا الدِّينُ ، حَتَّى يُجَاوِزَ الْبِحَارَ ، وَحَتَّى يُخَاضَ الْبِحَارُ بِالْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، ثُمَّ يَأْتِي أَقْوَامٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، فَإِذَا قَرَأُوهُ قَالُوا : مَنْ أَقْرَأُ مِنَّا ؟ مَنْ أَعْلَمُ مِنَّا ؟ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : هَلْ تَرَوْنَ فِي أُولَئِكَ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ أُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولَئِكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ » . أخرجه ابن المبارك [٢] ، والحجارة : هى حجارة الكبريت ، خلقها الله عنده كيف شاء أو كما شاء قاله ابن مسعود .

وخصت بذلك لأنها تزيد على جميع الحجارة بخمسة أنواع من العذاب : سرعة الايقاد ، ونتن الرائحة ، وكثرة الدخان ، وشدة الالتصاق بالأبدان ، وقوة حرها اذا حميت .

وقيل : المراد بالحجارة الأصنام لقوله تعالى : « إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ » (الأنبياء : ٩٨) والحَصَب : ما يلقى فى النار

---

(١) التذكرة (٤٠٧) .
(٢) الزهد والرقائق (٦ / ٨٨) . ونقل محققه تصحيحه عن الحاكم .

مما يزكى به ، وعليه فيكون الحجارة والناس وقودا للنار ، وعلى التأويل الأول يكونون معذبين بالنار والحجارة قال القرطبى [١] : وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنهقال : « كل مؤذ فى النار [٢] » ، وفى تأويله وجهان (أحدهما) أن كل من آذ ىالناس فى الدنيا عذبه الله فى الآخرة بالنار (الثانى) كل ما يؤذى الناس فى الدنيا من السباع والهوام وغيرها فى النار معد لعقوبة أهل النار ، وذهب بعض أهل التأويل الى أن هذه النار المخصوصة بالحجارة هى نار الكافرين والله أعلم .

(باب)

(ما جاء فى تعظيم جسد الكافر وأعضائه بحسب اختلاف كفره وتوزيع العذاب على العاصى المؤمن بحسب أعمال الأعضاء)

عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (يعظم أهل النار فى النار ، حتى ان بين شحمة أذن أحدهم الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام ، وان غلظ جلده سبعون ذراعا ، وان ضرسه مثل أحد) . رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط ، وفى أسانيدهم أبو يحيى القتات وهو ضعيف ، وفيه خلاف ، وبقية رجاله أوثق منه ، قاله فى مجمع الزوائد [٣] .

وعن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَقْعَدُ الْكَافِرِ فِى النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، كُلُّ ضِرْسٍ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ وَرِقَانَ ،

---

(١) التذكرة (٤٠٧) .

(٢) حديث ضعيف عزاه السيوطى للدارقطنى ، وفى اسناده : عثمان الأشج ، قال الخطيب : ليس بشىء ، وأورده الذهبى فى المتروكين ، أفاده المناوى (٥ / ٣٠) .

(٣) مجمع الزوائد (١٠ / ٣١٠) وفيه : وان جلده مثل أحد . وقال المنذرى (٤/٢٣٨) واسناده قريب من الحسن .

وَجِلْدُهُ سِوَى لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ ، أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا » رواه أحمد وأبو يعلى وفيه ابن لهيعة وقد وثق على ضعفه [١] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ضِرْسُ الْكَافِرِ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ » . رواه مسلم [٢] . وأخرج الترمذى [٣] عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ غلظ جِلْدِ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا ، وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَإِنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ » قال : هذا حسن صحيح غريب من حديث الأعمش ، وفى رواية : وَفَخِذُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ مِثْلَ الرَّبْذَةِ ، أخرجه عن صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة ، وقال : هذا حديث حسن غريب [٤] .

وعن أبى هريرة قال : « ضرس الكافر ، يوم القيامة ، أعظم من أحد يعظمون لتمتلىء منهم وليذوقوا العذاب » خرجه ابن المبارك [٥] .

وعن أبى هريرة قال : « ضِرْسُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ ، وَجَبِينُهُ مِثْلُ الْوَرِقَانِ وَمَجْلِسُهُ مِنَ النَّارِ كَمَا بَيْنَ الْوَرِقَانِ وَبَيْنَ الرَّبْذَةِ وَكَثِيفُ بَصَرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَبَطْنُهُ مِثْلُ إِضَم [٦] » قال الجوهرى : اضم بالكسر جبل قال القرطبى [٧] : الورقان جبل بالمدينة .

---

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩) : وورِقان : بوزن قَطِران : جبل اسود
(٢) مسلم (٤ / ٢١٨٩) .
(٣، ٤) الترمذى (٤ / ٧٠٣) والبيضاء : جبل ــ الربذة : كما بين مكة والمدينة .
(٥) الزهد والرقائق (٦ / ٨٧) .
(٦) الزهد والرقائق (٦ / ٨٧) وفيه : كما بينى وبين الربذة .
(٧) التذكرة (٤٠٨) .

وعن عبيد بن عمير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بصر الكافر يعنى غلظ جلده سبعون ذراعا وضرسه مثل أحد ، وفى سائر خلقه » خرجه ابن المبارك[١] ، وذكر عن عمرو بن ميمون أنه يسمع بين جلد الكافر ولحمه وجسده دوى كدوى الوحش .

وعن ابن عمر قال : قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْكَافِرَ لَيُسْحَبُ لِسَانُهُ الْفَرْسَخَ وَالْفَرْسَخَيْنِ يَتَوَطَّؤُهُ النَّاسُ » رواه الترمذى[٢] .

وعن أبى هريرة قال : قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ضِرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَعَرْضُ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مِثْلُ مَا بَيْنِى وَبَيْنَ الرَّبْذَةِ » رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ربعى بن ابراهيم وهو ثقة[٣] .

وعن يزيد بن حيان التيمى قال انطلقت أنا وحسين بن سبرة وعمر بن مسلم الى زيد بن أرقم وحدثنا زيد فى مجلسه ذلك قال : « ان الرجل من أهل النار ليعظم للنار حتى يكون الضرس من أضراسه مثل أحد » قال فى مجمع الزوائد[٤] : رواه أحمد فى حديث طويل ، ورجاله رجال الصحيح . وعن ثوبان قال وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ضِرْسُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ وَغِلَظُ جِلْدِهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْجَبَّارِ » رواه البزار وفيه عباد ابن منصور وهو ضعيف وقد وثق ، وبقية رجاله ثقات[٥] .

---

(١) ولا تقوم به حجة لانه مرسل .

(٢) الترمذى (٧٠٤/٤) وقال : هذا حديث غريب ، وعلله بأن فى اسناده أبا المخارق : ليس بمعروف وتعقبه المنذرى (٢٣٨/٤) فقال : وقول الترمذى أبو المخارق ليس بمعروف وهم انما هو ابو العجلان المحاربى ذكره البخارى فى الكنى ، وقد اورد المناوى فى الجامع الأزهر (١١٧/١ أ) بلفظ : « ان الكافر ليجر لسانه وراءه قدر فرسخين يتوطؤه النـاس » . وعزاه للامام احمد وقال : باسناد جيد .

(٣) مجمع الزوائد (٣٩١/١٠)

(٤) مجمع الزوائد (٣٩٢/١٠) قال : ورجاله رجال الصحيح غير عنبسة ابن سعيد وهو ثقة .

(٥) مجمع الزوائد (٣٩٢/١٠) .

وعن سمرة بن جندب أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قَالَ : مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ

أخرجه مسلم (١) .

قال القرطبى (٢) : هذا الباب يدلك على أن كفر من كفر فقط ، ليس ككفر من كفر وطغى وتمرد وعصى ، ولا شك فى أن الكفار فى عذاب جهنم متفاوتون ، كما قد عُلم من الكتاب والسنة ، ولأنا نعلم على القطع والثبات أنه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين وقتل فيهم وأفسد فى الأرض وكفر مساويا لعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين ، ألا ترى أبا طالب كيف أخرجه النبى صلى الله عليه وسلم الى ضحضاح لنصرته اياه وذبه عنه واحسانه اليه ؟ وحديث مسلم عن سمرة يصح أن يكون فى الكفار بدليل حديث أبى طالب ، ويصح أن يكون فيمن يعذب من الموحدين الا أن الله تعالى يميتهم اماتة حسب ما تقدم بيانه والله أعلم .

ومن خبر كعب الأحبار : « يا مالك مر النار لا تحرق ألسنتهم فقد كانوا يقرأون القرآن ، يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم ، فالنار أعرف بهم ، وبمقدار استحقاقهم من الوالدة بولدها ، فمنهم من تأخذه النار الى كعبيه ، ومنهم من تأخذه النار الى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه النار الى سرته ، ومنهم من تأخذه النار الى صدره (٣) .

وذكر القتبى فى « عيون الأخبار » له مرفوعا عن أبى هريرة أنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله اذا قضى بين خلقه

---

(١) مسلم (٤ / ٢١٨٥) .
(٢،٣) التذكرة (٤٠٩) .

وزادت حسنات العبد دخل الجنة ، وان استوت حسناته وسيئاته حبس على الصراط أربعين سنة ، ثم بعد ذلك يدخل الجنة ، وان زادت سيئاته على حسناته دخل النار من باب التوحيد ، فيعذبون فى النار ، على قدر أعمالهم فمنهم من تنتهى له النار الى كعبيه ومنهم من تنتهى الى ركبتيه ، ومنهم من تنتهى النار الى وسطه » [١] .

وذكر الفقيه أبو بكر بن برجان [٢] أن حديث مسلم فى معنى قوله تعالى : « وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا » قال : أرى والله أعلم أن هؤلاء الموصوفين فى هذه الآية والحديث أهل التوحيد ، فان الكافر لا تعاف النار منه شيئا ، وكما اشتمل فى الدنيا على الكفر شملته النار فى الآخرة ، قال تعالى : « لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ » (الزمر : ١٦) .

وعن الحارث بن أقيش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَعْظُمُ لِلنَّارِ حَتَّى يَكُونَ أَحَدَ زَوَايَاهَا » [٣] .

(باب)

(ما جاء فى شدة عذاب أهل المعاصى واذاية أهل النار بذلك)

عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ » أخرجه مسلم [٤] وذكره قاسم ابن أصبغ من حديث ابن مسعود أيضا ، قال : قال رسول الله صلى الله

(١،٢) نقله القرطبى فى التذكرة (٤٠٩ ـ ٤١٠) .
(٣) رواه ابن ماجه برقم ٤٣٢٣ ، قال المنذرى : واسناده جيد (٤ / ٩٠٩) الترغيب .
(٤) مسلم (٣ / ١٦٧٠) .

عليه وسلم : « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًا أَوْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ وَالْمُصَوِّرُ يُصَوِّرُ التَّمَاثِيلَ » (١) .

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » أخرجه أبو عمر بن عبد البر وابن ماجه وابن وهب وفى اسناده عثمان بن مقسم البزى لم يرفعه غيره ، وهو ضعيف عند أهـل الحديث ، معتزلى المذهب ليس حديثه بشىء . قاله أبو عمر (٢) .

وعن ابن زيد قال : « يقال : انه ليؤذى أهلَ النار تَنْنُ فروج الزناة يوم القيامة » ويذكر عن بعض أهل العلم قال : ثلاثة فى النار قد آذوا أهل النار ، وكل أهل النار فى أذى : رجال مغلقة عليهم توابيت من نار ، وهم فى أصل الجحيم ، فيصيحون حتى تعلوا أصواتهم أهل النار ، فيقول لهم أهل النار : ما بالكم من بين أهل النار قد فعل بكم هذا ؟ فقالوا : كنا متكبرين . ورجال قد شقت بطونهم يسحبون أمعاءهم فى النار فقال لهم أهل النار : ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا ؟ قالوا : كنا نقتطع حقوق الناس بأيماننا وأماناتنا . ورجال يسعون بين أهل الجحيم والحميم ، لا يقرون ، قيل لهم : ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا ؟ قالوا : كنا نسعى بين الناس بالنميمة » ذكره ابن المبارك (٣) .

وعن شفى بن ماتع الأصبحى عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) بنحوه وزاد فيه : « امام جائر » الجامع الكبير ص (٢٠٨٥) وفى المسند بنحوه رقم ٣٨٦٨ (٥ / ٣٣٢ ـ ٢٣٣) قال الشيخ شاكر : اسناده صحيح .

(٢،١) التذكرة (٤١٠) .

(٢) مجمع الزوائد (١ / ١٨٥) والعزو الى ابن ماجه سهو . وكذا ضعفه المنذرى والعراقى وابن حجر ذكره المناوى (١ / ٥١٨) .

(٣) الزهد والرقائق (٦ / ٩٣ ـ ٩٤) .

قال : أربعة يؤذون أهل النار ، على ما بهم من الأذى ، يسعون بين الجحيم والحميم ، يدعون بالويل والثبور ، يقول أهل النار بعضهم لبعض : ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى ؟ قال : فرجل مغلق عليه تابوت من جمر ، ورجل يجر أمعاءه ، ورجل يسيل فوه قيحا ودما ، ورجل يأكل لحمه ، قال : فيقال لصاحب التابوت : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ قال : فيقول : ان الأبعد مات : وفى عنقه أموال الناس ، لم يجد لها قضاء ، أو قال وفاء ، ثم يقال للذى يجر أمعاءه : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ قال : فيقول : ان الأبعد كان لا يبالى أين أصاب البول منه ثم لا يغسله ، ثم يقال للذى يسيل فوه قيحا ودما : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ قال : فيقول : ان الأبعد كان ينظر فى كل كلمة قذيعة خبيثة يستلذ بها ويستلذ الرفث بها فيذيعها أى يفشيها .

ثم يقال للذى يأكل لحمه ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ قال فيقول : ان الأبعد كان يأكل لحوم الناس ويمشى بالنميمة » خرجه الحافظ أبو نعيم [١] وقال تفرد به اسماعيل بن عياش ، وشفى مختلف فيه فقيل له صحبة .

(باب)

(فى عذاب من عذبّ الناس فى الدنيا)

عن خالد بن الوليد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشَدُّهُمْ عَذَابًا لِلنَّاسِ فِى الدُّنْيَا » رواه أبو داود الطيالسى [٢] وخرجه البخارى فى التاريخ ، وخرجه مسلم

---

(١) وخرجه ابن المبارك (٦ / ٩٤) الزهد ـ الترغيب (٣ / ٧٦٥) .
(٢) منحة المعبود (٢ / ٦١) .

بمعناه من حديث هشام بن حكيم بن حزام ، أَنَّهُ مَرَّ عَلَى أُنَاسٍ مِنَ الْأَنْبَاطِ بِالشَّامِ ، قَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ ، فَقَالَ : مَا شَأْنُهُمْ ؟ قَالُوا : حُبِسُوا فِي الْجِزْيَةِ ، فَقَالَ هِشَامُ : أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا (١) » .

(باب)

(فى شدة عذاب من أمر بالمعروف ولم يأته ، ونهى عن المنكر وأتاه)

(وذكر الخطباء فيمن خالف قوله فعله ، وفى أعوان الظلمة كلاب النار)

عن أسامة بن زيد قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يُجَاءُ بِرَجُلٍ فَيُطْرَحُ فِي النَّارِ ، فَيَطْحَنُ فِيهَا ، كَطَحْنِ الْحِمَارِ بِرَحَاهُ ، فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ ، فَيَقُولُونَ : أَيْ فَلَانُ ! أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ قَالَ فَيَقُولُ : كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا أَفْعَلُهُ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَفْعَلُهُ » رواه البخارى (٢) وخرجه مسلم بمعناه عن أسامة بن زيد قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ : يَافُلَانُ ! مَالَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهُ » (٣) .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) التذكرة (٤١٢) ــ مسلم (٤ / ٢٠١٨) .
(٢) بنحوه (٧ / ١٤٤) فتح البارى .
(٣) مسلم (٤ / ٢٢٩١) .

« أتيت ليلة أسرى بى على أقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، كلما قرضت ردت ، قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء خطباء أمتك ، الذين يقولون ولا يفعلون » أخرجه الحافظ أبو نعيم ، وروى مثله ابن المبارك أيضا ولفظه فى آخره « الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب [١] » .

وعن الشعبى قال : « يطلع قوم من أهــل الجنة الى قوم فى النار فيقولون : ما أدخلكم النار ؟ وانما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم ، قالوا : انا كنا نأمركم بالخير ولا نفعله » رواه ابن المبارك [٢]

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يعافى الأميين يوم القيامة ما لا يعافى العلماء » أخرجه أبو نعيم [٣] ، وهذا حديث غريب تفرد به سيار عن جعفر ، لم يكتبه الا من حديث أحمد بن حنبل رحمه الله ، وعن ابن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجلاوزة والشرط أعوان الظلمــة كلاب النار » رواه أبو نعيم وهو غريب من حديث طاوس تفرد به محمد بن مسلم الطائفى عن ابراهيم بن ميسرة عن طاوس [٤] .

---

(١) وفى اسناده : على بن زيد بن جدعان احد علماء التابعين ، مختلف فيه قال أحمد : ضعيف وكذا ابن عيينة ، وقال البخارى وأبو حاتم : لا يحتج به وقال الترمذى : صدوق (٢ / ١٢٧) الميزان .

(٢) الزهد والرقائق (٢١) .

(٣) ذكره الذهبى مما ينكر على جعفر بن سليمان من الأحاديث واختلف فى الاحتجاج بها ثم قال : وقيل : أخطأ من حدث به عن جعفر (١ / ٤١١) الميزان .

(٤) التذكرة (٤١٢ ـ ٤١٣) ومحمد بن مسلم الطائفى : وثقه يحيى ابن معين وغيره وضــعفه أحمــد بن حنبل ـ والجــلاوزة : جمــع جلواز ، والجلواز : الشرطى .

« فصـــل »

قال بعض السادة : أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة : رجل ملك عبدا ، فعلّمه شرائع الاسلام فأطاع وأحسن ، وعصى السيدُ ، فاذا كان يوم القيامة أُمر بالعبد الى الجنة ، وأُمر بسيده الى النار ، فيقول عند ذلك : واحسرتاه واغبناه ، أما هذا عبدى،أما كنتُ مالكا لمهجته وماله ؟ وقادرا على جميع ماله ، فما له سعد ، ومالى شقيت ؟ فيناديه الملك الموكل به : لأنه تأدب وما تأدبتَ ، وأحسن ، وأسأتَ ، ورجل كسب مالا فعصى اللهَ تعالى فى جمعه ومنعه ، ولم يقدّمه بين يديه حتى صار الى وارثه ، فأحسن فى انفاقه وأطاع الله سبحانه فى اخراجه ، وقدمه بين يديه ، فاذا كان يوم القيامة أمر بالوارث الى الجنة ، وأمر بصاحب المال الى النار ، فيقول : واحسرتاه ! واغبناه ! أما هذا مالى فأحسنت به أحوالى وأعمالى فيناديه الملك الموكل به : لأنه أطاع الله ، وما أطعته ، وأنفق لوجهه وما أنفقت فسعد وشقيت ، ورجل علّم قوما ووعظهم فعملوا بقوله ولم يعمل ، فاذا كان يوم القيامة أمر بهم الى الجنة ، وأمر به الى النار ، فيقول : واحسرتاه ! واغبناه ! أما هذا علمى ؟ فما لهم فازوا به وما فزت ؟ وسلموا به وما سلمت ؟ فيناديه الملك الموكل به : لأنهم عملوا بما قلت وما عملت ، فسعدوا وشقيت . ذكره أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله .

قال ابراهيم النخعى : انى لأكره القصص لثلاث آيات : لقوله تعالى : « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ » (البقرة : ٤٤) وقوله تعالى : « لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَالَا تَفْعَلُونَ » (الصـــف : ٢ ــ ٣) ؛ « وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ » (هود : ٨٨) .

قال القرطبي [١] رحمه الله : وألفاظ هذه الآيات تدل مع ما ذكرناه من الأحاديث على أن عقوبة من كان عالما بالمعروف وبالمنكر وبوجوب القيام بوظيفة كل واحد منهما أشد ممن لم يعلمه . وانما ذلك لأنه كالمستهين بحرمات الله والمستخف لأحكامه وهو كالمستهزيء ممن لم ينفعه الله بعلمه . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه [٢] » . وروى أبو أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم يجرون قصبهم فى نار جهنم ، فيقال : لهم من أنتم ؟ فيقولون : نحن الذين كنا نأمر بالبر وننسى أنفسنا » .

قال القرطبي فى التذكرة [٣] : ان قال قائل فى حديث أبي سعيد الخدري أن من ليس من أهل النار اذا دخلوها أحرقوا فيها وماتوا على ما ذكرتموه فى أصح القولين وهذه الأحاديث التى جاءت فى العصاة بخلافه . فكيف الجمع بينهما ؟ قيل له : الجمع ممكن وذلك والله أعلم أن أهل النار الذين هم أهلها كما قال : « كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ » (النساء ٥٦) . قال الحسن : تنضجهم النار فى اليوم سبعين ألف مرة ، والعصاة بخلاف هذا فيعذبون وبعد ذلك يموتون ، وقد تختلف أيضا أحوالهم فى طول التعذيب بحسب جرائمهم وآثامهم . وقد قيل انه يجوز أن يكونوا متألمين حالة موتهم ، غير أن آلام المؤمنين تكون أخف من آلام الكفار ، لأن آلام المعذبين وهم موتى أخف من عقابهم وهم أحياء . دليله قوله تعالى : « وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ .

---

(١) التذكرة (٤١٤) والفصل من اوله بلفظه له .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) ص (٤١٥) .

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ « (غافر ٤٦) .

أخبر أن عذابهم اذا بعثوا أشد من عذابهم وهم موتى ، ومثله ما جاء فى حديث البراء من قول الكافر : رب لا تقم الساعة ، رب لا تقم الساعة ، رب لا تقم الساعة ، لأنه يرى أن ما يخلص له من عذاب الآخرة أشد مما هو فيه والله أعلم .

وقد يكون ما جاء فى الخطباء هو عذابهم فى القبور فى أعضاء مخصوصة كغيرهم، كما فى حديث سمرة الطويل ، إلا أن قوله فى حديث أسامة ابن زيد « يوم القيامة » يدل على ذلك ،وقد يجمع له الأمران لعظم ما ارتكبوه من مخالفة قولهم فعلهم ، نعوذ بالله من ذلك .

(باب)

(ما جاء فى طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم)

تقدم فى باب الآيات من ذلك ما يشفى ويكفى وفيها أن ثيابهم من نار وسرابيلهم من قطران وطعامهم الزقوم والحميم والغساق والضريع والغسلين ، قال الهروى : معناه صديد أهل النار وما ينغسل ويسيل من أبدانهم ، والغساق : ما يسيل من صديدهم ، وقيل : القيح الغليظ .

قال ابن عمر : « لو أن قطرة منه تهراق فى المغرب أنتنت أهل المشرق ، ولو أنها تهراق فى المشرق أنتنت أهل المغرب .

وقيل : الغساق الذى لا يستطاع من شدة برودة وهو الزمهرير ، وقال كعب : « هو عين فى جهنم يسيل اليها حمة كل ذات حمة فتستنقع

ويؤتى بالآدمى فيغمس فيها غمسة فيسقط جلده ولحمه عن العظام ، فيجر لحمه فى كعبه كما يجر الرجل ثوبه « جَزَاءً وِفَاقًا » ، أى : وافق أعمالهم الخبيثة ، واختلف فى الضريع . فقيل : هو نبت ينبت فى الربيع ، وقيل هو : الشوك ، وقيل : الحجارة ، وقيل الزقوم ، وقيل : واد فى جهنم .

قال القرطبى : قال المفسرون : الزقوم أصلها فى الباب السادس وأنها تحيا بلهب النار كما تحيى الشجرة ببرد الماء ، فلا بد لأهل النار من أن ينحدر اليها من كان فوقها فيأكلون منه ، وقال أبو عمران الجونى : بلغنا أن ابن آدم لا ينهش منها نهشة الا نهشت منه مثلها ، والمهل:ما كان ذائبا من الفضة والنحاس ، وقيل : المهل عكر الزيت الشديد السواد [١] .

(باب)

(ما جاء فى أن أهل النار يجوعون ويعطشون وفى دعائهم واجابتهم)

عن محمد بن كعب القرظى قال : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله فى أربع ، فاذا كان فى الخامسة ، لا يتكلمون بعدها أبدا ، يقولون : « رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ » . فيجيبهم الله تعالى : « ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ » (غافر ١٢) ثم يقولون « رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ » (السجدة ١٢) فيجيبهم الله تعالى « فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » (السجدة ١٤) ثم يقولون « رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ

---

(١) التذكرة (٤١٦) باختصار .

قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ » (ابراهيم ٤٤) فيجيبهم الله تعالى « أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ » .

ثم يقولون : «رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ» فيجيبهم الله تعالى : « أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ » (فاطر : ٣٧) ويقولون : « رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ » . فيجيبهم الله تعالى : « اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » (المؤمنون : ١٠٦ – ١٠٨) . أي بعدها أبدا ، رواه البيهقي .

وخرجه ابن المبارك [١] بأطول من هذا ، فقال:أخبرنا الحكم بن عمر ابن أبي ليلى قال : حدثني عامر قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : « بلغني أو ذكر لي أن أهل النار استغاثوا بالخزنة فقال الله : « وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ » . فسألوا يوما واحدا يخفف عنهم فيه العذاب ، فردت عليهم الخزنة : « أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ؟ قَالُوا بَلَى » . فردت عليهم الخزنة « فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ » (غافر : ٥٠) ، قال : فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا مالكا وهو عليهم غضبان . وله مجلس في وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب ، فيرى أقصاها كما يرى أدناها ، فقالوا : « يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ » (الزخرف : ٧٧) قال : اسألوا الموت،فيسكت عنهم لا يجيبهم ثمانين سنة ، قال : والسنة ستون وثلثمائة شهر والشهر ثلاثون يوما ، واليوم كألف سنة مما تعدون . ثم لحظ اليهم بعد الثمانين فقال : « إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ » فلما سمعوا منه ما سمعوا وأيسوا منه مما قبله ، فقال بعضهم لبعض : يا هؤلاء انه قد نزل بكم من البلاء والعذاب ما قد ترون فهلم فلنصبر فلعل الصبر ينفعنا ،

---

(١) الزهد (٦ / ٩١ – ٩٢) وفي المخطوطة التي طبع عليها الزهد في هذا الموضع خرم اشار اليه محققه .

كما صبر أهل الطاعة على طاعة الله فنفعهم الصبر اذا صبروا ، فأجمعوا رأيهم على الصبر فصبروا ، فطال صبرهم ، ثم جزعوا فنادوا : « سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ » ، أى من منجى ، فقام ابليس عند ذلك ، فقال :

« إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ـ الى قوله ـ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ » (ابراهيم : ٢١ ـ ٢٢) قال : فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم ، قال : فنودوا : « لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ـ الى قوله ـ فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ » ، قال : فرد عليهم : « ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ » (غافر : ١٠ ـ ١٢) قال ، فهذه واحدة ، فنادوا الثانية : « رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ » .

قال : فرد عليهم « وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا » ، يقول : لو شئت لهديت الناس جميعا فلم يتخلف منهم أحد ، « وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » (السجدة : ١٣ ـ ١٤) .

قال : فهذه ثنتان فنادوا الثالثة « رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ » فرد عليهم « أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ، وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ـ الى قوله ـ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ » (ابراهيم : ٤٤ ـ ٤٦) .

قال : فهذه الثالثة ، ثم نادوا « رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ » قال فيجيبهم : « أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ، فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ » (فاطر : ٣٧) . ثم مكث عنهم ما شاء الله ثم ناداهم « أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ » .

قال: فلما سمعوا صوته قالوا : الآن يرحمنا ربنا ، فقالوا عند ذلك : « رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا » ، أي الكتاب الذى كتب علينا « وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ » فقال عند ذلك : « اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » (المؤمنون : ١٠٥ ــ ١٠٨) فانقطع عند ذلك الرجاء والدعاء وأقبل بعضهم ينبح فى وجه بعض وأطبقت عليهم .

قال : فحدثنى الأزهر بن أبى الأزهر أنه ذكر له أن ذلك قوله تعالى : « هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ » (المرسلات : ٣٥) .

وعن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال : ان أهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما ثم يرد عليهم « إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ » قال : والله هانت دعوتهم على مالك ورب مالك قال : ثم يدعون ربهم فيقولون : « رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ » ، الآية . قال فسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ، قال : ثم يرد عليهم « اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » .

قال : فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة وما هو الا الزفير والشهيق فى نار جهنم ، فشبه أصواتهم بصوت الحمير أولها زفير وآخرها شهيق » ومعنى « ما نَبَسَ » ما تكلم ، قال الجوهرى : يقال : مانبس بكلمة أى ما تكلم ، أخرجه ابن المبارك [1] .

وَعَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ فَيَعْدِلُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ ، فَيَسْتَغِيثُونَ فَيُغَاثُونَ بِطَعَامٍ مِنْ ضَرِيعٍ ، لَا يُسْمِنُ وَلَا

---

(١) الزهد والرقائق (٦٠ / ٩١) وهو موضع السقط ورواه الطبرانى بنحوه ، ورجاله رجال الصحيح (١٠ / ٣٩٦) مجمع الزوائد .

يُغْنِى مِنْ جُوعٍ ، فَيَسْتَغِيثُونَ بِالطَّعَامِ فَيُغَاثُونَ بِطَعَامٍ ذِى غُصَّةٍ فَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُجِيزُونَ الْغُصَصَ فِى الدُّنْيَا بِالشَّرَابِ فَيَسْتَغِيثُونَ بِالشَّرَابِ فَيُرْفَعُ إِلَيْهِمُ الْحَمِيمُ بِكَلَالِيبِ الْحَدِيدِ فَإِذَا دَنَتْ مِنْ وُجُوهِهِمْ شَوَتْ وُجُوهَهُمْ ، فَإِذَا دَخَلَتْ بُطُونَهُمْ قَطَّعَتْ مَا فِى بُطُونِهِمْ ، فَيَقُولُونَ : ادْعُوا خَزَنَةَ جَهَنَّمَ ، فَيَقُولُونَ: «أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ؟ قَالُوا بَلَى ! قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَالٍ». قَالَ : فَيَقُولُونَ : ادْعُوا مَالِكًا ، فَيَقُولُونَ : «يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ؟ » (الزخرف ٧٧) قَالَ : فَيُجِيبُهُمْ : «إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ » قَالَ الْأَعْمَشُ : نُبِّئْتُ أَنَّ بَيْنَ دُعَائِهِمْ وَبَيْنَ إِجَابَةِ مَالِكٍ إِيَّاهُمْ أَلْفَ عَامٍ ، قَالَ : فَيَقُولُونَ : ادْعُوا رَبَّكُمْ ، فَلَا أَحَدَ خَيْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : « رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ » قَالَ : فَيُجِيبُهُمْ«اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » (المؤمنون ١٠٨) قَالَ:فَعِنْدَ ذَلِكَ يَئِسُوا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَأْخُذُونَ فِى الزَّفِيرِ وَالْحَسْرَةِ وَالْوَيْلِ ، أخرجه الترمذى (١) .

وزاد رزين: فَيُقَالُ لَهُمْ : « لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا » والحديث رفعه قطبة بن عبد العزيز عن الأعمش عن شمر بن عطية عن شهر بن حوشب وهو ثقة عند أهل الحديث . والناس يوقفونه على أبى الدرداء قوله .

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ عَنِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ . قَالَ : تَشْوِيهِ النَّارُ فَتقلص شَفَتُهُ الْعُلْيَا حَتَّى تَبْلُغَ وَسَطَ رَأْسِهِ وَتَسْتَرْخِى شَفَتُهُ السُّفْلَى حَتَّى تَضْرِبَ سُرَّتَهُ ، ولسرادق النار أربعة جدر كِثَفُ كلِّ جدار مثل مسيرة أربعين سنة ، ولو أن دلوا من غساق يهراق فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا » رواه الترمذى (٢) وقال : هذا حديث حسن صحيح . وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله :

---

(١) الترمذى (٤ / ٧٠٧ ـ ٧٠٨) .

(٢) هما حديثان : اسناد الأول كما قال حسن صحيح (٤ / ٧٠٨) . وفى اسناد «لسرادق» : رِشْدِين .

كالمهل قال : « كعكر الزيت فاذا قربه اليه سقطت فروة وجهه فيه » قال أبو عيسى : هذا حديث انما نعرفه من حديث رشدين بن سعد ورشدين قد تكلم فيه من قبل حفظه [١] .

قال القرطبى [٢] : وقع فى الحديث « فروة وجهه » وهو شاذ ، انما يقال فروة رأسه أى جلدته هذا هو المشهور عند أهل اللغة وكذا جاء فى حديث أبى أمامة .

وعن أبى حجيرة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قَالَ : « إِنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُؤُسِهِمْ فَيَنفُذُ الْحَمِيمُ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ فَيَسْلِتُ مَا فِى جَوْفِهِ حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ » قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح [٣] .

وعن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ » (ابراهيم ١٧) قال : يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره يقول الله تعالى « وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ » (محمد ١٥) ويقول « وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا » (الكهف ٢٩) قال حديث غريب [٤] .

وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » (آل عمران ١٠٢) وَقَالَ: لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِى دَارِ الدُّنْيَا

---

(١) الترمذى (٤ / ٧٠٦) ـ الزهد (٦ / ٩٠) .
(٢) التذكرة (٤٤٠) .
(٣) و (٤) الترمذى (٤ / ٧٠٥) .

لَأفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ » قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح وخرجه ابن ماجه أيضا [١] .

(باب)

(ما جاء فى بكاء أهل النار ومن أدناهم عذابا فيها)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ابْكُوا فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكُوا فَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَبْكُونَ حَتَّى تَسِيلَ دُمُوعُهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ حَتَّى تَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ فَتَسِيلُ الدِّمَاءُ فَتُقَرِّحُ الْعُيُونَ فَلَوْ أَنَّ سُفُنًا أُجْرِيَتْ فِيهَا لَجَرَتْ » أخرجه ابن المبارك قال فى مجمع الزوائد رواه أبو يعلى وأضعف من فيه يزيد الرقاشى وقد وثق على ضعفه ، انتهى [٢] .

وأخرج ابن ماجه عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يصير فى وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت » [٣] .

وعن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى عليه وسلم قال : « إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِى إِخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِى مِنْهُمَا دِمَاغُهُ » أخرجه مسلم [٤] وفى رواية : مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِى مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِى الْمِرْجَلُ ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَداً أَشَدَّ مِنْهُ عَذَاباً وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَاباً » أخرجه الشيخان [٥] والترمذى .

---

(١) الترمذى (٤ / ٧٠٦) ابن ماجة برقم (٤٤٢٦) بنحوه .
(٢) الزهد (٦ /٨٥) ــ التذكرة (٤٢١) ــ مجمع الزوائد (٣٩١/١٠)
(٣) ابن ماجه برقم (٤٣٢٤) .
(٤) و (٥) مسلم (١ / ١٩٦) .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ » رواه البخارى [١] .

وعن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ:لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ ، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ ؟ فَيَقُولُ:نَعَمْ،فَيَقُولُ:أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي » متفق عليه [٢] ، ورُوى عن أبى موسى الأشعرى موقوفا أنه قال : ان أهل النار ليبكون الدموع فى النار حتى لو أجريت فيه السفن لجرت ثم انهم يبكون الدم بعد الدموع ولمثل ما هم فيه فليبك ، وفى التنزيل (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)(التوبة٨٢) .

وعن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم:وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً [٣] رواه الترمذى ، فمن كثر بكاؤه خوفا من الله تعالى وخشية منه ضحك كثيرا فى الآخرة قال الله تعالى مخبراً عن أهل الجنة (إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ) (الطور ٢٦) ووصف أهل النار فقال (وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ) (المطففين ٣١) وقال « وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ » (المؤمنون ١١٠) .

---

(١) مسلم (١ / ١٩٦) ــ والبخارى (٥ / ٦٦) بنحوه .
(٢) البخارى (٧ / ١٤٣) ــ مسلم (٢ / ٢١٦٠) .
(٣) الترمذى (٤ / ٥٥٦) .

(باب)

(لكل مسلم فداء من النار من الكفار)

عن أبى بردة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة ، أذن لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فى السجود فيسجدون له طويلا ثم يقال ارفعوا رؤوسكم ، قد جعلنا عدتكم فداءكم من النار » أخرجه ابن ماجه [١] ، وعنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان هذه الأمة مرحومة عذابها بأيديها ، فاذا كان يوم القيامة ، دفع الى كل رجل من المسلمين ، رجل من المشركين ، فيقال هذا فداؤك من النار » [٢] .

قال القرطبى : وهذان الحديثان وان كان اسنادهما ليس بالقوى قال الدارقطنى جبارة بن المغلس متروك ، فان معناهما صحيح بدليل حديث مسلم عن أبى بردة عن أبى موسى قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللهُ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ » [٣] ، وفى رواية أخرى [٤] : لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللهُ مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا » قال فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذى لا اله الا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فحلف له [٥].

---

(١) ابن ماجه برقم (٤٢٩١) .
(٢) ابن ماجه برقم (٤٢٩٢) .
(٣) مسلم (٤ / ٢١١٩) .
(٤) يعنى عن أبى بردة عن أبى موسى .
(٥) مسلم (٤ / ٢١١٩) .

فصل

قال علماؤنا رحمهم الله فى هذه الأحاديث:ظاهرها الاطلاق والعموم وليست كذلك وانما هى فى ناس من المسلمين تفضل الله عليهم برحمته ومغفرته فأعطى كل انسان منهم فكاكا من النار من الكفار واستدلوا بحديث أبى بردة عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى » أخرجه مسلم (١) ومعنى يغفرها لهم أى يسقط المؤاخذة عنهم بها حتى كأنهم لم يذنبوا ، ومعنى الوضع أى يضاعف عليهم العذاب بذنوبهم حتى يكون عذابهم بقدر جرائمهم وجرم مذنبى المسلمين لو أخذوا بذلك . لأنه تعالى لا يأخذ أحدا بذنب أحد . كما قال « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى » (الاسراء ١٥) وله سبحانه أن يضاعف لمن شاء العذاب ويخفف عمن يشاء بحكم ارادته ومشيئته اذ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ، وفى الرواية الأخرى : لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا (٢) ، فمعنى ذلك أن المسلم المذنب لما كان استحق مكانا من النار بسبب ذنوبه وعفا الله عنه وبقى مكانه خاليا منه أضاف الله ذلك المكان الى يهودى أو نصرانى ليعذب فيه زيادة على تعذيب مكانه الذى يستحقه بحسب كفره ، ويشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث أنس: يقال للمؤمن الذى ثبت عند السؤال فى القبر « أُنْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ » (٣) .

قال القرطبى : قد جاءت أحاديث دالة على أن لكل مسلم مذنبا

---

(١) مسلم (٤ / ٢١٢٠) .
(٢) مسلم (٤ / ٢١١٩) .
(٣) مسلم (٤ / ٢٢٠٠) .

كان أو غير مذنب منزلين : منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار ، وذلك هو معنى قوله تعالى « أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ » (المؤمنون ١٠) ، أى يرث المؤمنون منازل الكفار ويجعل الكفار فى منازلهم فى النار وهو مقتضى حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم « ان العبد اذا وضع فى قبره » الحديث الا أن هذه الوراثة تختلف فمنهم من يرث ولا حساب ولا مناقشة ومنهم من يرث بحساب ومناقشة وبعد الخروج من النار حسب ما تقدم من أحوال الناس والله أعلم .

وقد يحتمل أن يسمى الحصول على الجنة وراثة من حيث حصولها دون غيرهم وهو مقتضى قوله تعالى « وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ » (الزمر ٧٤) والله أعلم [١] .

---

(١) هذا الفصل من التذكرة (٤٢٢) مع اختلاف يسير .

(باب)

(فى قوله تعالى « وَتقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ »)

عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَنْزَوِى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ قَطِ قَطِ : بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ . وَلَا يَزَالُ فِى الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ » أخرجه مسلم [١] والبخارى والترمذى ، وفى رواية من حديث أبى هريرة « فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ اللهُ عَلَيْهَا رِجْلَهُ فَتَقُولُ قَطْ قَطْ قَطْ [٢] فَهُنَاكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَلَا يَظْلِمُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا ، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا » [٣] .

قال القرطبى [٤] : وللعلماء فى قول النار « هَلْ مِنْ مَزِيدٍ » تأويلان .

(أحدهما) : وعدها ليملأها فقال:أوفيتك،فقالت:وهل من مسلك أى قد امتلأت،وهذا تفسير مجاهد وغيره وهو ظاهر الحديث .

الثانى : (زدنى زدنى) تقول ذلك غيظا على أهلها وحنقا عليهم كما قال « تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ » (الملك ٨) ، أى تنشق ويبين بعضها من بعض ، وهى عبارة عمن يتأخر دخوله فى النار من أهلها وهم جماعات كثيرة لأن أهل النار يلقون فيها فوجا فوجا كما قال تعالى : « كُلَّمَا أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ » (الملك ٨) ،

---

(١) مسلم (٤ / ٢١٨٨) ــ والبخارى (٨ / ١٦٨) بنحوه .
(٢) قط معناها : حسبى وهى باسكان الطاء أو بكسرها منونا وغير منون نقله الآبى عن القاضى عياض (٧ / ٢١٨) .
(٣) مسلم (٤ / ٢١٨٦) .
(٤) التذكرة (٤٢٤) .

ويؤيده أيضا قوله فى الحديث « لا يزال يلقى فيها » فالخزنة تنتظر أولئك المتأخرين اذ قد علموهم بأسمائهم وأوصافهم كما روى عن ابن مسعود أنه قال: ما فى النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت الا وعليه اسم صاحبه ، وكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذى قد عرف اسمه وصفته • فاذا استوفى كل واحد ما أمر به وما ينتظره ولم يبق منهم أحـد قالت الخزنة : قط قط ، أى حسبنا حسبنا اكتفينا اكتفينا، وحينئذ تنزوى جهنم على من فيها ، وتنطبق ، اذ لم يبق أحد ينتظر ، فعبر عن ذلك الجمع المنتظر بالرجل والقدم ، لأن الله تعالى ليس بجسم من الأجسام ، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيرا •

والعرب تعبر عن جماعة الناس والجراد بالرجل ، فتقول : جاءنا رجل من جراد ، ورجل من الناس : أى جماعة منهم والجمع أرجل ، ويشهد لهذا التأويل قوله فى نفس الحديث « وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِىءَ اللَّهُ لَهَا خَلْقاً آخَرَ فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ » وفى الحديث تأويلات أتينا عليها فى الأسماء والصفات أشبهها ما ذكرنا والله أعلم •

وفى التنزل « أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ » (يونس ٢) قال ابن عباس : المعنى منزل صدق ، وقال الطبرى : عمل صالح ، وقيل هو السابقة الحسنة ، فدل على أن القدم ليس حقيقة فى الجارحة والله الموفق • قال ابن فورك : وقال بعضهم القدم خلق من خلق الله يخلقه يوم القيامة ، فيسميه قدما ، ويضيفه اليه من طريق الفعل ، يضعه فى النار فتمتلىء النار منه ، قال القرطبى ، وهذا نحو ما قلناه فى الرجل : انتهى كلام القرطبى •

وأقول : كل ما ذكر القرطبى هنا من تأويل الرجل والقدم لا يشهد له دليل من كتاب ولا سنة ولا لغة ولا مذهب أحد من سلف الأمة وأئمتها ، ونقل ابن فورك ، « القدم خلق » الخ لا يقبل حتى يدل

عليه دليل من السنة ، وآنى ذلك الدليل عند أهـل التأويل ، والتأويل هو صنيع المتكلمين ووظيفـة المنتحلين لمذاهب الحكماء والفلسفة الطاغين ، ولهذا حذر النبى صلى الله عليه وسلم منه وقال « يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ » رواه البيهقى فى كتاب المدخل عن ابراهيم العذرى (١) .

ولهذا كان السلف الصالحون يجرون آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها من غير تكييف ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل ، ولم يكونوا يؤولون شيئا منها بشىء من عند أنفسهم حذرا من مضادة مراد الله ورسوله فى تأويل تلك النصوص ، وكانوا يقولون الله أعلم بمراده بذلك .

فمن أول شيئا من صـفاته سبحانه فقد خالف الشريعة الحقة ، وسلف الأمة واقتدى بمن نكب عن الصراط المستقيم ، وقد انتدب جماعة من أهل العلم بالقرآن والحديث لرد أقوال المؤولين ، وردوا عليهم أقوالهم حرفا حرفا ، وأوضحوا خطأهم فى ايثار التأويل على التفويض لفظا لفظا ، وألفوا فى ذلك كتبا جمة مطولة ومختصرة قديما وحديثا وكثرت فيها الزلازل والقلاقل ، حتى آل الأمر الى المقاتـلة والمجادلة والتكفير والتضليل فى كل زمان ومكان ، وابتلى بها المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا .

وكان ما كان وحاشا أهل الحديث والسنة والخبر والأثر وأصحاب الكتاب العزيز أن يعتقدوا فيه سبحانه وتعالى التجسيم والتكييف ، أو يعطلوا صفاته العليا ، أو يؤولوا أسماءه الحسنى ، بل هم أشـد

---

(١) سئل عنه الامام احمد ، فقال : هو صحيح كما نقله العراقى فى التقييد (١٣٩) وعزاه فى قواعد التحديث (٤٩) الى ابن عدى والدارقطنى وابى نعيم قال : وتعدد طرقه يقضى بحسنه كما جزم به العلائى ا هـ .

الناس ردا على المجسمة المشبهة وأغضبهم فى سبيل الله على الجهمية المعطلة ، وانما ينسبهم الى التجسيم من هو جاهل سـفيه لا يعرف صورهم ، ولا سيرهم ولا يعلم الكتاب ولا السنة ، ولا يحوم حولهما ولا يفهم معانيهما .

وقد زل قدم قوم من أهل المعرفة بالأخبار أيضا فى هذا المقام حتى ذهبوا الى التأويل كالبيهقى فى الأسماء والصفات ، وكالقرطبى عفا الله عنا وعنهم بمنه وكرمه ، وأما مقلدة الأئمة الأربعة وأصحاب المذاهب المعتبرة فلا تسئل عنهم فانهم بمعزل عن حلاوة الاتباع ،على مراحل شاسعة عن سعادة التمسك بالسنة ، رزقنا الله تعـالى اقتداء سلف الأمة وأئمتها ، وجنبنا عن تقليد الرجال ، وحفظنا عن اختيار الآراء فى مقابلة نصوص من كتاب الله العزيز وأدلة سنة رسوله المختار والله سبحانه وتعالى أعلم وعلمه أتم وأحكم وهو المستعان .

(باب)

(فى ذكر آخر من يخرج من النار)

(وآخر من يدخل الجنة وفى تعيينه وتعيين قبيلته واسمه)

عن عبد الله بن مسعود قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا ، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ : رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَارَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ: فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى ، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ ! وَجَدْتُهَا مَلْأَى فَيَقُولُ اللهُ لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَ عَشَرَةَ أَمْثَالِهَا ،أَوْإِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا قَالَ فَيَقُولُ : أَتَسْخَرُ بِي (أَوْأَتَضْحَكُ بِي) وَأَنْتَ الْمَلِكُ ؟ »قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، قَالَ : فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً (١) .

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً وَيَكْبُو مَرَّةً وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ ، لَقَدْ أَعْطَانِيَ اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا ابْنَ آدَمَ لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا ، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى فَيَقُولُ ، أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا . فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ فَيَقُولُ : لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي

---

(١) مسلم (١ / ١٧٣) .

غَيْرَهَا فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَالَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ قَالَ : بَلَى يَا رَبِّ هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا . وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَالَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِيهَا فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي (*) مِنْكَ ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا ؟ قَالَ : يَا رَبِّ أَتَسْتَهْزِىءُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ » .

فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ : أَلَا تَسْأَلُونِّي مِمَّ أَضْحَكُ ؟ فَقَالُوا : مِمَّ تَضْحَكُ ؟ قَالَ : هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « مِنْ ضِحْكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ : أَتَسْتَهْزِىءُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِىءُ مِنْكَ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ » أخرجه مسلم (١) .

وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له جهينة يقول أهـل الجنـة : عند جهينة الخبر اليقين ، ذكره أبو حفص عمر بن عبد المجيد القرشى فى كتاب الاختيار فى الملح من الأخبار والآثار ، ورواه أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب من حديث عبد الملك بن الحكم (٢) .

وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أن آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له جهينة فيقول أهل الجنة عند جهينة الخبر اليقين سلوه هل بقى من الخلائق أحد ، رواه الدارقطنى فى كتاب رواة مالك ذكره السهيلى ، وقد قيل أن اسمه هناد (٣) والله أعلم .

(*) ما يصرينى منك : معناه ما يقطع مسألتك منى .

(١) مسلم (١ / ١٧٤) .

(٢) و (٣) قال ابن حجر : حديث باطل (٢ / ٩٣) لسان الميزان ، وكذا قال ابن عراقى (٢ / ٣٩١) تنزيه الشريعة .

(باب)

(فى الشافعين لمن دخل النار وما جاء أن النبى صلى الله عليه وسلم يشفع رابع أربعة وذكر من يبقى فى جهنم بعد ذلك)

عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ، أخرجه ابن ماجه[1] وعن ابن مسعود قال : يشفع نبيكم رابعَ أربعة : جبريل ثم ابراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويبقى قوم فى جهنم فيقال لهم « مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ــ الى قوله ــ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ » (المدثر ٤٢ ــ ٤٨) .

قال ابن مسعود : فهؤلاء هم الذين يبقون فى جهنم . أخرجه ابن السماك أبو عمر وعثمان بن أحمد، وقيل أن هذا هو المقام المحمود لنبينا صلى الله عليه وسلم كما أخرج أبو داود الطيالسى عن عبد الله أى ابن مسعود ولفظه قال : ثم يأذن الله عزوجل فى الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل عليه السلام ، ثم يقوم ابراهيم ثم يقوم موسى أو عيسى عليهما السلام ، ثم يقوم نبيكم رابعا فيشفع لا يشفع لأحد من بعده فى أكثر مما يشفع وهو المقام المحمود الذى قاله الله تعالى « عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا » (الاسراء ٧٩) .

وعن عبد الله بن أبى الجدعاء أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ سِوَاكَ ، قَالَ: سِوَايَ » قلت : : أنت سمعته من رسول الله ؟ قال أنا سمعته . أخرجه ابن ماجه والترمذى [2]

---

(١) برقم (٤٣١٣) وهو حديث موضوع لأن فى اسناده عنبسه بن عبد الرحمن قال ابن ابى حاتم : كان يضع الحديث (١٦١/٨) التهذيب .

(٢) ابن ماجه برقم (٤٣١٦) والترمذى (٦٢٦/٤) بنحوه . وخرجه الحاكم بنحوه وصححه واقره الذهبى (٤٠٨/٣) .

وقال حديث حسن صحيح غريب ، ولا يعرف لابن أبي الجدعاء غير هـذا الحديث الواحد ، وخرجه البيهقي في دلائل النبوة .

وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يَدْخُلُ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ مِثْلُ أَحَدِ الْحَيَّيْنِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ . قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رَبِيعَةُ مِنْ مُضَرَ ؟ قَالَ: إِنَّمَا أَقُولُ مَا أَقُولُ» قال: فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجـل عثمان بن عفـان[1] . أخرجه ابن السماك .

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلْفِئَامِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْعُصْـبَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلرَّجُـلِ حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ . أخـرجه الترمذي[2] وقال حديث حسـن وعن ثابت أنه سـمع أنس بن مالك يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنَّ الرَّجُلَ لَيَشْفَعُ لِلرَّجُلَيْنِ وَلِلثَّلاَثَةِ ، وَالرَّجُـلَ لِلرَّجُـلِ[3] قال القـاضي عيـاض في الشـفاء : عـن كعب : ان لكل رجـل مـن الصـحابة رضي الله عنهم شـفاعة

قال القرطبي : ان قال قائل كيف تكون الشفاعة لمن دخل النار والله تعالى يقول:« إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ » (آل عمران ١٩٢) وقال : « لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى » (الأنبياء ٢٨) وقال : « وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى » (النجم ٢٦) ومن يرضاه الله لا يخزيه أبدا . قال الله تعالى « يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَـهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ » (التحريم ٨) .

قلنا هذا مذهب أهل الوعيد الذين ضلوا عن الطريق وحادوا عن التحقيق . وأما مذهب أهل السنة الذين جمعوا بين الكتاب والسـنة

---

(١) الترمذي (٤ / ٦٢٧) بنحوه (٢) الترمذي (٤ / ٦٢٧) .
(٣) خرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد (٣١٥) ورجاله رجال الصحيح أ هـ كما في كتاب الشفاعة لمقبل الوادعي (١٩٥/١٩٦) .

فان الشفاعة تنفع العصاة من أهل الملة حتى لا يبقى منهم أحد الا دخل الجنة ، ثم أجاب عن الآيات بأنها خاصة جاءت فى قوم لا يخرجون من النار .

قال أبو حامد الغزالى رحمه الله فى الأحياء : اذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فان الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين ، وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فان له شفاعة فى أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه ، فكن حريصا على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة للشفاعة ، وذلك بأن لا تستصغر معصية أصلا ، فان الله تعالى خبأ غضبه فى معاصيه فلعل مقت الله فيه .

وشواهد الشفاعة فى القرآن والأخبار كثيرة .

ثم ذكر آيات وأخبار ، منها حديث اختلاف الناس الى آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ثم الى محمد صلى الله عليه وسلم ، قال فهذه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم،ولآحاد أمته من العلماء والصالحين شفاعة أيضا .

قلت : ولكن هذه الشفاعة تكون باذن من الله سبحانه ، كما نطق به الكتاب العزيز فى مواضع،ورسول الله صلى الله عليه وسلم أول شافع وأول مُشَفَّع يوم القيامة ، اللهم أرزقنا شفاعته يوم القيامة ، قال تعالى « مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ » (البقرة ٢٢٥) وقال تعالى : « مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ » (يونس ٣) وقال تعالى : « وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ » (الأنبياء ٢٨) وقال تعالى : « وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ » (سبأ ٢٣) .

وقال فى المواهب اللدنية : وأما ما يغتر به الجهال من أنه لا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار فهو غرور

الشيطان لهم ولعبه بهم ، فانه يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة ثم يحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم حداً يشفع فيهم ، ورسول الله أعرف به وبحقه من أن يقول لا أرضى أن يدخل أحدا من أمتى النار ويدعه فيها، بل ربه تبارك وتعالى يأذن له فى الشفاعة فيمن شاء الله أن يشفع فيه ، ولا يشفع فى غير من أذن له ورضيه .

وقال الخازن تحت الآية الأولى : هذا استفهام انكار ، والمعنى لا يشفع عنده أحد الا بأمره وارادته ، وذلك ان المشركين زعموا أن الأصنام يشفعون لهم ، فأخبر أنه لا شفاعة لأحد عنده الا ما استثناه بقوله « إِلَّا بِإِذْنِهِ » يريد بذلك شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم وشفاعة الأنبياء والملائكة وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعضهم . اهـ .

وفى الكبير : لا يقدر أحد على الشفاعة الا باذن الله تعالى ، فيكون الشفيع فى الحقيقة الذى يأذن الله له فى تلك الشفاعة .

وقال فى الخازن أيضا : قال تعالى « قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا » (الزمر ٤٤) أى لا يشفع أحد الا باذنه . وفى الحديث : « فأستأذِنُ على ربى فيأذن لى »، وقال الشيخ زين الدين بن على المقرى فى مرشد الطلاب : .

أعلم انه صلى الله عليه وسلم لا يشفع لجميع عباد الله ، بل يشفع لمن أذن الله فى شفاعته ، انتهى .

وفى تفسير الحدادى : لا يشفع أحد لأحد عند الله الا بأمره ورضاه ، كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض بالدعاء كما يشفع الأنبياء للمؤمنين . اهـ .

وفى الباب أخبار وآثار كثيرة ، وأقوال لأهل العلم غزيرة لا يتسع هذا المقام لبسطها .

(باب)

* (ما جاء فى خروج الموحدين من النار وذكر الرجل الذى ينادى ياحنان يا منان وفى أحوال أهل النار) .

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ النَّارَ بِذُنُوبِهِمْ ، فَيَكُونُونَ فِي النَّارِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونُوا ، ثُمَّ يُعَيِّرُهُمْ أَهْلُ الشِّرْكِ ، فَيَقُولُونَ : مَا نَرَى مَا كُنْتُمْ تُخَالِفُونَنَا فِيهِ مِنْ تَصْدِيقِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ نَفَعَكُمْ فَلَا يَبْقَى مُوَحِّدٌ إِلَّا أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ » (الحجر : ٣) أخرجه الطبرانى[1] .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن عبداً فى جهنم ينادى ألف سنة : يا حنان فيقول الله تعالى : لجبريل ائت عبدى فلانا فينطلق جبريل عليه السلام فيرى أهل النار منكبين على وجوههم قال : فيرجع فيقول: يارب لم أره فيقول الله تعالى : إنه فى مكان كذا وكذا قال : فيأتيه فيجىء به فيقول له : يا عبدى كيف وجدت مكانك ومقيلك ؟ قال : فيقول : شر مكان وشر مقيل ، قال : فيقول : ردوا عبدى قال: فيقول : يارب ما كنتُ أرجو أن تردنى إذ أخرجتنى منها فيقول الله تعالى دعوا عبدى »

---

(١) ساقه بإسناده القرطبى (٤٢٧) وتابعيه مجهول ، فهو ضعيف وذكر نحوه فى مجمع الزوائد (١٠/٣٧٩) وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير بسام الصيرفى ، وهو ثقة .
وهو فى الجامع الأزهر (١/١٤٩ أ)

رواه أبو ظلال هلال بن أبى مالك القسلى ، بعد فى البصريين[١]

وعن سعيد بن جبير قال : « إن فى النار لرجلا – أظنه فى شعب من شعابها – ينادى مقدار ألف سنة يا حنان يا منان[٢] فيقول رب العزة لجبريل : ياجبريل أخرج عبدى من النار ، فيأتيها فيجدها مطبقة فيرجع فيقول يارب إنها عليهم مؤصدة ، فيقول : ياجبريل ، ارجع ففكها فأخرج عبدى من النار ، فيفكها فيخرج مثل الخيال فيطرحه على ساحل الجنة حتى ينبت الله له شعراً ولحماً ودما » ذكره أبو نعيم[٣] .

وروى ليث عن مجاهد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتى ، الحديث وفيه : وأطولهم مكثاً من يمكث فيها مثل الدنيا ، منذ خلقت إلى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة[٤] .

ثم إن الله تعالى إذا أراد أن يخرج الموحدين منها قذف فى قلوب أهل الأديان ، فقالوا لهم : كنتم وإيانا جميعاً فى الدنيا ، فآمنتم وكفرنا ، وصدقتم وكذبنا ، وأقررتم وجحدنا ، فما أغنى ذلك عنكم ، نحن وأنتم اليوم فيها سواء تعذبون ، كما نعذب ، وتخلدون فيها كما نخلد ، فيغضب الله عند ذلك غضباً شديداً ، لم يغضب مثله من شىء فيم مضى ولا يغضب من شىء فيما بقى ، فيخرج أهل التوحيد منها إلى عين بين الجنة والنار والصراط ، يقال لها نهر الحياة

(١) هذا سياق القرطبى فى التذكرة (٤٢٨) وساقه فى مجمع الزوائد بنحوه (١٠/٣٨٤) ثم قال : رواه أحمد وأبو يعلى ، ورجالهما رجال الصحيح . غير أبى ظلال ، ضعفه الجمهور ، ووثقه ابن حبان .

(٢) الحنان الذى يقبل على من أعرض عنه ، والمنان الذى يبدأ بالنوال قبل السؤال ، سبحانه ، وروى ذلك عن على ذكره القرطبى (٤٣٢)

(٣) التذكره (٤٢٨) .

(٣) التذكره (٤٢٨) .

(٤) عزاه العراقى للترمذى الحكيم فى نوادر الأصول من حديث أبى هريرة وقال: اسناده ضعيف. اهـ. نقله الزبيدى فى شرح الإحياء (٩/٥٨١)

فيرش عليهم من الماء فينبتون كما تنبت الحِبة فى حميل السيل(١) فما بلى الظل منها أخضر ، وما بلى الشمس منها أصفر ، ثم يدخلون الجنة ، فيكتب على جباههم عتقاء الله من النار ، إلا رجلا واحداً يمكث فيها ألف سنة . ثم ينادى يا حنان يا منان ، فيبعث الله إليه ملكا ، فيخوض فى النار فى طلبه سبعين عاماً لا يقدر عليه ، ثم يرجع فيقول : إنك أمرتنى أن أخرج عبدك فلانا من النار منذ سبعين عاماً ، فلم أقدر عليه فيقول الله تعالى : انطلق فهو فى وادى كذا تحت صخرة فأخرجه ، فيذهب فيخرجه منها فيدخله الجنة ، ثم إن الجهنميين يطلبون من الله عز وجل أن يمحو عنهم ذلك الاسم ، فيبعث الله ملكاً فيمحوه عن جباههم ثم إنه يقال لأهل الجنة ومن دخلها من الجهنميين اطلعوا إلى أهل النار ، فيطلعون إليهم ، فيرى الرجل أباه ، ويرى جاره ، ويرى العبد مولاه ، ثم إن الله يبعث إليهم الملائكة ، بأطباق من نار ، ومسامير من نار ، وعمد من نار ، فيطبق عليهم بتلك الأطباق ، ويشد بتلك المسامير ، وتمد بتلك العمد ، فلا يبقى فيها خلل عليهم منها روح ، ولا يخرج منه غم وينساهم الرحمن على عرشه(٢) ، ويتشاغل أهل الجنة بنعيمهم ، ولا يستغيثون بعدها أبداً ، وينقطع الكلام ، فيكون كلامهم زفيرا وشهيقا. فذلك قوله تعالى « إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ »(٣) (الهمزة ٨-٩) .

---

(١) الحِبة بكسر الحاء بذور البقول ، وحميل السيل ما احتمله من طين وغثاء ، فاذا اتفق أن يكون فيه حبة فانها تنبت فى يوم وليلة ، وهى أسرع نابتة نباتا ، فشبه النبى ﷺ سرعة نبات أجسامهم بسرعة نبات تلك الحبة قاله القرطبى (٤٣١)

(٢) قال القرطبى أى يتركهم فى العذاب كما قال (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) أى تركوا عبادته وتوحيده فتركهم لا يعبأ بهم ولا يلتفت إليهم (التذكرة ٤٣٢) .

(٣) التذكرة (٤٢٨ — ٤٢٩) وعزاه للترمذى الحكيم فى نوادر الأصول

وذكر أبو نعيم الحافظ عن زاذان قال سمعت كعب الأحبار يقول : « إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد ، فنزلت الملائكة ، فصاروا صفوفا ، فيقول الله تعالى لجبريل : ائت بجهنم ، فيجىء بها جبريل ، تقاد بسبعين ألف زمام ، حتى إذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت بها أفئدة الخلائق ، ثم زفرت ثانية ، فلا يبقى ملك مقرب ، ولا نبى مرسل إلا جثا لركبتيه ، ثم تزفر الثالثة ، فتبلغ القلوب الحناجر ، وتذهل العقول ، فيفزع كل امرىء إلى عمله ، حتى إن إبراهيم الخليل يقول : بخلتى لا أسألك إلا نفسى ، ويقول موسى : بمناجاتى لا أسألك إلا نفسى ، ويقول عيسى : بما أكرمتنى لا أسألك إلا نفسى ، لا أسألك مريم التى ولدتنى . ومحمد ﷺ يقول : أمتى أمتى لا أسألك اليوم نفسى ، إنما أسألك أمتى ، قال : فيجيبه الجليل جل جلاله : إن أوليائى من أمتك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؛ فوعزتى وجلالى لأقرن عينك فى أمتك ، ثم تقف الملائكة بين يدى الله تعالى ينتظرون ما يؤمرون به ، فيقول لهم الله تعالى وتقدس : معاشر الزبانية انطلقوا بالمصرين من أهل الكبائر من أمة ﷺ إلى النار ، فقد اشتد غضبى عليهم ، بتهاونهم بأمرى فى دار الدنيا ، واستخفافهم بحقى وانتهاكهم حرمى ، يستخفون من الناس ويبارزوننى ، مع كرامتى لهم ، وتفضيلى اياهم على الامم ، ولم يعرفوا فضلى وعظيم نعمتى فعندها تأخذ الزبانية بلحى الرجال وذوائب النساء ، فينطلق بهم إلى النار ، وما من عبد يساق إلى النار غير هذه الأمة إلا مسوداً وجهه ، قد وضعت الأنكال فى رجليه والأغلال فى عنقه ، إلا من كان من هذه الأمة فإنهم يساقون بألوانهم ، فإذا وردوا على مالك قال لهم : معاشر الأشقياء من أى أمة أنتم ؟ فما ورد على أحسن وجوها منكم ، فيقولون : يا مالك نحن من

أمة القرآن ، فيقول لهم : يا معاشر الأشقياء أو ليس القرآن أنزل على محمد ﷺ ؟ قال : فيرفعون أصواتهم بالنحيب والبكاء ، فيقولون : : وامحمداه ! وامحمداه ! اشفع لمن أُمر به إلى النار من أمتك .

قال فيُنادَى مالك بتهدد وانتهار ، يا مالك من أمرك بمعاتبة أهل الشقاء ، ومحادثتهم والتوقف عن إدخالهم العذاب ؟ يا مالك لا تسود وجوههم فقد كانوا يسجدون لى فى دار الدنيا .

يا مالك لا تغلهم بالأغلال ، فقد كانوا يغتسلون من الجنابة ، يا مالك لا تلبسهم القطران ، فقد خلعوا ثيابهم للاحرام ، يا مالك لاتعذبهم بالأنكال فقد طافوا ببيتى الحرام ، يا مالك مر النار لا تحرق ألسنتهم ، فقد كانوا يقرأون القرآن ، يامالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم . فالنار أعرف بهم وبمقادير استحقاقهم من الوالدة بولدها ، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه النار إلى سرته ومنهم من تأخذه إلى صدره ومنهم دون ذلك .

فاذا انتقم الله عز وجل منهم ، على قدر كبائرهم وعتوهم وإصرارهم فتح بينهم وبين المشركين بابا ، فرأوهم فى الطبق الأعلى من النار لايذوقون فيها برداً ولا شراباً ، يبكون ويقولون : يامحمداه ارحم من أمتك الأشقياء ، واشفع لهم فقد أكلت النار لحومهم ودماءهم وعظامهم .

ثم ينادون : ياربباه واسيداه ارحم من لم يشرك بك فى دار الدنيا ، وإن كان قد أساء وأخطأ وتعدى ، فعندها يقول المشركون ما أغنى عنكم إيمانكم بالله وبمحمد شيئا ، فيغضب الله تعالى لذلك ، فعندها يقول : يا جبريل انطلق فاخرج مَن فى النار من أمة محمد ، فيخرجهم ضبائر ، قد امتحشوا ، فيلقيهم على نهر على باب الجنة ، يقال له نهر الحيوان فيمكثون حتى يعودوا أنضر

ما كانوا ، ثم يأمر بإدخالهم الجنة ، مكتوب على جباههم هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن من أمة محمد ﷺ ، فيعرفون من بين أهل الجنة بذلك ، فيتضرعون إلى الله أن يمحو عنهم تلك السمة ، فيمحوها الله تعالى عنهم ، فلا يعرفون بها بعد ذلك أبداً (١) .

وذكر أبو نعيم الحافظ عن أبى عمران الجونى قال : بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من يخافُ الناس من شره فى الدنيا فيوثقون بالحديد ، ثم أمر بهم إلى النار ، ثم أوصدها عليهم ، أى أطبقها ، فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرارها أبداً ، ولا والله ما ينظرون إلى أديم السماء أبداً ولا والله لا يلتقى جفونهم على غمض نوم أبداً ، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً ، فقال : ثم يقال لأهل الجنة : يا أهل الجنة افتحوا اليوم الأبواب فلا تخافوا شيطانا ولا جباراً ، وكلوا اليوم واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية ، قال أبو عمران : هى والله يا إخوتاه أيامكم هذه (٢) .

* * *

(باب)

(تفاوت أهل النار فى العذاب)

عن أبى سعيد قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا ، رَجُلٌ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ ، مَعَ أَجْزَاءِ الْعَذَابِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ فِي النَّارِ إِلَى صَدْرِهِ ، مَعَ أَجْزَاءِ الْعَذَابِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ فِي

---

(١) التذكرة (٤٣٠ — ٤٣١)

(٢) التذكرة (٤٣١)

النَّارِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ مَعَ أَجْزاءِ الْعَذَابِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدِ انْغَمَسَ فِيهَا » رواه البزار ورجاله رجال الصحيح (١) .

وعن جابر قال : سئل رسول الله ﷺ وقيل له : هل نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ ؟ قال : « أَخْرَجْتُهُ مِنَ النَّارِ إِلَى ضَحْضَاحٍ مِنْهَا » رواه البزار وفيه من لم أعرفه (٢) .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً الَّذِي لَهُ نَعْلاَنِ مِنْ نَارٍ ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ » رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح ، غير يزيد بن خالد بن موهب ، وهو ثقة (٣) .

وعن عمران بن حصين ، قال : قال رسول ﷺ : « من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به في الآخرة » رواه البزار وفيه إسحاق بن إدريس ، وهو متروك (٤) ، وعن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : « والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقابا ، قال : والحقب بضع وثمانون سنة ، كل سنة ثلثمائة وستون يوماً مما تعدون » رواه البزار وفيه سليمان بن مسلم الخشاب وهو ضعيف جداً ، كذا في مجمع الزوائد (٥) .

• • •

{ باب }

(في الاستهزاء بأهل النار وبيان قوله تعالى)

« فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » (المطففين ٣٤ – ٣٦) .

(١ ، ٢ ، ٣) مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٥) (٤) الجامع الأزهر (٣/ ٢٨ ب) .
(٥) مجمع الزوائد (١٠/ ٣١٥) .

عن أبى صالح فى قوله تعالى: «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» (البقرة: ١٥) قال: يقال لأهل النار وهم فى النار: اخرجوا، فتفتح لهم أبواب النار، فإذا رأوها قد فتحت أبوابها أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إلى أبوابها أغلقت دونهم فذلك قوله عز وجل «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» ويضحك منهم المؤمنون حين غلقت دونهم، فذلك قوله تعالى (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا) إلخ ذكره ابن المبارك [١].

وعن قتادة فى قوله تعالى المذكور، قال: ذكر لنا أن كعبا كان يقول: إن بين الجنة والنار كُوى [٢]، فاذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو له، كان فى الدنيا اطلع من بعض الكوى، قال تعالى فى آية أخرى: «فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ» (الصافات ٥٥) قال: ذكر لنا أنه يطلع فيرى جماجم القوم تغلى» رواه ابن المبارك [٣] قال: وأخبرنا معمر عن قتادة قال: قال بعض العلماء: لولا أن الله عز وجل عرفه أياه ما عرفه، لقد تغير حبره وسبره فعند ذلك يقول «تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ» (الصافات ٥٦ ـ ٥٧) فى النار [٤].

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن المستهزئين بعباد الله فى الدنيا تفتح لهم أبواب الجنة يوم القيامة، فيقال لهم ادخلوا الجنة، فاذا جاءوا أغلق الباب دونهم، ويفتح الثانية فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فإذا جاءوا أغلق الباب دونهم وتفتح لهم الثالثة، فيُدْعَون

---

(١) التذكرة (٤٣٢).

(٢) جمع كوة بضم الكاف وهى الشباك بلغة العصر.

(٣) التذكرة (٤٣٣).

(٤) التذكرة (٤٣٤) والحبر والسبر: اللون والهيئة.

فلا يجيبون ، قال : فيقول لهم الرب : أنتم المستهزئون بعبادى ؟ أنتم آخر الناس حسابا فيقومون حتى يغرقوا فى عرقهم فينادون يا ربنا إما صرفتنا إلى جهنم وإما إلى رضوانك» أخرجه أبو هدبة وأورده القرطبي فى التذكرة[1] .

﴿ باب ﴾

(ما جاء فى استنشاق رائحة الجنة والصرف منها إلى النار)

قال رسول الله ﷺ: «يؤمر يوم القيامة بأناس إلى الجنة ، حتى إذا دنوا منها ، واستنشقوا رائحتها ، ونظروا إلى قصورها ، وإلى ما أعد الله لأهلها فيها ، نودوا أن اصرفوهم عنها ، لا نصيب لهم فيها ، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها ، فيقولون : يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك ، وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا .
قال : ذلك أردت بكم ، كنتم إذا خلوتم بى بارزتمونى بالعظائم ، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين ، تراءون الناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم ، هبتم الناس ولم تهابونى ، وأجللتم الناس ولم تجلونى ، وتركتم للناس ولم تتركوا لى ، فاليوم أذيقكم العذاب الأليم ، مع ما حرمتكم من الثواب » ذكره أبو حامد الغزالى وأورده القرطبي[2] ولينظر فى سنده[3] .

﴿ باب ﴾

(ما جاء فى ميراث أهل الجنة منازل أهل النار)

جاء فى الخبر عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : إِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَسْكَناً فِى الْجَنَّةِ ، وَمَسْكَناً فِى النَّارِ ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَيَأْخُذُونَ

---

(١) التذكرة (٤٣٤) وهو حديث باطل. (٢) التذكرة (٤٣٤ — ٤٣٥)

(٣) وهو حديث باطل ، لأن فى اسناده ابراهيم بن هدبه : قال العراقى : هالك (٥١٨/٤) احياء علوم الدين .

مَنَازِلَهُمْ وَيَرِثُونَ مَنَازِلَ الْكُفَّارِ، وَتُجْعَلُ الْكُفَّارُ فِي مَنَازِلِهِمْ مِنَ النَّارِ » خرجه ابن ماجه[١] بمعناه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ) وإسناده صحيح . قال القرطبي : وهذا بين في أن لكل إنسان منزلا في النار ومنزلا في الجنة .

* * *

(باب)

(ما جاء في خلود أهل الدارين وذبح الموت على الصراط ومن يذبحه)

عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ : إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ جِيءَ بِالْمَوْتِ ، حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْبَحُ ؛ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ » أخرجه البخاري[٢]

وعن أبي سعيد الخدري قال : رسول الله ﷺ : « يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ[٣] ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ

---

(١) ابن ماجه برقم (٤٣٤١) قال البوصيري : إسناده صحيح على شرط الشيخين ـــ التذكرة (٤٣٥)

(٢) البخاري (١٤٢/٨)

(٣) الذي يكون فيه بياض وسواد والبياض أكثر .

هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ ، وَيَقُولُونَ : نَعَمْ هَـذَا الْمَوْتُ . قَالَ وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ ، وَيَقُولُونَ : نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ ، قَالَ : فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ ، قَالَ : ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ! خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَـلَا مَوْتَ . ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ، إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ » وَأَشَارَ بِيَـــدِهِ إِلَى الدُّنْيَا » أخرجه مسلم[1] وخرجـه أبو عيسى الترمذى عن أبى سعيد يرفعه قال: « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أُتِيَ بِالْمَوْتِ كَالْـكَبْشِ الْأَمْلَحِ ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُذْبَحُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ، فَلَوْ أَنَّ أَحَـدًا مَاتَ فَرَحًا لَمَاتَ أَهْلُ الْجَنَّةِ .وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا مَاتَ حُزْنًا لَمَاتَ أَهْلُ النَّارِ » وقال: هذا حديث حسن صحيح[2] .

وذكر ابن ماجه[3] فى حديث فيه طول عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ عَلَى الصِّرَاطِ. فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ وَجِلِينَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْـلَ النَّارِ ، فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ فَرِحِينَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ، فَيُقَالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ . هَذَا الْمَوْتُ ، قَالَ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ عَلَى الصِّرَاطِ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْفَرِيقَيْنِ كِلَاهُمَا خُلُودٌ فِيمَا تَجِدُونَ لَا مَوْتَ فِيهَا أَبَدًا » وخرجه الترمذى بمعناه مطولا عن أبى هريرة أيضا وفيه فَإِذَا أَدْخَلَ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ ، أُتِيَ بِالْمَوْتِ مُلَبَّبًا فَيُوقَفُ عَلَى السُّورِ الَّذِي بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ . ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ ، ثُمَّ

(١) مسلم (٢١٨٨/٤)

(٢) الترمذى (٦٩٣/٤)

(٣) برقم ٤٣٢٧ ؛ وإسناده صحيح رجاله ثقات أفاده البوصيرى .

يُقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ يَرْجُونَ الشَّفَاعَةَ ، فَيُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ : قَدْ عَرَفْنَاهُ هُوَ الْمَوْتُ الَّذِي وُكِّلَ بِنَا فَيُضْجَعُ فَيُذْبَحُ ذَبْحًا عَلَى السُّورِ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ » قال : هذا حديث حسن صحيح[1] .

وعن أنس قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) : « يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، ثُمَّ يُنَادِ مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا ، قَالَ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ رَبَّنَا هَذَا الْمَوْتُ ، فَيُذْبَحُ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ فَيَأْمَنُ هَؤُلَاءِ وَيَنْقَطِعُ رَجَاءُ هَؤُلَاءِ » رواه أبو يعلى ، والطبرانى فى الأوسط بنحوه ، والبزار ورجالهم رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاحى وهو ثقة[2] والطاحى نسبة إلى الطاحية ، بطن من الأزد ، ومحلة لهم بالبصرة .

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ بعثه إلى اليمن فلما قدم عليهم قال : « يا أيها الناس إنى رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكم ، يخبركم أن المرد إلى الله وإلى جنة أو نار ، خلود بلا موت وإقامة بلا ظعن » رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط بنحوه وزاد فيه : فى أجساد لا تموت ، وإسناد الكبير جيد إلا أن ابن سابط لم يدرك معاذا ، قلت[3] : الذى سقط بينهما عمر بن ميمون الأودى ، كما رواه الحاكم فى المستدرك فى أواخر كتاب الإيمان ، وفى طريقه

---

(١) الترمذى (٤/ ٦٨ — ٦٩٢) ملبباً : لببه تلبيبا جمع ثيابه عند نحره فى الخصومة ثم جره ، نقله فى التحفة عن القاموس (٢٧٧/٧) .

(٢) مجمع الزوائد (٢٩٥/١٠ — ٢٩٦) .

(٣) القائل الهيثمى (٢٩٦/١٠) .

مسلم بن خالد الزنجى وقال عقبه : هذا حديث صحيح الإسناد رواية مكنون عن مسلم بن خالد الزنجى إمام أهل مكة ومفتيهم إلا أن الشيخين قد نسباه إلى أن الحديث ليس من صنعته والله سبحانه وتعالى أعلم .

وعن عبد الله -يعنى ابن مسعود- قال: قال رسول الله ﷺ: « لو قيل لأهل النار: إنكم ما كثون فى النار عدد كل حصاة فى الدنيا لفرحوا بها ، ولو قيل لأهل الجنة : إنكم ما كثون عدد كل حصاة لحزنوا ولكن جعل لهم الأبد » رواه الطبرانى[1] وفيه الحكم بن ظهير وهو مجمع على ضعفه .

وعن عبد الله بن عمرو قال : « أهل النار يدعون مالكا ، ولا يجيبهم أربعين عاما ، ثم يقول إنكم ما كثون ثم يدعون ربهم فيقولون : ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ، فلا يجيبهم مثل الدنيا ثم يقول اخسئوا فيها ولا تكلمون ، ثم ييأس القوم فما هو إلا الزفير والشهيق، تشبه أصواتهم أصوات الحمير ، أولها شهيق وآخرها زفير » رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح ، كذا فى مجمع الزوائد[2] .

قال القرطبى[3] : هذه الأحاديث مع صحتها نص فى خلود أهل النار فيها ، لا إلى غاية ولا أمد ، مقيمين على الدوام والسرمد ، من غير موت ولا حياة ، ولا راحة ولا نجاة ، بل كما قال فى كتابه الكريم ، وأوضح فيه من عذاب الكافرين : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ، لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ ، فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ، وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا — إلى قوله — مِنْ نَصِيرٍ » (فاطر ٣٧) وقال : « كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا » (النساء ٥٦) .

---

(١) ، (٢) مجمع الزوائد (١٠/٣٠٦)

(٣) التذكرة (٤٣٦ — ٤٣٨)

وقال: (فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ، وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا) الخ ، وقد تقدمت هذه المعانى كلها فمن قال: إنهم يخرجون منها وإن النار تبقى خالية بجملتها خاوية على عروشها وإنها تفنى وتزول ، فهو خارج عن مقتضى المعقول ، ومخالف لما جاء به الرسول ﷺ ، وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول « وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً » (النساء : ١١٥) وإنما تخلى جهنم وهي الطبقة العليا التي فيها العصاة من أهل التوحيد ، وهي التي ينبت على شفيرها فيما يقال الجرجير[١] .

قال فضـــل بن صالح المعافرى : كنا عند مالك بن أنس ذات يوم فقال لنا : انصرفوا فلما كان العشية رجعنا إليه فقال : إنما قلت لكم انصرفوا لأنه جاءنى رجل يستأذن على زعم أنه قدم من الشام فى مسئلة ، فقال: يا أباعبدالله ما تقول فى أكل الجرجير ؟ ؛ فانه يتحدث عنه أنه ينبت على شفير جهنم ؟ فقلت له : إنه لا بأس به ، فقال : استودعك الله وأقرأ عليك السلام » ذكره الخطيب أبو بكر أحمد .

وذكر أبو بكر البزار ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « يأتى على النار زمان تخفق الرياح أبوابها ، ليس فيها أحد ، يعنى من الموحدين » هكذا رواه موقوفاً من قول عبد الله بن عمرو وليس فيه ذكر النبى صلى الله عليه وسلم » ومثله لا يقال من جهة الرأى ، فهو مرفوع والله أعلم .

قال القرطبى : قد تقدم أن الموت معنى ؛ والكلام فى ذلك وفى الأعمال

---

(١) واضح أن هذا القول لا دليل عليه .

وأنها لا تنقلب جوهراً ، بل يخلق الله أشخاصاً من ثوب الأعمال وكذلك الموت يخلق الله كبشاً يسميه الموت ؟و يلقى فى قلوب الفريقين أن هذا هوالموت ويكون ذبحه دليلا على الخلود فى الدارين .

قال الترمذى : والمذهب فى هذه عند أهل العلم من الأئمة رضى الله عنهم مثل سفيان الثورى ، ومالك بن أنس ، وابن المبارك ، وابن عيينة ، ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء ، وقالوا : ونروى هذه الأحاديث ولا يقال كيف ؟ وهذا الذى اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم ، ولا يقال كيف ، وهذا أمر أهل العلم الذى اختاروه وذهبوا إليه .

قال القرطبى : وإنما يؤتى بالموت كالكبش والله أعلم لما جاء أن ملك الموت أتى آدم عليه السلام فى صورة كبش أملح قد نشر من أجنحته أربعة آلاف جناح،وفى التفسير من صورة الملك عن ابن عباس ومقاتل والكلبى فى قوله تعالى (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ) أن الموت والحياة جسمان ، فجعل الموت فى هيئة كبش لا يمر بشىء ولا يجد ريحه إلا مات ، وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء ، وهى التى كان جبريل والأنبياء عليهم السلام يركبونها ، خطوها مد البصر ، فوق الحمار ودون البغل ، ولا تمر بشىء أو يجد ريحها إلا حيى ، ولا تطأ على شىء إلا حيى ، وهى التى أخذ السامرى من أثرها فألقاها على العجل فحيى.حكاه الثعلبى والقشيرى ، عن ابن عباس ، والماوردى عن مقاتل والكلبى .

* * *

✿ باب ✿

(فيمن يستحق النار)

عن أبي هريرة قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ »(١) كذا في صحاح المصابيح . قال في مجالس الأبرار : المراد بها أمة الدعوة ؛ فعلى هذا يدخل فيه جميع أهل الملل الباطلة ، وتخصيص اليهود والنصارى بالذكر لأنهما مع كونهما أهلي كتاب وصاحبي شريعة إذا كانا من أهل النار بترك الإيمان بما جاء به النبي ﷺ فغيرهما ممن لم يكن له كتاب ولا شريعة أولى بذلك . فكأنه ﷺ قال أقسم بالله الذي نفسي بقدرته أن كل من يسمع بنبوتي ولا يؤمن بما جئت به من عند الله تعالى حتى يموت يكون من أهل النار . انتهى .

وعن معاوية رضي الله عنه قال : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : « أَلَا إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ » أخرجه أبو داود في كتاب السنة له ، وهذا الحديث ، رواه أبو داود من طريقين (أحدهما) من طريق أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى الذهلي (والثاني) من طريق عمرو بن عثمان عن بقية عن صفوان ، تفرد به صفوان عن أزهر .

قال الشوكاني في فتاواه : أما أحمد بن حنبل فهو الإمام الجليل الحافظ

---

(١) رواه مسلم (١/١٣٤) .

الذى اتفق المؤالف والمخالف على توثيقه وروى عنه أهل الصحيحين وغيرهما وهو أجل قدرا من أن يحتاج إلى تعديل ، وأرفع محلا من أن يتكلم فيه متكلم ، بل هو إمام الجرح والتعديل وإمام الحفظ والإتقان .

وأما محمد بن يحيى فهو الإمام الجليل الثقة الثبت الحافظ ، وأما عمر بن عثمان فهو القرشى مولاهم الحمصى الثقة المشهور ، وفى (التقريب)[١] صدوق وأما بقية فهو أحد الأعلام ، قال النسائى : إذا قال حدثنا وأخبرنا فهو ثقة ، وقال ابن عدى : إذا حدث عن أهل الشام فهو ثبت ، وقال الجوزجانى : إذا حدث عن الثقات فلا بأس به ، وهو ها هنا قد صرح بالتحديث وحدث عن شامى وهو صفوان ، وروى عن ثقة وهو أيضاً صفوان ، فحصل الشرط الذى ذكره هؤلاء الأئمة الثلاثة ، وقد أخرج له مسلم ، وأما صفوان : فقال أبو حاتم : ثقة وقد أخرج له مسلم أيضاً ، وأما أزهر فقال فى التقريب[٢] : صدوق تكلموا فيه للنصب وقال فى الخلاصة : صدوق .

وإذا عرفت هذا ، فرجال إسناد الحديث كلهم ثقات أئمة ، إلا بقية وأزهر ، وبقية لم ينفرد ، وأزهر تفرد وهو ضعيف ، لأن قولهم صدوق من صيغ التليين فيكون هذا الحديث فى الطريق الثانية ضعيفاً . انتهى كلام الشوكانى .

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً » الحديث أخرجه أبو داود والترمذى[٣] وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وفى رواية عن أبى داود « وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ أَوِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً » الحديث وأخرجه الترمذى عن ابن

---

(١) تقريب التهذيب (٦٠/٢) .

(٢) التقريب (٥٢/١) وسماه ازهر بن عبد الله بن جميع الحرازى .

(٣) الترمذى (٢٥/٥) وأبو داود (٥٠٣/٢) .

عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً ، قَالُوا : مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي » أخرجه الترمذى وقال غريب [١] .

وأخرج ابن ماجه [٢] مثل ذلك عن عوف بن مالك وأنس .

والحديث دليل على أن اليهود والنصارى وفئة كثيرة من هذه الأمة على اختلاف فرقهم ومللهم،فى النار إلا أصحاب الحديث وأتباع الأصحاب .

والحديث استشكل من جهتين: (الأولى) ما فيه من الحكم على الأكثر بالهلاك ، والكون فى النار ، وذلك ينافى الأحاديث الواردة فى الأمة ، بأنها مرحومة ، وبأنها أكثر الأمم فى الجنة ، منها : حديث عنه ﷺ « أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ مَغْفُورٌ لَهَا مُتَابٌ عَلَيْهَا [٣] » وغيره مما ملئت به كتب السنة من الأحاديث الدالة على سعة رحمة الله ، ولو سردناها لطال الكلام .

ولما كان حديث الافتراق مشكلا كما ترى ، أجاب بعضهم بأن المراد بالأمة فى هذا الحديث ، أمة الدعوة لا أمة الإجابة ، يعنى الأمة التى دعاها رسول الله ﷺ إلى الإيمان والاقرار بوحدانيته هى المفترقة إلى تلك الفرق، وإن أمة الاجابة هى الفرقة الناجية ، يريد بها من آمن بما جاء به النبى ﷺ وحينئذ فلا إشكال .

قال السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير اليمنى (رح) : وهذا جواب حسن لولا أنه يبعد بوجوه :(الأول)أن لفظ أمتى حيث جاء فى كلامه

---

(١) فى الترمذى : حسن غريب ،قال فى التحفه: فى سنده عبد الرحمن بن زياد الافريقى وهو ضعيف ، فتحسين الترمذى له لاعتضاده بأحاديث الباب (٧/٤٠٠)

(٢) برقم٣٩٩٢،٣٩٩٣ سنن ابن ماجه وفى اسناد الأول مقال واسناد الحديث الثانى صحيح كما فى الزوائد .

(٣) أبو داود بنحوه (٢/٤٢١) .

ﷺ لا يراد به إلا أمة الإجابة غالباً ، كحديث : أمتى أمة مرحومة ليس لها عذاب فى الآخرة وحديث : إذا وضع السيف فى أمتى وحديث : ليكونن فى أمتى قوم يستحلون الحرير [١] وغير ذلك مما لا يحصى .

فالأمة فى كلامه ﷺ حيث أطلقت لا تحمل إلا على ما تعورف منها ، وعهد بلفظها ، ولا تحمل على خلافه وإن جاء نادراً .

(والثانى) قوله : ستفترق بالسين الدالة على أن ذلك أمر مستقبل .

(والثالث) قوله (ليأتين على أمتى) فإنه إخبار بما سيكون ويحدث ، ولو جعلناه إخباراً بافتراق المشركين فى المستقبل ، لما كان فائدة ، إذ هم على هلاك اجتمعوا أو افترقوا .

(الرابع) قرانهم بطائفتين اليهود والنصارى فإن للفترقين منهما هم طائفة الإجابة لظاهر قوله تعالى « وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ » (البينة ٤) وقوله تعالى « وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ » (البقرة ٢١٣) وقوله تعالى « وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ » (آل عمران ١٠٥) .

(الخامس) ما أخرجه الترمذى [٢] عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى غَزْوَةِ خَيْبَرَ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « سُبْحَانَ اللَّهِ » إلى أن قال: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ : « لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ » وهذا خطاب لمن خاطبه من أمة الإجابة قطعاً .

فالذى يظهر لى فى ذلك أجوبة :

(أحدها) أنه يجوز أن هذه الفرق المحكوم عليها بالهلاك قليلة العدد ،

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه وغيره . (٢) الترمذى (٤/٤٧٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح والتحفه (٦ / ٤٠٧) .

ولا يكون مجموعها أكثر من الفرقة الناجية ، فلايتم أكثرية الهلاك ولا يرد الإشكال .

فإن قيل : يمنع عن هذا أنه خلاف الظاهر من ذكر كثرة عدد فرق الهلاك فإن الظاهر أنهم أعظم قدراً ، قلت: ليس ذكر العدد فى الحديث لبيان كثرة الهالكين وإنما هو لبيان اتساع طرق الضلال وسعتها ووحدة طريق الحق ، نظير ذلك ما ذكره أئمة التفسير فى قوله تعالى: « وَلَاتَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ » (الأنعام١٥٣) أنه جمع السبل للنهى عن اتباعها لبيان تشعب طرق الضلال وكثرتها وسعتها وأفرد سبيل الهدى والحق لوحدته وعدم تعدده .

(ثانيها) أن الحكم على تلك الفرق بالهلاك والكون فى النار حكم عليها باعتبار ظاهر أعمالها وتفريطها ، كأنه قيل كلها هالكة باعتبار أعمالها محكوم عليها بالهلاك وكونها فى النار ، ولا ينافى ذلك كونها مرحومة باعتبار آخر ، من رحمة الله لها ، وشفاعة صالحها لطالحها ، والفرقة الناجية إن كانت مفتقرة إلى رحمة الله تعالى لكنها باعتبار ظاهر أعمالها يحكم لها بالنجاة لإتيانها بما أمرت به وانتهائها عما نهيت عنه .

(ثالثها) أن ذلك الحكم مشروط بعدم عقابها فى الدنيا ، وقد دل على عقابها فى الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا . أخرجه الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى موسى الأشعرى ، فيكون حديث الإفتراق مقيداً بهذا الحديث فى قوله هالكة مالم تعاقب فى الدنيا لكنها تعاقب فى الدنيا فليست بهالكة .

(رابعها) أن الإشكال فى حديث الافتراق إنما نشأ من جعل القضية الحاكمة به وبالهلاك دائمة ، بمعنى أن الافتراق فى الأمة ، وهلاك من يهلك منها، دائم مستمر من زمن تكلمه ﷺ بهذه الجملة إلى قيام الساعة ، وبذلك يتحقق أكثرية الهالكين وأقلية الناجين فيتم الإشكال، والحق أن القضية حينية يعنى أن

ثبوت الافتراق اللامة والهلاك لمن يهلك ، ثابت فى حين من الأحيان، وزمن من الأزمان ؛ ويدل على أن المراد ذلك وجوه :

الأول : « ستفترق » الدالة على الاستقبال لتحلية المضارع بالسين .

الثانى : قوله ليأتين فإنه إخبار بأمر مستقبل .

الثالث : قوله « ما أنا عليه وأصحابى » فإن أصحابه من مسمى أمته بلا خلاف ، وقد حكم عليهم بأنهم أمة واحدة وأنهم الناجون ؛ وأن من كان على ما هم عليه هم الناجون ؛ فلو جعلنا القضية دائماً حين التكلم للزم أن تكون تلك الفرق كائنة فى أصحابه ﷺ ورضى عنهم وهلم جرا ، وقد صرح الحديث نفسه بخلاف ذلك .

فإذا ظهر لك أن الحكم الإفتراق والهلاك ؛ إنما هو فى حين من الأحيان وزمن من الأزمان ، لم يلزم أكثرية الهالكين وأقلية الناجين، وهذا الجواب بحمد الله تعالى والذى قبله جيد ولا غبار عليه .

فإن قلت: يجوز أن يكون زمن الافتراق أطول من زمن خلافه فيكون أهله أكثر فيكون الهالكون أكثر من الناجين،قلت:أحاديث سعة الرحمة وأكثرية الداخلين من هذه الأمة إلى الجنة قد دلت على أن الهالكين أقل وذلك لقصر حيانهم المتفرع عليه ، فلا بد من الجمع بين ما يوهم التناقض وقد تم الجمع بهذا الوجه وما قبله فتعين المصير إليهما .

هذا ولا يبعد أن ذلك الحين والزمان هو آخر الدهر الذى وردت الأحاديث بفساده ،وفشو الباطل وخفاء الحق ،وأن القابض على دينه كالقابض على الجمر ، وأنه الزمان الذى يصبح الرجل فيه مؤمناً ويمسى كافرا ،وأنه زمان غربة الدين، فتلك الأحاديث الواردة فيه التى شحنت بها كتب السنة قرائن دالة على أنه زمان

كثرة الهالكين وزمان تفرق وتدابر ، ويحتمل أيضاً أن الافتراق كائن من القرون المشهود لها بالخيرية ، وأن فى كل قرن منها فرقاً من الهالكين وأكثرها فى آخر الزمان ، وهذا جواب مستقل عن الأشكال .

الجهة الثانية من جهتى الأشكال فى تعيين الفرقة الناجية :

قد تكلم الناس فيها ، كل فرقة تزعم أنها هى الفرقة الناجية، ثم قد يقيم بعض الفرق على دعواها برهانا أوهن من بيت العنكبوت، ومنهم من يشتغل بتعداد الفرق المخالفة لما هو عليه ، ويعمد إلى ما شذت به من الأقوال، ليبين بذلك أنها هالكة لاعتمادها على تلك الأقوال ، وأنه ناج بخلوصه عنها ، ولو فتش ما أنطوى عليه لوجد عنده من المقالات ، ما هو أشنع من مقالات من خالفه لكن عين المرء كايلة عن عيب نفسه وبالجملة :

فكلٌّ يدعى وَصْلًا لليلى ولیلى لا تُقِر لهم بذا كا

وكان الأحسن بالناظر فى الحديث أن يكتفى بالتفسير النبوى لتلك الفرقة فقد كفاه معلم الشرائع الهادى إلى كل خير المئونة وعين الفرقة الناجية بأنها من كان على ما هو عليه ﷺ وأصحابه وقد عرف بحمد الله من له أدنى همة فى الدين ما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه ونقل إلينا أقوالهم وأفعالهم حتى أكلهم وشربهم ونومهم ويقظتهم حتى كأنا رأيناهم رأى العين.

وبعد ذلك فن رزقه الله إنصافا من نفسه وجعله من أولى الألباب لا يخفاه حال نفسه أولا هل هو متبع لما كان عليه النبى ﷺ أو غير متبع ثم لا يخفى حال غيره من كل طائفة هل هى متبعة أو مبتدعة ، ومن ادعى أنه متبع للسنة النبوية متقيد بها ، تصدق دعواه أفعاله وأقواله وتكذبها فإن ما كان عليه النبى ﷺ قد ظهر لكل إنسان ؛ فلا يمكن التباس المبتدع بالمتبع .

وعندى على تقدير ذلك الجواب أن زمن الافتراق والهلاك هو آخر الزمان أنه لا بعد فى أن الفرقة الناجية هم الغرباء المشار إليهم فى الأحاديث كحديث: بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيباً وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ قِيلَ وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ (١) وفى رواية الَّذِينَ يَفِرُّونَ بِدِينِهِمْ مِنَ الْفِتَنِ وفى رواية الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي. (٢)

وفى حديث عبد الله بن عمرو قلنا: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: قَوْمٌ صَالِحُونَ قَلِيلٌ فِي أُنَاسٍ سُوءٍ كَثِيرٍ مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ (٣) » وهم المرادون بحديث « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ أَوْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ » وهم المرادون بما أخرجه الطبرانى وغيره،

عن أبى أمامة عن النبى ﷺ أنه قال: إن لكل شىء إقبالا وإدبارا وإن لهذا الدين إقبالا وإدبارا وإن من إدبار الدين ما كنتم عليه من العمى والجهالة وإن من إقبال الدين أن تفقه القبيلة بأسرها حتى لا توجد فيها إلا الفاسق والفاسقان فهما مقهوران ذليلان إن تكلما قهرا وقمعا واضطهدا وإن من إدبار الدين أن تجفو القبيلة بأسرها حتى لا يكون فيها إلا الفقيه والفقيهان وهما مقهوران ذليلان إن تكلما فأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر قمعا وقهرا واضطهدا فهما مقهوران ذليلان لا يجدان على ذلك أعوانا ولا أنصارا (٤).

فهذه الأحاديث وما فى معناها فى وصف آخر الزمان وأهله قد دلت على أنه

---

(١) عزاه الهيثمى للطبرانى فى الثلاثة من رواية ابن سعد بلفظ: « الذين يصلحون عند فساد الناس » وقال: ورجاله رجال الصحيح غير بكر بن سليم وهو ثقة (٢٧٨/٧).

(٢) عزاه ابن رجب للترمذى (٦).

(٣) عزاه الهيثمى بنحوه — إلى أحمد والطبرانى فى الأوسط، قال: وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف (٧٨/٧).

(٤) أورده الهيثمى بنحوه ثم قال: وفيه على بن يزيد وهو متروك (٢٦١/٧)

زمان كثرة الهالكين وقلة الناجين ، وأحاديث الغرباء قد دلت على أوصافهم بأنهم الفرقة الناجية فى ذلك الزمان وليسوا بفرقة مشار إليها كالأشعريين والمعتزلة بل هم النزاع من القبائل كما فى الحديث وهم متبعو الرسول ﷺ اتباعا قوليا وفعليا من أى فرقة كانت ، وقد ذكر فى الفرقة الناجية أنهم صالحو كل فرقة وذكر أنهم أهل البيت النبوى عليهم السلام ومن اتبعهم إلا أن ذلك مبنى على أن القضية دائمة ثم هو لا يدفع الأشكال .

نعم وهذا كله توفيق بين الأحاديث مبنى على صحة قوله « كلها هالكة إلا فرقة ولا شك أنه قد ثبت فى كتب السنة كما سمعته ، ولكنه قد نقل السيد العلامة محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله فى بعض رسائله ، عن أبى محمد بن حزم الأندلسى رحمه الله ما لفظه قال ابن حزم : إن الزيادة يعنى قوله : كلها هالكه إلا فرقة » موضوعة وإنما الحديث المعروف « إنما تفترق إلى نيف وسبعين فرقة » لا زيادة على هذا فى نقل الثقات .

فالحديث المشهور كان عند المحدثين معلا ، وما زاده غير صحيح وإن كان الراوى ثقة غير أن مخالفة الثقات فيما شاركوه فى الحديث يقوى الظن على أنه وهم فيما زاده أو أدرج فى الحديث كلام بعض الرواة وحسبه من كلام رسول الله فيعلون الحديث بهذا وإن لم يكن مقدوحا فيه ، على أن أصل الحديث الذى حكموا بصحته ليس مما اتفقوا على صحته ، وقد ترك إخراجه البخارى ومسلم مع شهرته لعدم اجتماع شرائطهما فيه ، انتهى كلامه حرره السيد العلامة الأمير رحمه الله فى سنة ١١٢٣ الهجرية .

وفى الفتح الربانى فى فتاوى الشوكانى بعد ذكر حديث أبى هريرة المتقدم والكلام عليه جرحاً وتعديلا ما نصه : فتقرر بهذا أن رجال حديث أبى هريرة رجال الصحيح فيكون أصل الحديث أعنى افتراق الأمة الى تلك الفرق صحيحا ثابتاً .

وأما الزيادة التى فى الحديث الأول فضعيفة فلا تقوم بها حجة

فى حكم شرعى ولو على بعض المكلفين ، فكيف فى مثل هذا الأمر العظيم الذى هو حكم بالهلاك على هذه الأمة المرحومة شرفها واختصها بخصائص لم يشاركها فيها أمة من الأمم السابقة ، وزادها شرفا وتعظيما وتجليلا بأن جعلها شهداء على الناس ، وأى خير فى أمة تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة وتهلك جميعاً فلا ينجو منها إلا فرقة واحدة ؟

ولقد أحسن بعض الحفاظ حين يقول : وأما زيادة « كلها هالكة إلا واحدة » فزيادة غير صحيحة القاعدة وأظنها من دسيس الملاحدة وكذلك أنكر ثبوتها الحافظ ابن حزم .

ولقد جاد ظن من ظن أنها من دسيس الملاحدة والزنادقة فإن فيها من التنفير عن الإسلام والتخويف من الدخول فيه مالا يقادر قدره فتحصل لواضعها ما يطلبه من الطعن على هذه الأمة المرحومة والتنفير عنها كما هو شأن كثير من المخذولين الواضعين للمطاعن المنافية للشريعة السمحة السهلة كما قال الصادق المصدوق ﷺ : « بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ السَّهْلَةِ »[1] وقال الله عز وجل: « وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » (الحج ٧٨) وقال ﷺ : « بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا ، يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا »[2] .

وها أنا أضرب لك مثلا وهو أنك لو رأيت جماعة من الناس قد اجتمعوا فى مكان من الأرض عددهم اثنان وسبعون رجلا وقال لك قائل: ادخل مع هؤلاء فإن واحداً منهم سيملك ما طلعت عليه الشمس وسيضرب أعناق الباقين أجمعين وربما تفوز أنت من بينهم بالسلامة فتعطى تلك المملكة ، فهل ترضى أن تكون واحداً منهم داخلا بينهم والحال هكذا ولا يدرى من هذا الواحد منهم يدعى لنفسه أنه الفائز بالسلامة الظافر بالغنيمة بمجرد الأمنية والدعوى العاطلة عن البرهان .

(١) قال العراقى : رواه احمد من حديث أبى امامة بسند ضعيف دون قوله « السهلة » ، نقله الزبيدى (١٨٤/٩) .
(٢) صحيح مسلم (١٣٥٨/٣) .

فان قلت : إن قوله فى هذا الحديث فى الفرقة الناجية : هى الجماعة وقوله فى حديث آخر وهى ما أنا عليه وأصحابى ، قلت هذا التعيين وإن قال شيئاً من ذلك التخويف والتنفير لكن قد تعاورت هذه الفرقة المعينة الدعاوى وتناوبتها الأمانى ، فكل طائفة من الطوائف تدعى لنفسها أنها الجماعة وأنها الظافرة بما كان عليه النبى ﷺ وأنهم الذين لا يزالون على الحق ظاهرين .

فإن قلت أن معرفة الجماعة ومعرفة المتصفين بموافقة ما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه ممكنة ومن أدعى من المبتدعة إثبات ذلك الوصف لنفسه فدعواه مردودة عليه مضروب بها فى وجهه ، قلت نعم ولكن ليس ها هنا حجة شرعية توجب علينا المصير إلى هذا التعيين وتلجئنا إلى تكلف تعيين الفرق الهالكة وتعدادها فرقة فرقة كما فعله كثير من المتكلفين للكلام على هذا الحديث .

وأما أنه هل يدل هذا الحديث على الافتراق قديماً وحديثاً أم على زمان مخصوص فالجواب عنه أن الافتراق لما كان منسوبا إلى الأمة حيث قال ﷺ تَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كما فى حديث أبى هريرة وكذلك قوله فى حديث معاوية المذكور وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، كان ذلك صادقاً على هذه الأمة بأسرها وعلى هذه الأمة أولها وآخرها من دون تخصيص ببعض منها دون بعض ولا بعصر دون عصر ، فأفاد ذلك أن هذا الافتراق المنتهى إلى ثلاث وسبعين فرقة كائن فى جميع هذه الأمة من أولها إلى آخرها ، ومن زعم اختصاص ذلك بأهل عصر من العصور أو بطائفة من الطوائف فقد خالف الظاهر بلا سبب يقتضى ذلك .

وأما أنها قد ثبتت نجاة الصحابة ، فهل يدل على أنهم لم يختلفوا فى

الأصول أصلا: فالجواب عنه أنه لا ملازمة بين نجاة جميع الصحابة وبين عدم اختلافهم فى الأصول بل يجوز الحكم بنجاتهم جميعاً مع الحكم باختلافهم فى الأصول.

وبيان ذلك أن الأحكام الشرعية عندى متساوية الأقدام منتسبة إلى الشرع نسبة واحدة وكون بعضها راجعاً إلى العمل لا يستلزم تفاوتها على وجه يكون الاختلاف فى بعضها موجباً لعدم نجاة بعض المختلفين وفى بعضها لا يوجب ذلك فاعرف هذا وأفهمه.

واعلم أن ما صح عنه ﷺ من أن المصيب فى اجتهاده له أجران والمخطىء له أجر لا يختص بمسائل العمل ولا يخرج عنه مسائل الاعتقاد فما يقوله كثير من الناس من الفرق بين المسائل الأصولية والفروعية وتصويب المجتهدين فى الفروع دون الأصول ليس على ما ينبغى بل الشريعة واحدة وأحكامها متحدة وإن تفاوتت باعتبار قطعية بعضها وظنية الآخر.

فالحق عند الله عز وجل متعين يستحق موافقة أجرين، ويقال له مصيب من الصواب دون الإصابة ويقال لمخالفه إنه مخطىء كما قال النبى ﷺ فيما ثبت عنه فى الصحيحين[1] وغيرهما من حديث عمرو بن العاص: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ» وفى بعض الروايات الخارجة عن الصحيح من غير حديثه أنه إن أصاب فله عشرة أجور وهذه زيادة خارجة من مخرج حسن كما هو معروف.

فالنبى ﷺ قد سمى من خالف الحق مخطئاً، فمن قال إنه

---

(١) مسلم (١٣٤٢٣)

مصيب فى الظنيات الفروعيات إن أراد أنه مصيب من الإصابة فقد أخطأ وخالف النص وإن أراد أنه مصيب من الصواب الذى يصح إطلاقه باعتبار استحقاق الأجر لا باعتبار إصابة الحق فلذلك وجهه، فاعرف هذا وافهمه حتى يتبين لك اختلاف الناس فى أن كل مجتهد مصيب أم لا.

واعلم أنه لا فرق عند التحقيق بين ما تسميه النـــــاس فروعاً وبين ما يسمونه أصولا، هذا إن كان مطلوب السائل ما هو عند المجيب، وإن كان مطلوبه ما قاله الناس فكلامهم معروف فى مؤلفاتهم. انتهى كلام الشوكانى رحمه الله.

* * *

﴿ باب ﴾

(فى سوء الخاتمة وبيان الخوف والرجاء)

قال فى مجالس الأبرار : وله أسباب يجب على المؤمن أن يحترز عنهـا : منها : الفساد فى الاعتقاد وإن كان مع كمال الزهد والصلاح ، فإن كان له فساد فى اعتقاده مع كونه قاطعاً به ، متيقناً له ، غير ظان أنه أخطأ فيــه ، قد ينـكشف له فى حال سكرات الموت ، بطلان ما اعتقده من الاعتقادات الحقة مثلى هذا الاعتقاد باطل ، لا أصل له ، إن لم يـكن عنــده فرق اعتقاد واعتقاد، فيـكون انـكشاف بطلان بعض اعتقاداته، سبباً لزوال بقية اعتقاداته ، فإن خروج روحه فى هذه الحالة قبل أن يتدارك ويعود إلى أصـل الإيمان يختم له بالسوء ويخرج من الدنيا بغير إيمان ، فيـكون من الذين قال الله تعالى فيهم « وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ » (الزمر ٤٧) وقال فى آية أخرى « قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا » (الـكهف : ١٠٣ — ١٠٤).

فإن كل من اعتقد شيئاً على خلاف ما هو عليه إما نظراً برأيه وعقله أو أخذاً ممن هذا حاله فهو واقع فى هذا الخطار ، ولا يدفعه الزهد والصلاح ، وإنما يدفعه الاعتقاد الصحيح المطابق لـكتاب الله وسنة رسوله ، لأن العقائد الدينية لا يعتد بها إلا ما أخذت منهما .

ومنها الإصرار على المعاصى ، فإن من له إصرار عليها يحصل فى قلبه إلفها ، وجميع ما ألفه الإنسان فى عمره يعود ذكره عنــد موته ، فإن كان ميله إلى الطاعات أكثر ، يكون أكثر ما يحضره عند الموت ذكر الطاعات ، وإن كان ميله إلى المعاصى أكثر يكون أكثر ما يحضره عند الموت ذكر المعاصى ، فربما يغلب

عليه حين نزول الموت به قبل التوبة شهوة ومعصية من المعاصى فيتقيد قلبه بها وتصير حجاباً بينه وبين ربه، وسبباً لشقاوته فى آخر حياته لقوله ﷺ المعاصى بريد الكفر (١).

والذى لم يرتكب ذنباً أصلاً أو ارتكب وتاب فهو بعيد عن هذا الخطر، وأما الذى ارتكب ذنوباً كثيرة حتى كانت أكثر من طاعاته ولم يتب عنها، بل كان مصراً عليها. فهذا الخطر فى حقه عظيم جداً إذ قد يكون غلبة الإلف بها سبباً لأن يتمثل فى قلبه صورتها، ويقع منه ميل إليها وتقبض روحه عليها فيكون سبباً لسوء خاتمته.

ويعرف ذلك بمثال، وهو أن الإنسان لا شك أنه يرى فى منامه من الأحوال التى ألفها طول عمره، حتى إن الذى قضى عمره فى العلم يرى من الأحوال المتعلقة بالعلم والعلماء والذى قضى عمره فى الخياطة يرى من الأحوال المتعلقة بالخياطة والخياط، إذ لا يحضر فى حال النوم إلا ما حصل له مناسبة مع قلبه لطول الإلف. والموت وإن كان فوق النوم لكن سكراته وما يتقدمه من الغشى قريب من النوم، فطول الألف بالمعاصى يقتضى تذكرها عند الموت وعودها فى القلب وتمثلها فيه وميل النفس إليها، وإن قبض روحه فى تلك الحالة يختم له بالسوء

ومنها العدول على الاستقامة، فإن من كان مستقيما فى ابتدائه ثم تغير عن حاله وخرج عما كان عليه فى إبتدائه يكون سبباً لسوء خاتمته، كإبليس الذى كان فى ابتدائه رئيس الملائكة ومعلمهم وأشدهم اجتهاداً فى العبادة، ثم لما أمر بالسجود لآدم أبى واستكبر وكان من الكافرين، وكبلعام بن باعور (٢) الذى آتاه الله آياته فانسلخ بخلوده إلى الدنيا واتبع هواه وكان من الغاوين، وكبرصيصا العابد

---

(١) يعنى تجر إليه، قال ابن حجر الهيتمي: أخذه من قول السلف (٢٩٦/١ كشف الخفاء.

(٢) رئاسه ابليس الملائكة كلام لا أصل له.

الذى قال له الشيطان : اكفر فلما كفر قال: إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين فإن الشيطان أغراه على الكفر فلما كفر تبرأ منه مخافة أن يشاركه فى العذاب ولم ينفعه ذلك ، كما قال تعالى : «فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ » (الحشر ١٧) .

ومنها ضعف الإيمان: فإن كان فى إيمانه ضعف يُضْعِفُ حُبَّ الله تعالى فيه ويقوى حب الدنيا فى قلبه ويستولى عليه بحيث لا يبقى فيه موضع لحب الله تعالى إلا من حيث حديث النفس بحيث لا يظهر له أثره فى مخالفة النفس ، ولا يؤثر فى الكف عن المعاصى ولا فى الحث على الطاعات، فينهمك فى الشهوات وارتكاب السيئات ، فتتراكم ظلمات الذنوب على القلب فلا تزال تطفئ ما فيه من نور الإيمان مع ضعفه، فإذا جاءت سكرات الموت يزداد حب الله ضعفاً فى قلبه لما يرى أنه يفارق الدنيا وهى محبوبة له وحبها غالب عليه لا يريد تركها ويتألم من فراقها، ويرى ذلك من الله تعالى فيخشى أن يحصل فى باطنه بغضه تعالى بدل الحب وينقلب ذلك الحب الضعيف بغضاً ، فإن خرج روحه فى اللحظة التى خطرت فيها هذه الخطرة يختم له بالسوء ويهلك هلاكاً مؤبداً .

والسبب المفضى إلى هذه الخاتمة حب الدنيا والركون إليها والفرح بها مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى ،وهو الداء العضال الذى قد عمّ أكثر الخلق فإن من يغلب على قلبه عند الموت أمر من أمور الدنيا يتمثل ذلك الأمر فى قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى لغيره متسع ، فإن خرج روحه فى تلك الحالة يكون رأس قلبه منكوساً إلى الدنيا ووجهه مصروفاً اليها ، ويحصل بينه وبين ربه حجاب .

حُكى أن سليمان بن عبدالملك لما دخل المدينة حاجًّا قال: هل بها رجل أدرك عدة من الصحابة ؟ قالوا : نعم، أبو حازم، فأرسل إليه ، فلما أتاه قال: يا أبا حازم

مالنا نكره الموت؟ قال: إنكم عمرتم الدنيا، وخربتم الآخرة، فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب، قال: صدقت، ثم قال: ليت شعري ما لنا عند الله تعالى؟ قال: أعرض عملك على كتاب الله، قال: فأين أجده؟ قال: في قوله تعالى: «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ» (الانفطار ١٣ — ١٤) قال: فأين رحمة الله؟ قال: (رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ).

قال: ليت شعري كيف العرض على الله تعالى غداً؟ قال: أما المحسن فكالغائب الذي يقدم على أهله، وأما المسيء: فكالآبق يقدم على مولاه، فبكى سليمان حتى علا صوته واشتد بكاؤه ثم قال أوصني: ، قال: إياك أن يراك الله تعالى حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك» انتهى.

قال الغزالي في الأحياء[1]: إن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف، لأن أقرب العباد إلى الله أحبهم له، والحب يغلب بالرجاء، قال: وإن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين.

ثم ذكر دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء ويغلب ثم ذكراً لآيات والأخبار والآثار الدالة على ذلك، ثم اتبعه بيان حقيقة الخوف وبيان دواء الخوف، وبيان معنى سوء الخاتمة، وبيان أحوال الخائفين من الأنبياء والصالحين، وبيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف، وبيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما، وبيان الدواء الذي يُستَجلَبُ به حالُ الخوفِ والإيمانُ بالله تعالى واليوم الآخر يهيجُ الخوفَ من النار والرجاءُ للجنة، والخوف يتقويان على الصبر، إن الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها الا بقوة الرجاء، والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف. ولذلك قال علي عليه

---

(١) إحياء علوم الدين (١٤١/٢).

السلام : «من أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات» .

قال النووي في رياض الصالحين[١] : إن المختار للعبد في حال الصحة أن يكون خائفاً راجياً ، ويكون خوفه ورجاؤه سواء ، وفي حال المرض يتمحض الرجاء، وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك متظاهرة على ذلك ، قال تعالى « فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ » (الأعراف ٩٩) وقال تعالى « إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ » (يوسف ٨٧) وقال تعالى « يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ » (آل عمران ١٠٦) .

وقال تعالى « إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » (الأعراف ١٦٧) والآيات في هذا المعنى كثيرة ، فيجتمع الخوف والرجاء في آيتين مقترنتين أو آيات أو آية ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ » رواه مسلم[٢] .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ » رواه البخاري[٣] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ » رواه الترمذي[٤] وحسنه وصححه .

وعنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ

---

(١) رياض الصالحين (١٧٥) .

(٢) مسلم (٤/٢١٠٩)

(٣) البخاري (٨/١٢٧)

(٤) الترمذي بشرح التحفة (٦/٦٠٠) وعبارته : هذا حديث صحيح .

إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » متفق عليه[1].

وعن أبى أمامة صُدَىّ بن عجلان الباهلى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةِ دُمُوعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَقَطْرَةِ دَمٍ تُهَرَاقُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَمَّا الْأَثَرَانِ فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ تَعَالَى » رواه الترمذى[2] وقال حديث حسن وفى الباب أحاديث كثيرة اهـ.

قلت وفى الأحياء[3]: وسوء الخاتمة على رتبتين إحداهما أعظم من الأخرى — فأما الرتبة العظيمة الهائلة: فهى أن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله إما الشك وإما الجحود فتقبض الروح على تلك الحالة فتكون حجاباً بينه وبين الله تعالى أبداً، وذلك يقتضى البعد الدائم والعذاب المخلد.

(والثانية) وهى دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا أو شهوة من شهواتها فيتمثل ذلك فى قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى فى تلك الحالة متسع لغيره، فمهما اتفق قبض الروح فى حالة غلبة حب الدنيا فالأمر مخطر لأن المرء يموت على ما عاش عليه، وعند ذلك تعظم الحسرة إلا أن

---

(١) الترمذى (٥٩٨/٤) مسلم (٧١٥/٢) اللؤلؤ والمرجان برقم ٦١٠

(٢) الترمذى بشرح التحفه (٣١١/٦)

(٣) الاحياء (١٧٠/٤)

أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ فى القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة يمحو عن القلب هذه الحالة التى عرضت له عند الموت ، فإن كان إيمانه فى القوة إلى حد مثقال أخرجه من النار فى زمان أقرب ، وإن كان أقل من ذلك طال مكثه فى النار ولكن لو لم يكن إلا مثقال حبة فلا بد وأن يخرجه من النار ولو بعد آلاف سنين وكل من اعتقد فى الله تعالى وفى صفاته وأفعاله شيئاً على خلاف ما هو به إما تقليداً وأما نظراً بالرأى والمعقول فهو فى هذا الخطر ، والزهد والصلاح لا يكفى لدفع هذا الخطر بل لا ينجى منه إلا الاعتقاد الحق وفق الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، والبُلْه بمعزل عن هذا الخطر .

ولكن الآن قد استرخى العنان ، وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على وفق طبعه بظن أو حسبان ، وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان ، وأنه صفو الإيمان ، ويظن أن ما قنع به من حدس وتخمين : علم اليقين وعين اليقين وليعلمن نبأه بعد حين ، وينبغى أن ينشد فى هؤلاء عند كشف الغطاء :

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تَخَفْ سوء ما يأتى به القدر

وسالمتك الليالى فاغتررت بها وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وأما الخاتمة الثانية التى هى دون الأولى وليست مقتضية للخلود فى النار فلها أيضاً سببان :

أحدهما : كثرة المعاصى وإن قوى الإيمان ، والآخر : ضعف الإيمان وإن قلت المعاصى ، وليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة وإلا فليس أمننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا

شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا ، فلا قرب الرحيل ينبهنا ، ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوفنا ، ولا خطر الخاتمة يزعجنا ، فنسأل الله تعالى أن يتدارك بفضله وجوده أحوالنا فيصلحها إن كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا .

فلما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائى نحو عفوك سلما
يعاظمنى ذنبي فلما قرنته . بعفوك ربى كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما

وبالجملة فالخاتمة خطرة لا يدرى حقيقتها ، وقد قال صلة بن أشيم على قبر أخ له :

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة وإلا فانى لا أخالك ناجيا

ويوم القيامة يوم تقف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا يتكلمون ، ولا ينظر فى أمورهم ، ولا يأكلون فيه ، ولا يشربون ، ولا يجدون فيه روح نسيم ، حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشا ، واحترقت أجوافهم جوعاً انصرف بهم إلى النار ، فسقوا من عين آنية ، قد آن حرها واشتد لفحها ، فتأمل فى طول هذا اليوم ، وشدة الانتظار فيه ، حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصى فى عمرك المختصر .

ثم تفكر بعد هذه الأهوال ، فيما يتوجه عليك من السؤال ، شفاها من غير ترجمان ، فتسأل عن القليل والكثير ، والنقير والقطمير ، والجليل والحقير ، ويؤتى بالميزان ، ويطار بالكتب ، إلى الشمائل والأيمان ، وتكثر الخصماء ، ويساقون إلى الصراط ، ويغضب الرب غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب

بعده مثله ، وقد أخبرت بأن النار مورد للجميع ،فأنت من الورود على يقين، ومن النجاة فى شك، فاستشعر فى قلبك ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه. فهذه أهوال يوم القيامة ، وأصناف عذاب جهنم ، على الجملة ،وتفصيل غمومها وأحزانها ، ومحنها وحسراتها ، لا نهاية له ، وقد تصدى لذكرها القرطبى فى التذكرة وأعظم الأمور عليهم ، مع ما يلاقونه من شدة العذاب ، حسرة فوت نعيم الجنة ،وفوت لقاء الله تعالى ، وفوت رضاه ،مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك ، بثمن بخس دراهم معدودة ، إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة فى الدنيا ، أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة .

فيا لحسرة هؤلاء ، وقد فاتهم ما فاتهم ،وبلوا بما بلوا به ،ولم يبق معهم شىء من نعيم الدنيا ولذاتها ، قال أحمد بن حرب : أحدنا يؤثر الظل على الشمس، ثم لا يؤثر الجنة على النار ، وقال عيسى عليه السلام : كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح ، غداً بين أطباق النار يصيح ، فانظر فى هذه الأحوال .

واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها ، وخلق لها أهلا ، لا يزيدون ولا ينقصون وأن هذا أمر قد قضى وفرغ منه ، قال تعالى : « وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ » (مريم ٣٩) ولعمرى الإشارة به إلى يوم القيامة ،ولكن ماقضى الأمر يوم، بل فى أزل الآزال ، ولكن أظهر يوم القيامة ماسبق به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدرى أن القضاء بماذا سبق فى حقك .

فإن قلت : فليت شعرى ماذا موردى ؟ ، وإلى ماذا مآلى ومرجعى ؟ وما الذى سبق به القضاء فى حقى؟ ، فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك

بسببها ، وهو أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك فإن كلا ميسر لما خلق له ، فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فإنك مبعد عن النار ، وإن كنت لا تقصد خيراً إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شراً إلا ويتيسر لك أسبابه، فاعلم أنك مقضى عليك فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار ، فقد قال تعالى : « إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ » (الانفطار : ١٣ — ١٤) فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين .

(باب)

« (حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره وذكر عمل أهل النار وأهل الجنة) »

عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « حُفَّت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » أخرجه مسلم وخرجه أيضاً البخارى ، وقال الترمذى[1] حديث حسن صحيح غريب ، ويعنى بالمكاره : المشقة مثل التكاليف الشرعية أمراً ونهيا ، وبالشهوات مرارات النفس ومستلذاتها وأهويتها ، وتقدم فى أول الكتاب[*] حديث إرسال الله جبريل عليه السلام إلى الجنة والنار وهو عند الترمذى وأصحاب السنن عن أبى هريرة وقال فيه أبو عيسى حسن صحيح.

قال القرطبى[2] « المكاره كل ما يشق على النفس فعله ، ويصعب عليها عمله كالطهارة فى السبرات وغيرها من أعمال الطاعات والصبر على المصائب

(١) الترمذى (٧/٢٨٠) بشرح التحفة مسلم (٤/٢١٧٤) اللؤلؤ والمرجان برقم ١٧٩٧ .
(٢) التذكرة (٣٥٩) .

(*) تقدم صفحة (١٥-١٦)

والمصيبات، وجميع المكروهات ، والشهوات كل ما يوافق النفس ويلائمها وتدعو إليه ويوافقها وأصل الحفاف : الدائر بالشيء المحيط به الذى لا يتوصل إليه إلا بعد أن يتخطى ، فمثل النبي ﷺ المكاره والشهوات بذلك فالجنة لا تنال إلا بقطع مفاوز المكاره والصبر عليها ، والنار لا ينجى منها إلا بترك الشهوات وفطام النفس عنها .

ولقد روى عن النبي ﷺ أنه مثل طريق الجنة وطريق النار بتمثيل آخر فقال : «طَرِيقُ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ، وَطَرِيقُ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ» ذكره صاحب الشهاب ، والحزن هو الطريق الوعر المسلك والربوة هو المكان المرتفع وأراد به ما يكون من الروابى ، والسهوة بالسين المهملة هو الموضع السهل الذى لا غلظ فيه ولا وعورة .

وقال القاضى أبو بكر بن العربى فى سراج المريدين له فى الحديث : أى جعلت على حافاتها وهى جوانبها ، ويوهم الناس أنه ضرب فيها المثل فجعلها فى جوانبها من الخارج. ولو كان ذلك ما كان مثلا صحيحا وإنما هى من داخل وهذه صورتها .

النار — المال — الشهوات — النساء — الجاه

الجنة — الصبر — المكاره

وعن هذا عبر ابن مسعود بقوله حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات

فمن أطلع الحجاب فقد واقع ما وراءه وكل من تصورها من خارج فقدضل عن معنى الحديث وعن حقيقة الحال ، وفى الصحيحين « حجبت » بدل حفت فى الموضعين .

قال القرطبى فإن قيل : قد قال حجبت النار بالشهوات قلنا المعنى واحد لأن الأعمى عن التقوى الذى قدأخذت سمعه وبصره الشهوات يراها ولا يرى النار التى هى فيها وإن كانت باستيلاء الجهالة ورين الغفلة على قلبه كالطائر يرى الحبة فى داخل الفخ وهى محجوبة عنه لأنه لا يرى الفخ لغلبة شهوة الحبة على قلبه ، وتعلق باله بها ، وجهله بما جعلت فيه وحجبت . انتهى .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما رأيت مثل النار نام هاربها ، ولا مثل الجنة نام طالبها » أخرجه الترمذى[1] وقال هذا حديث إنما نعرفه من حديث يحيى بن عبيد الله ، وهو ضعيف عند أهل الحديث ، تكلم فيه شعبة .

وقد سئل شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله : ما عمل أهل النار وما عمل أهل الجنة ؟ فأجاب : عمل أهل النار الإشراك بالله تعالى والتكذيب للرسل والكفر والحسد والكذب والخيانة والظلم والفواحش والغدر وقطيعة الرحم والجبن عن الجهاد والبخل واختلاف السر والعلانية واليأس من روح الله والأمن من مكر الله والجزع عند المصائب والفخر والبطر عند النعم وترك فرائض الله واعتداء حدوده وانتهاك حرماته وخوف المخلوق دون الخالق ، والعمل رياء وسمعة ومخالفة الكتاب والسنة ، أي اعتقاداً وعملا ، وطاعة المخلوق فى معصية الخالق والتعصب للباطل واستهزاء بآيات الله وجحد الحق والكتمان

---

(١) الترمذى (٤/٧١٥)

لما يجب إظهاره من علم وشهادة، والسحر وعقوق الوالدين وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

وأما عمل أهل الجنة فالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره والشهادتان : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، وأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فانه يراك .

ومن أعمال أهل الجنة صدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وبر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم ومن أعمالهم الإخلاص لله والتوكل عليه والمحبة لله ورسوله وخشية الله ورجاء رحمته والإنابة إليه والصبر على حكمه والشكر لنعمته وقراءة القرآن وذكر الله ودعاؤه ومسئلته والرغبة إليه والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله مع الكفار والمنافقين .

ومن أعمالهم أن يصل من قطعه، ويعطى من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، فان الله أعد الجنة للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء، والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين، ومن أعمالهم العدل فى جميع الأمور، وعلى جميع الخلق حتى الكفار، وأمثال هذه الأعمال، والتجافى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، فعمل أهل الجنة : الإيمان والطاعة، وعمل أهل النار : الكفر الفسوق والعصيان .

وتفصيل الجملتين لا يمكن لكن أعمال أهل الجنة كلها تدخل فى طاعة الله ورسوله وأعمال أهل النار كلها تدخل فى معصية الله ورسوله فمن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك هو الفوز

العظيم ، ومن يعص الله ورسوله يدخله ناراً خالدا فيها وله عذاب مهين » .
انتهى كلام شيخ الاسلام . وهو كالشرح لحديث الباب « حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » وكتاب شعب الايمان للبيهقي يشتمل على أشياء هي من أعمال أهل الجنة وهو ست مجلدات في سبعة وسبعين بابا اختصره أبو حفص عمر بن على القزوينى الإمام بجامع الخليفة ببغداد في نحو كراستين .
وأصل الكتاب حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَعْلَاهَا أَوْ فَأَرْفَعُهَا أَوْ فَأَفْضَلُهَا على اختلاف الروايات قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ »(١) فالايمان وشعبه هذه كلها من أعمال أهل الجنة وهذا بيانها بحذف الأدلة على سبيل التعديد :

فالأول منها الايمان بالله عز وجل ثم الايمان برسل الله ثم بالملائكة ثم بالقرآن ثم بالقدر خيره وشره وأنه من الله عز وجل ثم باليوم الآخر ثم بالبعث بعد الموت ثم بحشر الناس بعدما يبعثون من قبورهم إلى الموقف ثم بأن دار المؤمنين ومآبهم الجنة ودار الكافرين ومآبهم النار ثم بوجوب محبة الله تعالى ثم بوجوب الخوف منه عز وجل ثم بوجوب الرجاء منه سبحانه وتعالى .

ثم بوجوب التوكل عليه تعالى وتبارك ثم بوجوب حب النبي ﷺ ثم بوجوب تعظيمه ﷺ وتبجيله وتوقيره ثم شح المرء بدينه حتى يكون القذف في النار أحب إليه من الكفر ثم طلب العلم وهو معرفة البارى تعالى وصفاته وماجاء من عند الله وعلم النبوة وما تميز به النبي عن المتنبي وعلم أحكام الله تعالى وأقضيته ومعرفة ما تطلب الأحكام منه كالكتاب والسنة ، والقرآن والحديث مشحونان بفضائل العلم والعلماء وفيه كتاب مفتاح دار السعادة للحافظ ابن

(١) مسلم (٦٣/١) اللؤلؤ والمرجان برقم ٢١ .

القيم رحمه الله وهو كتاب لا يوجد نظيره فى الإسلام ثم نشر العلم ثم تعظيم القرآن المجيد بتعلمه وتعليمه ، وحفظ حدوده وأحكامه وعلم حلاله وحرامه ، وتكريم أهله وحفاظه واستشعار ما يهيج البكاء من مواعظ الله ووعيده ثم الطهارة ثم الصلوات الخمس ثم الزكاة ثم الاعتكاف ثم الحج ثم الجهاد وفى ذلك كتاب (العبرة مما جاء فى الغزو والشهادة والهجرة) لهذا العبد عفا الله عنه وهو نفيس جداً فى هذا الباب مغن عن كثير من الكتب ثم المرابطة فى سبيل الله تعالى ثم الثبات للعدو وترك الفرار من الزحف ثم أداء الخمس من المغنم إلى الإمام أو عامله على الغانمين وكل ذلك مذكور فى كتابى المسطور ثم العتق وفك الرقبة ثم الكفارات الواجبات بالجنايات وهى فى الكتاب والسنة أربع .

كفارة القتل وكفارة الظهار وكفارة اليمين وكفارة المسيس فى صوم رمضان ومما يقرب منها ما يجب باسم الفدية لأنها إماعن ذنب سبق أو يراد به التقرب إلى الله تعالى بشىء يمحى أثر أمر قد وقع ذنبا كان أو غير ذنب ثم الايفاء بالعقود ثم تعدد نعم الله عز وجل وما يجب من شكرها ثم حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه ، ويدخل فيه الكذب والغيبة والنميمة والفحش ثم أداء الأمانات إلى أهلها ثم تحريم قتل النفوس والجنايات عليها ثم تحريم الفروج وما يجب فيها من التعفف ثم قبض اليد عن الأموال المحرمة. ويدخل فيه تحريم السرقة وقطع الطريق وأكل الرشا وكل مالا يستحقه شرعا ثم وجوب التورع عن المطاعم والمشارب والاجتناب عما لا يحل منها .

وهى أنواع كثيرة مبسوطة فى كتب السنة والكتاب ثم تحريم الملابس والزى والأوانى وما يكره منها ثم تحريم الملاعب والملاهى المخالفة للشريعة ثم الاقتصاد فى النفقة وتحريم أكل المال بالباطل ثم ترك الغل والحسد ونحوهما

من الخصال المذمومة على لسان الشرع ثم تحريم أعراض الناس وما يجب من ترك الوقيعة فيها ثم اخلاص العمل لله عز وجل وترك الرياء والسمعة ثم السرور بالحسنة والاغتمام بالسيئة ثم معالجة كل ذنب بالتوبة ثم القرابين وجملتها الهدى والأضحية والعقيقة ثم طاعة أولى الأمر إلا فى معصية الخالق ثم التمسك بما عليه جماعة أهل السنة والكتاب ثم الحكم بين الناس بالعدل ثم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ثم التعاون على البر والتقوى ثم الحياء ثم بر الوالدين ثم صلة الأرحام ثم حسن الخلق ويدخل فيه كظم الغيظ ولين الجانب والتواضع ثم الإحسان إلى المماليك ثم حق السادة على المماليك وهو لزوم العبد سيده وإقامته حيث يراه له ويأمر به وطاعته فيما يطيقه .

ثم حقوق الأولاد والأهلين وهى قيام الرجل على ولده وأهله وتعليمه إياهم من أمور دينهم ما يحتاجون إليه ثم مقاربة أهل الدين وموادتهم وإفشاء السلام بينهم والمصافحة لهم ونحو ذلك ، ثم رد السلام ثم عيادة المريض ثم صلاة الجنائز ثم تشميت العاطس ثم مباعدة الكفار والمفسدين والغلظة عليهم .

ثم إكرام الجار ثم إكرام الضيف ثم الستر على أصحاب القروف أى الذنوب ثم الصبر على المصائب وعما تنزع النفس إليه من لذة وشهوة .

ثم الزهد وقصر الأمل ، ثم الغيرة وترك المراء ، ثم الاعراض عن اللغو ، ثم الجود والسخاء ثم رحمة الصغير وتوقير الكبير . ثم إصلاح ذات البين ، ثم أن يحب الرجل لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه.

ويدخل فيه إماطة الأذى عن الطريق والنصح لكل مسلم ، وفى حديث أنس فى صحيح[1] البخارى «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» .

---

(١) البخارى (١٠/١)

فهذه سبع وسبعون شعبة من شعب الإيمان دلت عليه أدلة الكتاب والسنة ذكرها البيهقي في شعب الإيمان ، وزاد القزويني عليها في بعض الشعب آية أو آيات أو حديثا أو كلمات أو حكاية أو حكايات أو بيتا أو أبياتاً لم يذكرها البيهقي .

وإذا أحطتَ بما ذكرنا علما عرفتَ أن ذلك كله من المكاره التي حفت بها الجنة وأن خلاف ذلك كله من الشهوات التي حفت بها النار ، وهذا باب واسع جداً لا يتسع لبسطه هذا المقام وفقنا الله سبحانه وتعالى لاحتمال المكاره المنجيات وجنبنا عن الشهوات الموبقات .

هذا وأقول : «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» (البقرة ٢٨٦) .

* * *

﴿ باب ﴾

* (من دخل النار من الموحدين ومات واحترق ثم يخرجون بالشفاعة) *

عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا فِيهَا حُمَمًا ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ فَيُخْرَجُونَ وَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ قَالَ فَيَرُشُّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْمَاءَ فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْغُثَاءُ فِي حِمَالَةِ السَّيْلِ ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ » أخرجه[1] الترمذى وقال هذا حديث صحيح قد روى من غير وجه عن جابر .

وعن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال : « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ » قال أبو سعيد: فمن شك فليقرأ : (إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) أخرجه الترمذى[2] وحسنه وصححه .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ فَأَمَاتَتْهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ لَهُمْ بِالشَّفَاعَةِ فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ثُمَّ قِيلَ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ » فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ كَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ[3] .

قال القرطبى[4] هذه الموتة للعصاة موتة حقيقية، لأنه أكدها بالمصدر، وذلك تكريما لهم حتى لا يحسوا ألم العذاب بعد الاحتراق ، بخلاف الحى الذى هو من أهلها ومخلد فيها « كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ »

---

(١) الترمذى (٤/٧١٣) (٢) الترمذى (٤/٧١٤)

(٣) مسلم (١/١٧٢) وضبائر ، قال أهل اللغة : جماعات فى تفرقة مفردها ضبارة بكسر الضاد وفتحها ومعنى فبثوا : فرقوا .

(٤) التذكرة (٣٤٠ – ٣٤١) .

وقيل : يجوز أن تكون إماتتهم ، عبارة عن تغييبه إيام عن آلامها بالنوم ، ولا يكون ذلك موتاً حقيقة فإن النوم قد يغيب عن كثير من الألام والملاذ، وقد سماه الله وفاة فقال : « اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا » (الزمر ٤٢) فهو وفاة وليس بموت على الحقيقة الذى هو خروج الروح عن البدن وكذلك الصعقة قد عبر الله بها عن الموت فى قوله تعالى « فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ » (الزمر ٦٨) وأخبر عن موسى عليه السلام أنه خر صعقا ولم يكن ذلك موتاً على الحقيقة غير أنه لما غيب عن أحوال المشاهدة من الملاذ والألام جاز أن يسمى موتا، وكذلك يجوز أن يكون إماتتهم غيبتهم عن الألام ، وهم أحياء بلطيفة يحدثها الله فيهم، كما غيب النسوة اللاتى قطعن أيديهن ، بشاهد ظهر لهن فغبن به عن آلامهن .

والتأويل الأول أصح لما ذكرناه من تأكيده بالمصدر ، ولقوله فى نفس الحديث حتى إذا كانوا فحما ، فهم أموات على الحقيقة ، كما أن أهلها أحياء على الحقيقة وليسوا بأموات .

فإن قيل : ما معنى إدخالهم النار وهم غير عالمين ؟ قيل : يجوز أن يدخلهم تأديبا لهم ، وإن لم يعذبهم فيها ؛ ويكون صرف نعيم الجنة عنهم مدة كونهم فيها عقوبة لهم ، كالمحبوسين فى السجون ، فإن الحبس عقوبة لهم وإن لم يكن معه غل ولا قيد والله أعلم .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « يَخْرُجُ أَوْ أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً ، أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً » أخرجه الترمذى[١] وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وعنه عن النبى ﷺ قال : « يَقُولُ اللَّهُ : أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ ذَكَرَنِي يَوْمًا ، أَوْ خَافَنِي فِي مَقَامٍ » أخرجه الترمذى[٢] وقال : حديث حسن غريب .

---

(١) الترمذى (٤/٧١١ — ٧١٢) وبشرح التحفة (٧/٣١٩)
(٢) الترمذى (٤/٧١٢) وبشرح التحفة (٧/٣٢٠) .

(باب)

* (في الشفعاء وذكر الجهنميين) *

عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الصِّيَامَ وَالْقُرْآنَ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَقُولُ الصِّيَامُ: رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ فَيُشَفَّعَانِ» أخرجه ابن المبارك[1].

وذكر مسلم[2] من حديث أبي سعيد الخدري وفيه بعد قوله في نار جهنم: «حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ تَعَالَى فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا» وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا» (النساء ٤٠) فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. وفي البخاري[3] بدله «وَبَقِيَتْ شَفَاعَتِي» فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ

---

(١) التذكرة (٣٤٥) — والترغيب (٢/١٢٦) وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله محتج بهم في الصحيح.

(٢) مسلم (١/١٦٩ — ١٧١)

(٣) البخاري (٩/٦٦٠).

فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر ما يكون الى الشمس أصيفر وأخيضر ، وما يكون منها الى الظل يكون أبيض • فقالوا : يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية ، قال : فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفونهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ، ثم يقول : ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم ، فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين ، فيقول : لكم عندى أفضل من هذا ، فيقولون : ربنا أى شىء أفضل من هذا ؟ فيقول : رضاى فلا أسخط عليكم بعده أبدا » أخرجه ابن ماجه [١] • وفى الباب أحاديث وروايات بطرق وألفاظ •

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا فرغ الله من القضاء بين خلقه أخرج كتابا من تحت العرش : ان رحمتى سبقت غضبى ، وأنا أرحم الراحمين • قال : فيخرج من النار مثل أهل الجنة أو قال مثلى أهل الجنة ، قال : وأكثر ظنى أنه قال : مثلى أهل الجنة مكتوب بين أعينهم : عتقاء الله [٢] » •

وفى هذه الأحاديث فوائد كثيرة منها : أن الايمان يزيد وينقص ، ومنها أن الأعمال الصالحة من شرائع الايمان ، ومنه قوله تعالى : « وما كان الله ليضيع ايمانكم » (البقرة : ١٤٣) أى صلاتكم ، وقيل المراد فى هذا الحديث أعمال القلوب كأنه يقول : أخرجوا من عمل عملا بنية من قلبه لقوله : « الأعمال بالنيات » ويجوز أن يكون المراد به رحمة على مسلم ، رقة على يتيم خوفا من الله تعالى ، رجاء له توكلا عليه ، ثقة به : مما هى أفعال القلب دون الجوارح ، وسماها ايمانا لكونها فى محل الايمان ، وهذا الذى قواه القرطبى وأيده فى التذكرة [٣] •

---

(١) ابن ماجه •
(٢) عزاه القرطبى (٣٤٦) الى كتاب الديباج لأبى القاسم اسحق ابن ابراهيم •
(٣) التذكرة (٣٤٧) •

وعن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يخرج قوم من النار ، بعد ما مسهم منها سقع فيدخلون الجنة ، فيسميهم أهل الجنة الجهنميين » أخرجه البخارى [(١)] .

وعن عمران ابن حصين عن االنبى صلى الله عليه وسلم قال « ليخرجن قوم من أمتى بشفاعتى يسمون جهنميون » رواه الترمذى [(٣)] وقال : حديث حسن صحيح ، أخرجه البخارى وأبو داود أيضا .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » زاد الطيالسى قال : فقال : جابر : من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة [(٣)] وذكره أبو داود ، والدار قطى عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نعم أنا لشرار أمتى ، قالوا : فكيف أنت لخيارها ؟ ، قل أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم وأما شرارهم فيدخلون الجنة بشفاعتى [(٤)] » .

وعن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتى الجنة ، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ، أترونها للمتقين ؟ لا ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين » رواه ابن ماجه [(٥)] وفى الباب أحاديث بألفاظ وطرق .

وعنده من حديث عوف بن مالك الأشجعى نحوه وفى آخره : « قلنا : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا من أهلها ، قال : هى لكل مسلم » [(٦)] .

قال القرطبى [(٧)] : شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والملائكة والنبيين والمؤمنين لمن كان له عمل زائد على مجرد التصديق ، ومن يكن معه من الايمان خير كان من الذين يتفضل الله عليهم فيخرجهم من النار فضلا وكرماً وعدا منه حقا وكلمته صدقاً «ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (النساء ١١٦) فسبحان الرؤف الوفى بعهده انتهى .

---

(١) البخارى (٩ / ١٦٤) بنحوه . (٢) الترمذى (٤ / ٧١٥) .
(٣) ورواه الترمذى (٤ / ٦٢٥) وقال حديث حسن غريب ـ الطيالسى (٢ / ٢٢٨) . (٤) التذكرة (٣٤٨)
(٥) برقم ٤٣١١ ، قال البوصيرى ؛ اسناده صحيح ورجاله ثقات .
(٦) برقم ٤٣١٨ . (٧) التذكرة (٣٥٠) .

خاتمــة

(فيما يرجى من رحمة الله تعالى ومغفرته وعفوه يوم القيامة)

قال تعالى : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (النساء ٤٨) وقال تعالى : «قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم » (الزمر ٥٣) وقال تعالى : « ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما » (النساء ١١٠) وقال تعالى : « وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » (الرعد ٦) وقال تعالى : «ولسوف يعطيك ربك فترضى » (الضحى ٥) وقال تعالى « أولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه » (البقرة ٢٢١) .

وقال تعالى : «فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما » (النساء ١٧٥) وقال تعالى « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم » (المائدة ٩) وقال تعالى « وربك الغنى ذو الرحمة » (الأنعام ١٢٣) وقال « عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » (الأعراف ١٥٦) وقال تعالى « هو أرحم الراحمين » (يوسف ٦٤) وهــذه الآية فى مواضع من القرآن الكريم .

وقال تعالى : «ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون» (يوسف ٨٧) وقال تعالى : «نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم (الحجر ٤٩) وقال تعالى : «وربك الغفور ذو الرحمة» (الكهف٥٨) وقال تعالى عن حملة العِرش أنهم يقولون : (ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ، ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم » . (غافر : ٧ ــ ٩) وقال تعالى : « ويعف عن كثير »

(الشورى : ٣٤) وقال تعالى : « ان ربك واسع المغفرة » (النجم ٣٢)
وقال تعالى : « ويعفو عن كثير » (الشورى ٣٠) وهذه غير الأولى •

ومن أسمائه الحسنى الرحمن الرحيم ، وهما مشتقان من الرحمة على طريق المبالغة ، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم ، وفى كلام ابن جرير ما يفهم حكاية الاتفاق على هذا ، ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ، ورحيم الدنيا ، فقد تقرر أن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى •

قال القرطبى : وصف نفسه الكريمة بهما لأنه لما كان باتصاف رب العالمين ، ترهيب قربه بالرحمن الرحيم لما تضمن من الترغيب ليجمع فى صفاته بين الرهبة منه والرغبة اليه فيكون أعون على طاعته وأمنع ، وقيل : فائدة تكريره هنا بعد الذكر فى البسملة أن العناية بالرحمة أكثر من غيرها من الأمور وأن الحاجة اليها أكثر ، فنبه سبحانه وتعالى بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها ، وأنه هو المتفضل بها على خلقه • ذكره الشوكانى (رح) فى تفسيره فتح القدير •

قال البيهقى فى الأسماء والصفات قال الحليمى [١] : فى معنى الرحمن أنه المزيح للعلل ، وفى معنى الرحيم أنه المثيب على العمل ، فلا يضيع لعامل عملا ، ولا يهدر لساع سعيا ، وينيله بفضله رحمته من الثواب أضعاف عمله •

وقال الخطابى : ذهب بعضهم الى أن الرحمن غير مشتق من الرحمة لأنه لو كان مشتقا منها لا تصل بذكر المرحوم ولا تنكره العرب حين سمعوه وزعم بعضهم أنه اسم عبرانى ، وذهب الجمهور من الناس الى أنه مشتق من الرحمة ينبىء عن المبالغة ، ومعناه ذو الرحمة ، لا نظير له فيها ، ولذلك لا يثنى ولا يجمع ، فالرحمن ذو الرحمة الشاملة التى وسعت الخلق فى أرزاقهم وأسباب معايشهم ومصالحهم ، وعمت المؤمن والكافر والصالح والطالح •

وأما الرحيم : فخاص للمؤمنين كقوله : « وكان بالمؤمنين رحيما »

---

(١) الأسماء والصفات (٤٠)

والرحيم بمعنى راحم ، وبناء فعيل أيضا للمبالغة ، وقال ابن عباس : « الرحمن هو الرفيق ، والرحيم هو العاطف على خلقه بالرزق ، وهما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر » وقال عبد الرحمن بن يحيى : الرحمن خاص فى التسمية عام فى الفعل ، والرحيم عام فى التسمية خاص فى الفعل .

قال ابن عباس فى قوله تعالى : « هل تعلم له سميا » (مريم ٦٥) لم يسم أحد الرحمن غيره ، انتهى كلام البيهقى ، قال تعالى : « الرحمن علم القرآن » (الرحمن ١ ــ ٢) وقال تعالى : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى » (الاسراء ١١٠) وقال : « وكان بالمؤمنين رحيما » (الأحزاب ٤٣) وقال فى فواتح السور غير التوبة: بسم الله الرحمن الرحيم ، وقال فى فاتحة الكتاب «الرحمن الرحيم» وقال : « تنزيل من الرحمن الرحيم » (فصلت ٢) .

وبالجملة فالرحمة صفة عظيمة من صفات الرحمن الرحيم يظهر أثرها على وجه الكمال ان شاء الله تعالى يوم الدين ، وتعم الصالحين والطالحين من المؤمنين حين يغفر الله سبحانه وتعالى ذنوب المذنبين ويعفو عن الخطايا والجرائم للخطائين .

ومن نعم الله سبحانه على عباده أن وصف نفسه الكريمة بالرحمة العامة والمغفرة الشاملة ، ووصف رسوله محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وشفيع المذنبين بقوله فى كتابه الكريم : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (الأنبياء ١٠٧) فوقعت أمته المرحومة بين رحيمين كريمين ، والرحيم اذا قدر رحم ، والكريم اذا غلب غفر ، فالرحمة والمغفرة للعصاة من الموحدين المتبعين للسنة والكتاب والمقرين على أنفسهم بالقصور عن بلوغ ذروة كمال الامتثال باتيان صوالح الأعمال ثابتتان بأدلة القرآن ونصوص السنة ، لا سيما أنه سبحانه يتوب على التائبين ويغفر للمستغفرين ، ويفرح بتوبة عباده المؤمنين ويجزى المحسنين ، ويحب المتطهرين التوابين ، وقد سبقت رحمته على غضبه ، ورضاه على سخطه وعفوه على انتقامه وهو أحق بذلك وأولى ، وقد وردت فى ذلك أخبار

كثيرة صحيحة لا يتسع المقام لبسطها لما أنه يستدعى مؤلفا مستقلا ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله فلنذكر من ذلك شيئا نذرا رجاء العفو والغفران من الرحيم الرحمن فانه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما قضى الله الخلق كتب فى كتابه فهو عنده فوق العرش : ان رحمتى تغلب غضبى » أخرجه الشيخان والترمذى [١] وعند البخارى رحمه الله فى رواية أخرى أن رحمتى غلبت أو قال سبقت غضبى [٢] ، وعند الشيخين فى أخرى ، سبقت غضبى ، وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جعل الله الرحمة مائة جزءاً فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل فى الأرض جزءا واحدا ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » [٣] أخرجه الشيخان والترمذى •

وعن سلمان الفارسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لله تعالى مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم بها الخلق بينهم وتسعة وتسعون ليوم القيامة » أخرجه مسلم [٤] وله فى أخرى أن الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة ، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض فجعل منها فى الأرض رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة [٥] •

وأخرج ابن ماجه [٦] من حديث أبى سعيد الخدرى ، وفى بعض

---

(١) مسلم (٢١٠٧/٤) والترمذى (٥٤٩/٥) ابن ماجه برقم ٤٢٩٥
(٢) البخارى (٩ / ١٥٣) ، (٩ / ١٩٦) .
(٣) مسلم (٤ / ٢١٠٨) والترمذى (٥ / ٥٤٩) .
(٤ ، ٥) مسلم (٤ / ٢١٠٨ — ٢١٠٩) .
(٦) ابن ماجة برقم (٤٢٩٤) ولفظه : اكملها الله بهذه الرحمة ، قال فى الزوائد صحيح ، ورجاله ثقات .

طرق أبى هريرة فاذا كان يوم القيامة رد هذه على تلك التسعة والتسعين فأكملها مائة رحمة فرحم بها عباده يوم القيامة » .

وفى رواية أخرى : فاذا كان يوم القيامة جمعت الواحدة الى التسعة والتسعين فكملن مائة رحمة ، حتى ان ابليس ليتطاول اليها رجاء أن ينال منها شيئا » (١) .

وقال ابن مسعود : « لن تزال الرحمة بالناس ، حتى ان ابليس ليهتز صدره يوم القيامة مما يرى من رحمة الله وشفاعة الشافعين » ، وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبى ، فاذا امرأة من السبى تسعى قد تحلب ثديها اذا وجدت صبيا فى السبى فأخذته فألقته ببطنها فأرضعته فقال صلى الله عليه وسلم : « أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار ؟ قلنا : لا والله وهى تقدر على أنه لا تطرحه ، قال : فالله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها » أخرجه الشيخان (٢) » .

وعن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يرحم الله من لا يرحم الناس » (٣) متفق عليه ، وعن أبى هريرة قال : سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تنزع الرحمة الا من شقى » رواه أحمد والترمذى (٤) .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » رواه أبو داود والترمذى (٥) .

قال الحسن : يقول الله تعالى يوم القيامة : جوزوا الصراط بعفوى وادخلوا الجنة برحمتى واقتسموها بأعمالكم وقال صلى الله عليه وسلم :

---

(١) مسلم (٤ / ٢١٠٩) بنحوه .
(٢) مسلم (٤ / ١٨٠٩) بنحوه .
(٣) الترمذى (٤ / ٣٢٣) البخارى (٨ / ١٢) ومسلم (٤ / ١٨٠٩) بنحوه .
(٤) الترمذى (٤ / ٣٢٣) وقال : هذا حديث حسن .
(٥) الترمذى (٤ / ٣٢٤) وقال : حديث حسن صحيح .

ينادى مناد من تحت العرش يا أمة محمد ، أما ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم ، وبقيت التبعـات فتواهبوها فيما بينكم وادخلوا الجنـة برحمتى .

ويروى أن أعرابيا سمع ابن عباس يقرأ « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » (آل عمران ١٠٣) فقال الأعرابى أنقذهم منها وهو يريد أن يوقعهم فيها ؟ فقـال ابن عباس خـذوها من غير فقيه ، وقال الصابجى : دخلت على عبادة بن الصامت وهو فى الموت فبكيت ، فقال : مهلا لم تبكى ؟ فوالله لئن استشهدت لأشهدن لك ، ولئن شفعت لأشفعن لك ، ولئن استطعت لأنفعنك ثم قال : والله ما من حـديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا واحدا ، وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسى : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من شهد أن لا اله الا الله وأن محمـدا رسول الله حرم الله عليه النار » أخرجه مسلم [١] ، والأخبار بهذا المعنى كثيرة خرجها البخارى ومسلم وغيرهما من الأئمة .

وقال الأصمعى [٢] : كان رجل يحدث بأهوال يوم القيامة وأعرابى جالس يسمع ، فقال : يا هذا من يلى هذا من العباد ؟ قال : الله تعالى ، فقال الأعرابى : ان الكريم اذا قدر عفا وغفر . وعن جابر رضى الله عنه قال : جاء أعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما الموجبتان ؟ قال : من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار » رواه مسلم [٣] .

وعن عتبان بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان قد حرم على النـار من قال لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله » أخرجه الشيخان [٤] ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله

---

(١) مسلم (١ / ٥٧ ــ ٥٨) .
(٢) التذكرة (٣٥٦) .
(٣) مسلم (١ / ٩٤) .
(٤) مسلم بنحوه (١ / ٦١) ولم يذكره فؤاد عبد الباقى فى المتفق عليه

صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم » رواه مسلم [١] .

وعن أبى أيوب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون يغفر لهم » أخرجه مسلم [٢] .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله فيه » رواه مسلم [٣] .

وعن أبى موسى الأشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يجىء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم » رواه مسلم [٤] .

وعن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه ، فيقول أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : رب أعرف ، قال : فانى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى صحيفة حسناته » أخرجه الشيخان [٥] .

وعن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » رواه مسلم [٦] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله عز وجل : « أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حيث يذكرنى ، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ، ومن تقرب الى

---

(١) مسلم (٤ / ٢١٠٦) .
(٢) مسلم (٤ / ٢١٠٥) .
(٣) مسلم (٢ / ٦٥٥) .
(٤) مسلم (٤ / ٢١٢٠) .
(٥) مسلم (٤ / ٢١٢٠) بنحوه وكنفه : ستره وعفوه .
(٦) مسلم (٤ / ٢١١٣) .

شبرا تقربت اليه ذراعا ، ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ، واذا أقبل الى يمشى أقبلت اليه أهرول » متفق عليه [١] .

وعن جابر رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل » رواه مسلم [٢] .

وعن أنس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله : يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى ، يا ابن آدم انك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » رواه الترمذى [٣] وقال حديث حسن .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ أو تلا هذه الآية : « هو أهل التقوى وأهل المغفرة » (المدثر ٥٦) فقال : قال الله تعالى : « أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معى اله آخر ، فمن اتقى أن يجعل معى الها آخر فأنا أهـل أن أغفر له » آخرجه ابن ماجه وخرجه أبو عيسى الترمذى بمعناه وقال هذا حديث حسن غريب [٤] ، وروى عن عبد الله بن أبى أوفى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده لله أرحم بعبده من الوالدة الشفيقة بولدها .

وقال أبو غالب : كنت اختلف الى أبى أمامة بالشام ، فدخلت يوما على فتى مريض من جيران أبى أمامة ، رضى الله عنه وعنده عم له وهو يقول له : يا عدو الله ألم آمرك ؟ ألم أنهك ؟ فقال الفتى : يا عماه لو أن أن الله تعالى دفعنى الى والدتى كيف كانت صانعـة بى ؟ قال : كانت تدخلك الجنة ، قال ان ربى الله أشفق وأرحم بى من والدتى وقبض الفتى فدخلت القبر مع عمه ، فلما أن سواه صاح وفزع فقلت له : مالك ؟ فقال : فسح له فى قبره وملىء نورا [٥] .

---

(١) مسلم (٢١٠٢) بنصه . (٢) مسلم (٤ / ٢٢٠٦) .
(٣) التحفة (٩ / ٥٢٥) .
(٤) ابن ماجه برقم ٤٢٩٩ والترمذى (٥ / ٤٣٠) .
(٥) التذكرة بنحوه (٣٥٧) .

وقال هلال بن سعيد : يؤمر باخراج رجلين من النار ، فيقول الله تعالى كيف وجدتما مقيلكما ؟ فيقولان : شر مقيل ، فيقول الله تعالى : ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد : ويؤمر بصرفهما الى النار ، فيعدو أحدهما فى سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر فيؤمر بردهما ويسألهما عن فعلهما ، فيقول الذى عدا : قد خبرت من وبال المعصية ما لم أكن لأتعرض لسخطك ثانية : ويقول الذى تلكأ : حسن ظنى بك أن لا تردنى اليها بعد ما أخرجتنى منها ، فيأمر بهما الى الجنة .

قال القرطبى : هذا الخبر رفعه الترمذى أبو عيسى بمعناه : عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما ، فقال الرب تبارك وتعالى : أخرجوهما ، فلما أخرجا قال لهما : لأى شيء اشتد صياحكما ؟ قالا : فعلنا ذلك لترحمنا ، قال : ان رحمتى لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار ، فينطلقان فيلقى أحدهما نفسه فيجعلها عليه بردا وسلاما ويقوم الآخر فلا يلقى نفسه ، فيقول له الرب عز وجل : ما منعك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك ؟ فيقول : يا رب انى لأرجو أن لا تعيدنى فيها بعدما أخرجتنى منها ، فيقول له الرب عز وجل لك رجاؤك ، فيدخلان جميعا الجنة برحمة الله تعالى : قال أبو عيسى [1] ، اسناد هـذا الحديث ضعيف لأنه عن رشدين بن سعد ، ورشدين ضعيف عن ابن أنعم وهو الافريقى والافريقى ضعيف عند أهل الحديث .

وذكر أبو نعيم الحافظ عن اسحاق بن سويد قال : صحبت مسلم بن يسار عاما الى مكة فلم أسمعه يتكلم بكلمة حتى بلغنا ذات عرق ، قال ثم حدثنا قال بلغنى أنه يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول : انظروا فى حسناته فلا يوجـد له حسنة ، فيقول : انظروا فى سيئاته فيوجد له سيئات كثيرة فيؤمر به الى النار فيذهب وهو يلتفت ، فيقول (أى الرب تعالى) : ردوه الى ، لم تلتفت ؟ فيقول : أى رب لم

---

(١) الترمذى (٤ / ٧١٤) .

يكن هذا ظنى أو رجائى فيك ـ شك ابراهيم ـ فيقول : صدقت فيؤمر به الى الجنة •

قال القرطبى : هذا الحديث رفعه ابن المبارك فقال : أخبرنا رشدين ابن سعد قال : حدثى أبو هانىء الخولانى عن عمرو بن مالك الجهنى أن فضالة بن عبيد وعبادة بن الصامت رضى الله عنهما حدثاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا كان يوم القيامة وفرغ الله من القضاء بين الخلائق فيبقى رجلان فيؤمر بهما فى النار : فيلتفت أحدهما فيقول الجبار تبارك اسمه وتعالى جده : ردوه فيردوه فيقال له : لم التفت ؟ فيقول : كنت أرجو أن تدخلنى الجنة فيؤمر به الى الجنة قال : فيقول : لقد أعطانى ربى حتى لو أنى أطعمت أهل الجنة ما نقص ذلك مما عندى شيئا • قالا أى فضالة وعبادة : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا ذكره يرى السرور فى وجهه •

قال القرطبى : وفى هذا المعنى خبر الرجل الذى يرفع له شجرة بعد أخرى حين يخرج من النار الى أن يدخل الجنة ، أخرجه مسلم فى الصحيح • انتهى ، وقد تقدم فيما سبق •

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان شئتم أنبأتكم بأول ما يقول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة وبأول ما يقولون : قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : ان الله يقول للمؤمنين : هل أحببتم لقائى ؟ فيقولون : نعم يا ربنا ، قال وما حملكم على ذلك ؟ فيقولون عفوك ورحمتك ورضوانك فيقول : أوجبت لكم رحمتى •

وعن زيد بن أسلم أن رجلا كان فى الأمم الماضية يجتهد فى العبادة ويشدد على نفسه ويقنط الناس من رحمة الله ، ثم مات فقال : أى رب مالى عندك : قال : النار ، قال : يا رب فأين عبادتى واجتهادى ، فقيل له انك كنت تقنط الناس من رحمتى فى الدنيا وأنا أقنطك اليوم من رحمتى•

وقال مقاتل : قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : الفقيه من لم يؤيس الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم فى معاصى الله ، ذكر ذلك كله القرطبى [١] فى التذكرة له وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله سيخلص رجلا من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر .

ثم يقول : أتنكر من هذا شيئا : أظلمك كتبتى الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول أفلك عذر ؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول : بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فيقول : أحضر وزنك فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال انك لا تظلم ، قال : فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء » رواه الترمذى وابن ماجه [٢] .

كذا فى مشكاة المصابيح ، والسجل : الكتاب الكبير ، والبطاقة على وزن الكتابة : الرقعة الصغيرة المنوطة بالثوب يكتب فيها وزن ما تجعل هى فيه ان كان عينا فوزنه أو عدده وان كان متاعا فثمنه ، قيل سميت به لأنها تشد بطاقة هدب الثوب . كذا فى القاموس قال الطيبى فيكون حينئذ الباء زائدة . اهـ . قال فى اللمعات : وكأنه أبقيت الباء الجارة التى هى صلة الفعل ، وهى لغة أهل مصر وليس مادته بطق انتهى ، وهذا الحديث يسمى حديث البطاقة .

وما أحسن ما قال السيد العلامة محمد بن اسماعيل الأمير اليمانى أطاب الله ثراه وجعل الجنة مثواه :

مهما تفكرت فى ذنوبى خفت على قلبى احتراقه
لكنه ينطفىء لهيبى بذكر ما جاء فى البطاقة

---

(١) التذكرة (٣٤٧ ــ ٣٤٩) .
(٢) الترمذى (٥ / ٢٤ ــ ٢٥) وحسنه وابن ماجه برقم (٤٣٠٠) ــ وخرجه الامام أحمد (١١ / ١٧٥) وصححه الشيخ شاكر ــ والترغيب (٢ / ٧٠١) .

ولشيخنا وبركتنا القاضى محمد بن على الشوكانى رحمه الله كتاب سماه الدرر الفاخرة الشاملة على سعادة الدنيا والآخرة ، وهو كتاب نافع جدا ، ينبغى لأهل العلم والدين الاشتغال به ، ليسعدوا بكل سعادة ويتجافوا عن كل موجب للشقاوة •

هذا ونحن نستغفر الله تعالى من كل ذنب ، زلت به القدم ، أو طغى به القلم فى كتابنا هذا ، وفى سائر كتبنا ، ونستغفره من أقوالنا التى لا توافقها أعمالنا ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ، ثم خالطه غيره ، ومن كل نعمة أنعم بها علينا ، فاستعملناها فى معصية ، ومن كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص ، وتقصير مقصر كنا منصفين به ، ومن كل خطرة دعتنا الى تصنع ، وتكلف تزينا للناس فى كتاب سطرناه ، أو علم أفدناه أو استفدناه •

ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ، أن نكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا وأولا وآخرا ، فان الكرم عميم والرحمة واسعة ، والجود على أصناف الخلائق فائض ، ونحن خلق من خلق الله عز وجل ولا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه •

وقد قال جابر بن عبد الله : من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة وذلك الذى يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته يوم القيامة فذلك الذى يحاسب حسابا يسيرا ، ومن زادت سيئاته على حسناته يوم القيامة فذلك الذى لا يدخل الجنة ، وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره بعد ما يأذن الله سبحانه وتعالى له فى حق من شاء •

ونرجو من الله تعالى أن لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو أهله بمنه وسعة جوده ورحمته انه قريب مجيب الدعوات •

وقد قال تعالى : « ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما » (النساء ١١٠) ، وقال تعالى : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » (الأنفال ٣٣) ، وقال تعالى : « والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم • ومن يغفر

الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا » (آل عمـــران ١٣٥) الآية والآيات فى الباب كثيرة معلومة .

عن واثلة بن الأسقع عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : قال الله تبارك وتعالى : « أنا عند ظن عبـــدى بى ، فليظن بى ما شاء » أخرجه الدارمى [١] .

وعن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قاربوا وسددوا ، واعلموا أن أحدا منكم لن ينجيه عمله ، قالوا : يا رسول الله ولا أنت ؟ قال : ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل » رواه الدارمى [٢] وعنده عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون [٣] » .

وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » الحديث رواه الدارمى [٤] وعنه قال : سمعت رســـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار » رواه مسلم [٥] .

وعن عثمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات وهو يعلم أنه لا اله الا الله دخل الجنة » أخرجه مسلم [٦] .

---

(١) الدارمى (٢ / ٢١٤) وقال الهيثمى : رواه احمـــد والطبرانى فى الأوسط ورجال أحمد ثقات (٢ / ٣١٨) .
(٢) الدارمى (٢ / ٢١٥) .
(٣) الدرامى (٢ / ٣١٣) ابن ماجـــه برقـــم ٤٢٥١ ـ الترمـــذى (٤ / ٦٥٩) واستغربه .
(٤) البخارى (٨ / ١٣٢) مسلم (٤ / ٢٠٦٥) ـ النسائى (٤ / ٨) ـ الدارمى (٢ / ٢٢٠) ـ الترمذى (٤ / ٥٥٤) .
(٥) مسلم (١ / ٥٨) .
(٦) مسلم (١ / ٥٥) .

اللهم انك تعلم أنى أعلم أنه لا اله الا الله وأنى أشهد بأن محمـــدا رسولك ، وأن الجنة حق وأن النار حق ، وقد قال رسولك فى حديث عبادة بن الصـــامت : من شهد بذلك أدخله الله الجنـــة على ما كان من العمل •

هذا الحـــديث متفق عليه ، وانى أستغفرك وأتوب اليك ، وأرجو رحمتك التى سبقت على غضبك ، فتب على يا تواب وأغفر لى يا غافر الذنب ، وأجرنى من النار وأختم لى بالحسنى وزيادة وأرحمنى رحمة فى عبادك الصالحين ، فانك كما قلت فى مواضع من كتابك أرحم الراحمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

« تم والحمد لله »

مراجع التحقيق

١ـ التذكرة للامام القرطبي
تحقيق الشيخ أحمد محمد مرسي مطابع مدكــور وأولاده
٢ - صحيح البخاري طبعة دار الشعب
٣ـ صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي « عيسى الحلبي
٤ - سنن الترمذي « مصطفى البابي الحلبي
٥ـ « أبي داود « « « «
٦ـ « ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي « عيسى الحلبي
٧ـ موطا الإمام مالك للامام مالك بن أنس « دار الشعب
٨ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري
ابن حجر العسقلاني « مصطفى البابي الحلبي
٩ - فتح البيان تأليف صديق حسن خان « مطبعة العاصمة
١٠ـ مسند الإمام أحمد تحقيق الشيخ شاكر « دار المعارف
١١ـ سنن النسائي « مصطفى البابي الحلبي
١٢ـ حادي الأرواح تأليف ابن القيم « دار التأليف
١٣ـ لوامع الأنوار البهية الاسفاريني الحنبلي
١٤ـ ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني
١٥ـ الترغيب والترهيب للمنذري تحقيق خليل هراس « الجمهورية العربية
١٦ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمي « مكتبة القدسي
١٧ـ تفسير ابن كثير « دار الشعب
١٨ـ منحة المعبود ترتيب سنن الطيالسي أبي داود - شرح عبد الرحمن البنا
١٩ـ الزهد والرقائق لابن المبارك تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي
٢٠ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي
تحقيق علي محمد البجاوي ط عيسى الحلبي
٢١ـ تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني
٢٢ـ تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي للمباركفوري ط السلفية ، المدينة المنورة
٢٣ـ كشف الكربة ببيان حال أهل الغربة لابن رجب الحنبلي
٢٤ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني ط دار التراث الاسلامي حلب
٢٥ـ إحياء علوم الدين للغزالي « عيسى الحلبي
٢٦ـ رياض الصالحين للنووي « عيسى البابي الحلبي
٢٧ـ خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال للخزرجي المطبعة الخيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الكتاب

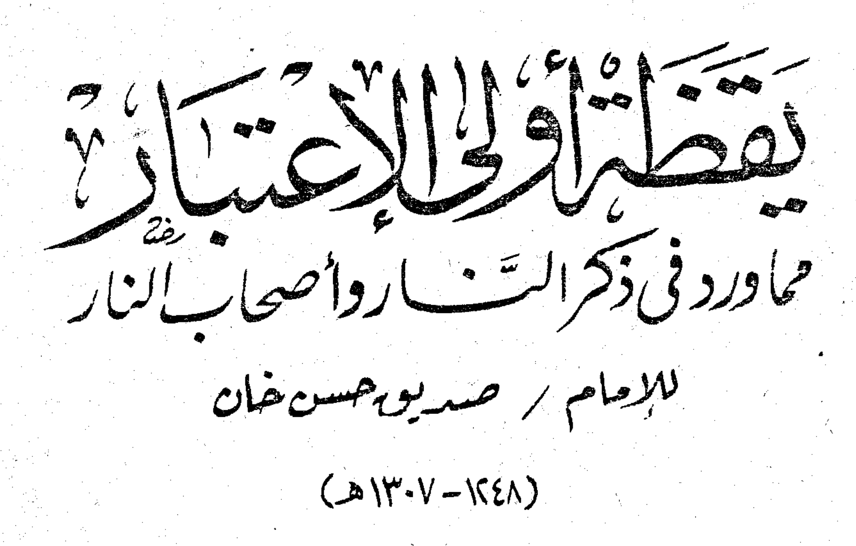
صفحة

صفحة

سلسلة

ما لا يستغني عنه الواعظ والعابد

٣



حققه وعلق عليه
الدكتور / أسامة محمد عبد العظيم حمزة

الناشر
دار الفتح

الطبعة الثانية
مزيدة التحقيق

١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ..

اللهم صل على محمد النبى وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد .

أما بعد ..

فهذه هى الطبعة الثانية من هذا الكتاب النافع وقد امتازت عن سابقتها بالأمور الآتية :

* ضبط الآيات القرآنية بالشكل الكامل .

* ضبط الأحاديث النبوية الشريفة بالشكل الكامل .

* شرح غريب الألفاظ مع ضبطها .

* مزيد تحقيق لحواشى الكتاب اشتملت على زيادة واصلاح ما يقرب من خمسين موضعاً .

* تصويب الاخطاء الواردة فى صلب الكتاب سواء كانت فى الآيات القرآنية أو الأحاديث الشريفة ، أو غير ذلك .

والحمد لله رب العالمين

٤ من ذى الحجة الحرام ١٤٠٤

الشيخ اسامة محمد عبد العظيم حمزة
دكتوراه فى الشريعة



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا لله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل على محمد النبى وازواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ »

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا » .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا » .

أما بعد فلما كان كتاب « يقظة أولي الاعتبار مما ورد فى ذكر النار وأصحاب النار » من أنفع الكتب المفيدة للمتعبد والواعظ . وكانت الطبعات الموجودة غير خلية من التحريف والتصحيف ، كان غرض إخراجه إخراجا علميا مما يقصد به التقرب إلى وجه الله الكريم ، ومما ينبغي أن يدخر إلى « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » .

١ — التعريف بالمؤلف :

هو الإمام العلامة الأصولى المحدث ، بقية أهل الاجتهاد بلا خلاف الشريف : أبو الطيب صديق بن حسن بن علي البخارى القنوجى رحمه الله .

مولده : فى التاسع عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٤٨ ببلدة بريلى .

مصنفاته : منها فتح البيان فى مقاصد القرآن مطبوع بمطبعة العاصمة الروضة الندية شرح الدرر البهية ط الشيخ منير الدمشقى ، حسن الأسوة فيما ثبت عن الله ورسوله فى النسوة ، نيل المرام فى تفسير آيات الأحكام . حصول المأمول فى علم الأصول اختصار إرشاد الفحول للشوكانى .

وتوفى رحمه الله فى أوائل هذا القرن الهجرى سنة ١٣٠٧ هـ .

٢ — التعريف بالمنهج :

لما كان المرجع الذى صرح المؤلف بالأخذ عنه ، ورتب أبواب كتابه عليه ، هو كتاب « التذكرة فى أحوال الآخرة » للامام شمس الدين أبى عبد الله

محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ .
كان القصد إلى مراجعة نصوص الكتاب بالمقابلة على كتاب التذكرة .
فساعد ذلك فى تقويم كثير من الخلل ، الذى تعرض له الكتاب .

ولما كان كثير من التحريف قد تطرق إلي ألفاظ الأحاديث النبوية الشريفة كانت المهمة الصعبة فى رد هذه الأحاديث إلى مصادرها من كتب السنة ، لتقويم ألفاظها ، وتوضيح بعض مدلولات هذه الألفاظ ، التوضيح العلمى المدعم بالعزو إلى العلماء لنثبت الحديث فى مصدره الأصلى مهما كان الجهد .

ولما كانت بعض الأحاديث قد ذكرت دون تحديد درجتها من الضعف أو الصحة أو غير ذلك كانت الحاجة ماسة إلى سد هذه الثغرة لئلا يفضى التساهل فى هذا الأمر إلى الوقوع فى خطر الكذب على النبى ﷺ .

ومثال ذلك ما أورده المصنف من أحاديث ابراهيم بن هدبه ساكتا عنها ، مع أنها باطلة لا يجوز ذكرها إلا للتنبيه عليها .

ولما كانت بعض الآيات القرآنية ذاتها لم تسلم من التبديل والتحريف . كان الواجب الشرعي يحتم نفى التحريف عنها ، ونسبتها إلى مواضعها من السور .

ولما كان بعض المنسوبين إلي العلم قد علق بعض التعليقات التى تخالف عقائد أهل السنة والجماعة فى بعض طبعات هذا الكتاب . وهى الطبعة المتداولة حال طبع الكتاب .

وهى التعليق ذيل صفحة ٦٧ من إشارة إلى تأييد مذاهب المعتزلة .
كان الفرض ، إزالة الإشارات التى تشوش على سياق الحقائق العلمية فى كتابات السلف ، وتروج لمذاهب المبتدعين من أصحاب عقائد التكفير وغيرها .

ويجدر بنا أن نذكر مقالة العماد الأصفهانى :
« إنى رأيت أنه لا يكتب أحد كتاباً فى يومه إلا قال فى غده :
لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذ لكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على إستيلاء النقص على جملة البشر » .

وقد اجتهدنا فى هذا الشأن ــ جهد المقل ــ وبذلنا ما مكننا الله منه ، فان يكن من صواب ، فانه منة من الله تعالى وفضل ويستحق ــ عليه وحده ــ الثناء والشكر ، وإن يكن من خطأ فهو من الشيطان والله ورسوله بريئان منه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أسامة بن عبد العظيم حمزة
مدرس مساعد بكلية الشريعة